

أدب الكتاب

الصولي

To PDF: www.al-mostafa.com

الجزء الأول

فضل الكتابة

قال الله تعالى - وهو أول ما أنزل من القرآن: "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم". فجعل تبارك اسمه أول ما أنزل من القرآن ذكر التفضيل على عباده بخلقهم لهم، وما ندبهم له بذلك، من البقاء الدائم والنعيم المتصل، لمن آمن به ووحده وصدق بنبيه صلى الله عليه وسلم. ثم أتبع ذلك بذكر الأنعام عليهم بما علمهم من الكتاب الذي به قوام أمر دينهم ودنياهم، واستقامة معايشهم وحفظها. ولو لا أن من لا يحسن الكتابة يجد من يحسنها معونة وإيابة عنه، لما استقام له أمر، ولا تم له عزم، وحل محل الصور الممثلة، والبهائم المهملة. ومعنى قوله الذي علم بالقلم: الذي علم الكتابة بالقلم.

وقال عز وجل: "ن والقلم وما يسطرون، ما أنت بنعمه ربك ممحون" فأقسام في القرآن بما خلق من ذلك أعني القرآن وما يكتب به من حبر ومداد وما يكتب فيه من سفر وقرطاس وأشباههما. على أن نون ههنا، عند بعضهم، السمسكة التي تحمل الأرضين. وقال بعضهم: يزيد الحرف. وكذلك عند هؤلاء يس وتس وكل ما في القرآن من ذلك. وإنما هو افتتاح السور بهذه الأحرف التي السور منها غير خارجة عنها. يقول عز وجل لهذا القرآن بهذه الحرف العربية، ليس فيها لسان أعمامي ولا حرف من حروف العجم ليسيطر بهذا ما زعمه الكفار أن النبي صلى الله عليه وسلم يتعلم القرآن من يهود ونصارى يقرأون بالعبراني وغير ذلك من الألسن. ألا تراه جل وعلا كيف بين ذلك فقال: "ولقد نعلم أئمهم يقولون إنما يعلمهم بشر لسان الذي يلحدون إليه أعمامي وهذا لسان عربي مبين".

وسأل رجل أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى ثَلْبَ، وَأَنَا حَاضِرٌ، عَنْ قَسْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي خَلَقَهَا مُثْلِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَالَّتِينَ وَالرَّيْتَوْنَ، وَطُورَ سَيْنَيْنَ، وَهَذَا الْبَلْدُ الْأَمِينُ، لَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانًا فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" فَوْقَ الْقَسْمِ عَلَى الْآيَةِ الْأَخِيرَةِ. فَقَالَ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى: رَأَيْتَ الرُّؤْسَاءَ مِنَ الْعُلَمَاءِ يَقُولُونَ مَعْنَاهُ: وَخَلَقَ الَّذِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْلُقَ مُثْلَهِ لَقَدْ كَانَ كَذَا وَكَذَا.

وقال جل وعلا: "وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كَرَامًا كَاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ" وقال: "بِأَيْدِي سَفَرَةِ كَرَامَ بَرَرَةٍ". فالسفرة الكتبة، الواحد سافر والجمع سفرة، مثل كافر وكفرة. ومعنى سافر كاتب يكتب في

الأسفار، واحداً منها سفر، وهي الصحف وسفر إذا كتب من سفر فهو سافر. وكان المأمون وجد على بعض كتابه في شيء، فكتب إليه:

فهبا للكرام الكاتبينا

ونحن الكاتبون وقد أسانا

فعفا عنه. وبالكتابة جمع القرآن، وحفظت الألسن والآثار، ووكلت العهود، وأثبتت الحقوق، وسيقت التواريخ، وبقيت الصكوك، وأمن الإنسان النسيان، وقيدت الشهادات، وأنزل الله في ذلك آية الدين وهي أطول آية في القرآن.

وقد سمعت بعض من حرم فضيلة الكتابة يقول: لو كانت الكتابة فضيلة، ل كانت في رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو لا يدرى أن في ذلك فضلاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ونقصاً لغيره، لأن الكفار إدعوا عليه أنه يحسن الكتابة، وأنه يتعلم ما يأتي به في القرآن من أهل الكتاب، وكتبه فهو يقرأه، ويأتي بتفسير شيء منه، ويشرحه بلسانه، وهو صلى الله عليه وسلم ما قرأ ولا كتب قط، ولا هيأ الله له طلب ذلك، ولا عرف بتعلم لما أراده جل وعز من الاختصاص بالرسالة، وإيضاً الحجة، على من زعم أنه يكتب. ألا ترى إلى حكاية الله عز وجل لقول الكفار: "اكتبها فهي تمل على عليه بكرة وأصيلاً" ، ما كذبهم عز وجل وجعل من أفضل صفاتهم عليه الصلاة والسلام قوله: "النبي الأمي" ، فقال: "فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي" . وقال: "الذين يتبعون الرسول النبي الأمي" .

وليس هذا الكتاب والفوائد فيه معمولاً لتابع دون متبع، ولا خامل دون نبيه، ولا محروم دون محظوظ. ولا ينبغي لمن رفعته حال، وساعدته جد، وهو يؤمن من نفسه تقاصيراً في الأدب، وتخلقاً عن صناعة الكتابة، أن يغتر بحظه، وإقبال الأيام عليه في وقت، فإما دول منقلبة وأحوال متصرفة، ولি�تلاف ما ضيع، ويستدرك ما فرط، ولا يتتكل على كفاءاته، مشتغلاً بذلك، ومرحباً قلبه وجسمه، مستعيراً في كل وقت عليهم، ومتكللاً على كفاءتهم، ينام ويسهرهم، ويفرغ ويشغلهم.

فإن هذا الفعل إنما يحسن بالرؤساء إذا أشرفوا على العلم، واستفلوا بالصناعة، وعرفوا ما يحتاجون إليه من أمر الكتابة وحفظه. فعند ذلك تشرف عندهم أنفسهم، ويحسنون عندهم استقامتهم، حتى تحملوا عنه ما هو أعلم به منهم، ولا يكونوا أسراء في أيديهم، ولا مضطرين إلى ما عندهم. وقد قال بعض الحكماء: "كل شيء يمكن أن يستعار إلا اللسان" . وقال: من خدم السلطان بلا علم واستقلال، وتجربة وكمال، كان بمثابة راكب فيل صعب، وسابح في بحر قد جف". ومع ذلك فإن الأتباع إذا أحسوا من الرؤساء بتفويض إليهم، على قلة علم منهم، واضطراه إلى كفاءتهم، ولم يحس الأتباع منهم حسن مجازة على

جميل إفادتهم، سوء مكافأة على قبيح أفعالهم، حتى يستوي عندهم محسنهم، ومسئلتهم وخائنهم وأمنهم، وكاففهم وعاجزهم؛ انتقل الأمين عن مر الوفاء إلى حلاوة الخيانة، وازداد الخائن بصيرة فأثر الإضرار، وقصر الكافي عن إتعاب النفس وكد الانتصاح؛ فقد يرى الأمين صنيعة فيخون، ويرى الخائن جرماً فيعف، فيضطرّب عند ذلك الحبل، وينشر الأمر، وتنعكس مساوئ قوم محسن آخرين.

قال أبو بكر: وإنما ذكرت هذا الفصل، لأرغب أهل هذه الصناعة الشريفة، في الإقبال عليها، وإنفاق بعض العمر في طلبها، فإنما من أجل ما كد فيه الفكر، وقطعت به الأيام. وقد استعمل اللفظة التي حكّيتها - أعني إنفاق بعض العمر - شاعر من الأزد فقال:

هزئت عميرة إذ رأت ظهري انحني

لاتهزئي مني عمير فإبني

وفيه غناء في طريق التثليل الثاني. وليس يجب لمن صفر من هذه العلوم أن يدع التعلم آيساً من الاستفادة، مولياً عن الاستزادة. فرما كان الإنسان مهياً الذهن لحمل العلم، قريب الخاطر، متقد الذكاء، فيضيّع نفسه فإهالها ويميت خواطره بترك استعمالها، فيكون كما قال علي بن الجهم:

والنار في أحجارها مخبوءة

وإنما أخذه من قول الأول:

أنا النار في أحجارها مستكنة

ومثل قوله:

أنفقت فيكم شرتني وشبابي

ما أنسدناه ابن ذكوان القاسم بن إسماعيل قال: أنسدنا أبو مجلبي السعدي لحضرمي بن عامر يعاتب عوف بن عبد الله في أبيات:

تجود أسباب المودة بيننا

لعلك يوماً أن يسألك أنتي

وتتظر في أسرار كفيك هل ترى

هذا مثل يضرب للنادم قال الأعشى:

فانظر إلى كف وأسرارها

ومنه قول الله عز وجل: "فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها". وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "قريش أهل الله وهم الكتبة الحسبة". وروي عن كعب الأحبار، أنه قال: "إنا لنجد قريشاً في الكتاب الكتبة الحسبة ملح الأرض". وروي في تفسير قوله تعالى: "ويعلمهم الكتاب والحكمة" قال: يعني القرآن لا الخطط قال الشاعر:

وبها تتم جوامع الأعمال

إن الكتابة رأس كل صناعة

ما روي في أول من كتب الكتاب بالعربي

قد ذكرت أن اختصر جميع ما أذكره، وألقي أسانيده ليقرب على طالبه ومستفيده، إلا ما لا بد منه، من ذكر نسبته وإسناده، وإنما أجري إلى ما ذكرته.

روي عن كعب الأحبار، أنه قال: "أول من كتب الكتاب العربي والسرياني وسائر الكتب آدم صلى الله عليه وسلم، قبل موته بثمانمائة سنة، كتبها في طين ثم طبخه، فلما غرق الله جل وعز الأرض، أيام نوح، بقي ذلك فأصحاب كل منهم كتابهم. وبقي الكتاب العربي إلى أن خص الله به إسماعيل فأصابها وتعلمتها". وروي عن ابن عباس "أن أول من وضع الكتابة العربية إسماعيل على لفظه ومنطقه، فعلمها موصولاً حتى فرق بينه ولده".

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعروة بن الزبير أنهم قالا: "أول من وضع الكتاب العربي قوم من الأوائل، نزلوا في عدنان بن أدد، أسماؤهم أبجد و هو ز و حطي و كلم و سعفصن قرشت، فوضعوا الكتاب العربي على أسمائهم و وجدوا حروفًا ليست من أسمائهم وهي الشاء والخاء والذال والظاء والضاد والطاء والغين قسموا بالروادف". وقد روي أنهم كانوا ملوك مدين، وأن رئيسهم كلم و أنهم هلكوا يوم الظلة مع قوم شعيب عليه السلام فقالت أخت كلم بن ترثيه:

هلكه وسط المحلة

كلمون هد ركني

حتف ناراً وسط ظله

سيد القوم أتاه آل

دار قومي مض محله

كونت ناراً فأضخت

وقيل: إن هؤلاء أخذوا كتاب إسماعيل عليه السلام، فعملوا منه كتاباً يتعلم منه، لأن الأحاديث عنهم أنهم استعربوا وضعوا الكتاب العربي والله أعلم.

وروي عن ابن جعدة "أن أول من كتب العربية مرامير بن مرة. وأسلم بن الدرة، اجتمعوا حتى وضعا

مقطعه وموصله، وهم من أهل الأنبار". قال: وسئل المهاجرون من أين تعلموا الكتاب فقالوا: من أهل الحيرة. فسئل أهل الحيرة من أين تعلموا، فقالوا: من أهل الأنبار.
وقد أعرب الناس أبا جاد وسعفاصاً، فقال معاذ المرأة يخاطب رجلاً عاب النحو والعربية:

شبت ولم تعرف أبا جادها
يصدرها من بعد إيرادها

عالجتها أمرد حتى إذا
سميت من يعلمها جاهلاً

وقال آخر:

تعلم سعفاصاً وقرישات

وخطوا لي أبا جاد وقلوا

حدثنا الحسين بن مرثد، قال: حدثنا محمد بن سلام، قال: أخبرنا يونس، قال: سمعت أبا عمرو يقول: العرب كلها أولاد إسماعيل فأصهر إليهم، والعربية التي روى محمد بن علي بن الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهم، أن أول من تكلم بالعربية إسماعيل عليه السلام فإنما يعني اللسان الفصيح الذي نزل به القرآن وعربية حمير وبقایا جرهم، غير هذه ليست بفصيحة.

أصل كتاب بسم الله الرحمن الرحيم وابتداؤه

قال الصولي: سألت أبا خليفة بن حباب الجمحي عن ابتداء الكتاب ببسم الله الرحمن الرحيم، فقال: سأله ابن عائشة عبيد الله بن محمد بن حفص عن ذلك، فقال: حدثني أبي أن قريشاً كانت تكتب في جاهليتها "باسمك اللهم"، وكان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك، ثم نزلت سورة هود وفيها "بسم الله مجريها ومرساها" فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يكتب في صدر كتبه: "بسم الله"، ثم نزلت في سورةبني إسرائيل "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيماً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى"، فكتب: "بسم الله الرحمن"، ثم نزلت في سورة النمل: "إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم". فجعل ذلك في صدر الكتب إلى الساعة. وكتب "بسم الله الرحمن الرحيم" في أول كل سورة من القرآن، إلا في أول سورة التوبة، فإنه يروى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: لم يكتب بين الأنفال بسم الله الرحمن الرحيم والأنفال من أول ما نزل الله في المدينة، وبراءة من آخره، إلا أنها تشبهها، وقصتها كقصتها. وكان النبي صلى الله عليه وسلم ربما تلا الآيات فيقول: "هذه مكالما في سورة كذا، فاجعلها تليلها". وهذا بفضل من الله عز وجل عليهم.

كيف يفتتحون كلامهم ليبارك لهم فيما يحاولون ويؤجروا عليه

والمعنى: أقرأ يا محمد باسم الله وقل باسم الله، ثم حذفت قل ليعلم المخاطب أن معناه الأمر. والباء صلة فعل محذوف حذف لعلم القارئ به وهو: أبدأ باسم الله وأقرأ باسم الله، لأن جبريل كان إذا نزل بالوحى قال: "أقرأ يا محمد، قال: وما أقرأ؟ قال: أقرأ باسم الله". والمعنى في الابتداء بما، في غير القرآن، بدأت بـبسم الله. ثم كثر ذلك وعلم حتى أسقطوا بدأته. وقال سيبويه: معنى الباء الإلصاق تقول: كتبت بالقلم، فالمعنى أن الكتابة ملصقة بالقلم. وهي مكسورة أبدأ لأنه لا معنى لها إلا الخفاض، فوجب أن يكون لفظها مكسورةً.

والله تبارك اسمه، اسم خاص للمبعود جل وعلا، لا يسمى به سواه. قال الله تعالى: "هل تعلم له سميًّا". قال المفسرون: لا يعلم من تسمى الله إلا الله عز وجل، ولا يعرف لهذا الإسم اشتراق من فعل. ولا أحب ذكر ما قاله النحويون فيه لأنه يكلف لا يضر تركه.

وأسماء الله عز وجل، بعد هذا، صفات: فالرحمن الرحيم ذو الرحمة، ولا يقال رحمن إلا الله تعالى. ويقال: فلان رحيم لأن رحمن في وزنه فعالان، من أسماء المبالغة في الرحمة وغيرها، والله تعالى نهاية في الرحمة وليس شيء كذلك، فلهذا لم يسم به غير الله.

والرحمة من الله تتجاوز عن ذنب، وإحسان عن حسنة، وإصال الخير إلى عباده. والرحمة من العباد إشفاق ورقة، تحدث فيهم.

وليس في الأفعال ما يبني عليه ثلاثة أسماء مثل رحم فهو راحم، ورحيم ورحمان إلا سلم وسليم وسليمان، وندم فهو نادم وندمان، ولا يقال من الندمان: نادم إنما يقال: نادمه. والألف في بسم الله وصل لأن غيره تصغيره سمي. وحكي أبو زيد أن العرب تقول: هذا اسم وهذا سمه وسم وأنشد:

بسم الذي في كل سورة سمه

ويروى سمه، وإنما ضممو السين وكسروها، لأنه سمات وسميت. معنى ارتفعت وعلوٌ، فمن قال: سمه فكسر فمن سميت ومن قال سمه فهو من سمات. ومعنى قوله: سميت لفلان فلاناً، وإنما هو رفعت له صفتة وما يعرفه حتى عرفه. والاسم مأخوذ من السمو وهو الارتفاع، وأصله سمو والجميع أسماء مثل حنوا وأحناه وقنوا وأقناه.

ومن قال الاسم مأخوذ من السمة، كأنك إذا قلت: سميتها لفلان، كان المعنى وسمته له بشيء عرفه به، حذفت منه فاء الفعل ودخلته ألف الوصل ألا ترى أن عدة وزنة أصلهما وعدة وزنة، فإذا صغرتهما

رجعت الواو، فقلت: وعيدة ووزينة.
وكذلك تصغير صلة وصيلة، فلو كان اسم من سمة لكان تصغيره وسيمة، ولكن تصغيره سمي، فبطل أن يكون من السمة، فكان يجب أن يكون وسم وسمة، وزن وزنة، كما قالوا صل صلة، ولكن وقعت الواو، ولذلك كان يجب أن يقال وزن يوزن، مثل عدل يعدل، فوقعت الواو بين ياء وكسرة، فحذفت فقيل وزن يزن، وإنما كرهت العرب أن تتكلم بضممة بعد كسرة، وكسرة بعد ضممة في الواو والياء، لأنها يصعب في اللفظ قليلاً. وإنما يتكلمون بما حف على الاستئتمم، ولذلك صحت لهم الأسماء في الثلاثي كلها، إلا في صنفين.

والثلاثي قولهم فعيل وقد سموا على فعل، فقالوا: عضد وسموا فعل فقالوا: عنب، وسموا بفعل فقالوا: إبل، وسموا بفعل فقالوا: طنب، وسموا بفعل فقالوا: حرد، ولم يسموا بفعل ولا بفعل كراهة لشلل ذلك ليس في أسمائهم دليل ولا شيء على وزنه، ولا مثل دول ولا شيء على وزنه.

حذف الألف من بسم الله وما ذكر من حذف السين

أجمع القراء وكتاب المصاحف على حذف الألف من بسم الله الرحمن الرحيم في فواتح السور والكتب وعلى كتبهم إياها في قول: "فسبح باسم ربك العظيم" ، لأنها وقعت موقعاً معروفاً لا يجهل القارئ معناه وكثرت فاستحق طرحها. إذ كان من شأن العرب التخفيف إذا عرف المعنى ولم يكثر كثثرته مع الله عز وجل، فحملهم كثرة الاستعمال ومعرفة المعنى لأنه يقال بذات بسم الله فحذفت بذات ثم حذفت الألف في الخط.

وتحذف قوم السين وذلك مكررٌ لأن حروف الزيادة والنقصان الألف والواو والياء فتحذفت الألف وليس السين كذلك.

روي أن كاتب عمرو بن العاص، كتب إلى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه "بم الله" باً وميماً وحذف السين. فأمر عمر بضربه فضرب، فقيل: في أي شيء ضرب؟ فقيل: في سين. فضربت مثلًا. ويصير إذا حذفت السين كأنه "بم الله" وبم ولم يستفهم بعما.

وألف اسم لا يحذف إذا أضيفت إلى غير الله، ولا تحذف في غير الله من الصفات مثل اللام في قوله:
"الاسم الله حلاوة في القلب" و "ليس اسم كاسم الله" لا بد من إشافها.

وأجاز الكسائي طرح الألف في قوله: باسم الخالق وباسم الرحمن، وغيره يأبى ذلك، ولا يجيزه إلا في سبب الله وحده. وعلم هذا العما وهو الصواب.

وكتباً: الرحمن، بغير ألف لكتة الاستعمال وإن المعنى لا يخال.

رسوم الكتاب في كتابتهم بسم الله الرحمن الرحيم

يمختار الكاتب أن يبدأ بكتاب بسم الله الرحمن الرحيم، من حاشية القرطاس، ثم يكتبون الدعاء من تحته مساوياً، ويستقبحون أن يخرج الكلام عن بسم الله الرحمن الرحيم، فاضلاً بقليل، ولا يكتبها وسطاً، ويكون الدعاء فاضلاً، وإنما يفعل ذلك بالترجم.

ومن الكتاب من يرى أن يجعله وسطاً، في أسفل الكتاب، بعد انقضاء الدعاء الثاني والتاريخ، إذا احتاج إلى تبيين نسخة كتاب متقدم، أو حساب، ليفرق بين مترتبة من صدر الكتاب وبين عجزه. وقد ذهب إليه قوم.

ولا يفسح ما بين بسم الله الرحمن الرحيم وبين السطر الذي يتلوه من الدعاء ولكن يفسح ما بين الدعاء، إذا استتم، وبين سائر المخاطبة. ولا يتجاوز بالدعاء ثلاثة أسطر، ولا يستتم السطر الثالث، على المشهور من مذاهب أحلاط الكتاب.

"أما بعد" وما جاء فيها

قال الصولي: حدثنا زياد بن الخليل التستر، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر قال: حدثني عبد العزيز بن عمران، عن محمد بن عبد العزيز، عن عمر، عن أبيه، عن أبي سلمة، قال: "أول من قال أما بعد كعب بن لؤي. وكان أول من سمي الجمعة وكانت تسمى العروبة".

ويروى أن أول من قال: أما بعد، داود النبي عليه السلام وأن ذلك فصل الخطاب، الذي قال الله عز وجل: "وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب".

حدثنا زياد بن الخليل قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحراني، قال: حدثني عبد العزيز بن عمران، عن أبي الزناد، عن أبيه، عن بلال بن أبي بردة، عن أمه، عن جده أبي موسى، أنه قال ذلك.

وقال الشعبي: فصل الخطاب الذي أعطيه داود عليه السلام: أما بعد. فمعنى فصل الخطاب، على هذا، أنه إنما يكون بعد حمد الله، أو بعد الدعاء، أو بعد قوله: من فلان إلى فلان، فينفصل بها بين الخطاب المتقدم وبين الخطاب الذي يجيء بعد. ولا تقع إلا ما ذكرناه. ألا ترى قول سابق البربرى لعمر بن عبد العزيز:

الحمد لله أما بعد يا عمر

باسم الذي أنزلت من عنده السور

فكن على حذر قد ينفع الحذر

فإن رضيت بما تأتي وما تذر

والمعنى في أنها لا تقع مبتدأة، أن المراد بها أما بعد هذا الكلام، يعني الذي تقدم فإن الخبر كذا وكذا. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كتب إلى بنى أسد: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى بنى أسد. سلام عليكم، فإنني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو. أما بعد فلا تقرئن مياه طي ولا أرضهم فإنه لا يحل لكم".

إذا كتب كاتب: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد كان كذا وكذا، فمعناه: أما بعد قولنا بسم الله، فقد كان كذا وكذا وأنه قد كان. فإنها لا تقع إلا بعد ما ذكرناه.

ولابد من مجيء الفاء بعد أما لأن أما لا عمل لها إلا اقتضاء الفاء واكتسابها، فإن الفاء تصل بعض الكلام بعض، وصلاً لا انفصال بينه ولا مهلة فيه. ولما كانت أما فاصلة، أتيت بالفاء لتردد الكلام على أوله. وليست تدل الفاء على تأخير متقدم، ولا تقدم مؤخر، ولا يستوي معناهما فيها ولا معها.

وما أجمع أهل اللغة، على أن حاله لو قال: والله لآتين الكوفة والبصرة، فبدأ بالكوفة في لفظه، ثم أتى البصرة قبل الكوفة ثم أتى الكوفة، إنه غير حانث لأن الواو عندهم أتم حروف النسق، وإنما للإشراك تدخل الآخر فيما أدخلت فيه الأول لا فرق.

وأجمعوا على أنه إذا قال: لآتين الكوفة فالبصرة أنه إن لم يأت الكوفة التي بدأ بها في لفظه، ثم يخرج منها إلى البصرة مسرعاً مزعجاً، غير متثبت إلا لفكرة في خروجه، أو إصلاح لطريقه، أنه فائت، لأن الفاء حرف إزاعاج وإسراع. فإذا قال: لآتين الكوفة ثم البصرة، بدأ بالكوفة وأقام ما شاء بعد، لا ينقص عزمه في إتيانها، ولا تتغير نيته إلى وقت قصده إليها، لأن ثم عندهم حرف إمهال وتنفيس.

والذي عليه أكثر الفقهاء، في فصل الخطاب، أنه فصل الحكم والقضاء. وقال الضحاك بن مزاحم: فصل الخطاب العلم بالقضاء. وروي عن شريح والحسن البصري، أنهما قالا: فصل الخطاب الشهود والأيمان، ذهب إلى أنه يجب بهما الحكم وتنفصل الأشياء.

حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثنا سفيان، عن الأسود، عن قيس، عن ثعلبة، عن عباد، عن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب حين كسفت الشمس فقال: "اما بعد".

تصدير الكتب وما يقع فيها

فقد استعمل الناس قريباً من ترتيب الدعاء، وتكثيره وتقليله، أشياء كلفوا أنفسهم فيها، مؤونة المخاضة فيها والتحفظ فيها منها. وقد كان المتقدمون يسمحون في ذلك، ولا يتشاحون عليه إلى الرسوم في الكتب عن الأئمة فإنها على الأمثلة التي كانت تجري عليها الكتب، وتصدر بها في أيام النبي صلى الله عليه

وسلم كثيراً، لم تغير عما كانت تصدر به عن النبي صلى الله عليه وسلم: يبدأ باسمه ويختتم الكتاب باسم كاتبه. وكذلك هي عن الأئمة بإمرة المؤمنين والإمامية، والتصدير في أول الكتاب، والدعاء في آخره للإمام وولي العهد والوزير واحد. إلا أنهم قالوا: سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، وكذلك لولي العهد في التصديري والدعاء الأخير. ولم يقولوا للوزير وبركاته ليفرقوا بين المخلين. وقد كتب بعضهم في عجز الكتاب إلى الوزير وبركاته. فأما في التصديري فلا وذلك لفرق بين المخلين.

وكان التصديري ينتهي إلى قوله: "فإني أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ أَفْضَلُ الْخَلَافَةِ إِلَى الرَّشِيدِ، فَأَمْرَأْ يَزَادُ فِيهِ وَأَسْأَلَهُ أَنْ يَصْلِي عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". فكتب بذلك إلى هذا الوقت. فكانت هذه من أفضل مناقب الرشيد.

وكان الرشيد، قال ليحيى بن خالد: قد عزمت على أن يكون في كتبتي من عبد الله هارون الإمام أمير المؤمنين عبد محمد رسول الله. فقال له يحيى: قد عرف الله نبيك في هذا يا أمير المؤمنين، وحان لك أجره، والتبعيد إنما هو لله وحده لا لغيره. قال: فاكتب: "من هارون مولى محمد". فقال: إن المولى عند العرب ربما كان ابن العم وجزى الله أمير المؤمنين خيراً وهداه إليه.

وقد يزيد في الكتب، ذكر الصفات، التي احتضن الله تعالى بها كل المتصور والمهدى والمادى والرشيد. والعجب أن قوماً يسمونها ألقاباً والألقاب مكرورة وإنما هي نعوت وصفات. وجعلوا مثل ذلك لولاة العهود، وحوطب بها الخلفاء، قال عبد الله بن طاهر، يخاطب المعتصم بالله، في قصيدة ذكر فيها ابنه علياً المكتفي بالله.

فاجعله نحلته من الأسماء

المكتفي بالله صاحب عهتنا

فلما ولـي المكتفي بالله الخلافة قال: قد سـمـيـاـنـيـ عـبـدـ اللـهـ بـاسـمـ لاـ أـرـيدـ غـيرـهـ. ولم يكن يدعى للخلفاء على المنابر بالنعوت، فيقال: اللهم أصلح عـبـدـكـ وـخـلـيـفـتـكـ عـبـدـ اللـهـ المـنـصـورـ أمـيرـ المؤـمنـينـ ولاـ المـهـدىـ. وـكـانـ أـوـلـ مـنـ دـعـيـ لـهـ بـذـلـكـ مـحـمـدـ الـأـمـيـنـ أمـيرـ المؤـمنـينـ، وـجـرـىـ عـلـىـ ذـلـكـ إـلـىـ الـيـوـمـ. وـلـاـ يـكـاتـبـ بـالـتـصـدـيـرـ إـلـاـ وـلـيـ عـهـدـهـ وـلـاـ وـزـيـرـهـ. فـأـمـاـ إـلـاـمـ فـيـكـتـبـ بـالـتـصـدـيـرـ إـلـىـ كـلـ مـنـ خـاطـبـهـنـ منـ عـاـمـلـ حـرـبـ وـخـرـاجـ وـقـضـاءـ، فـيـ الـكـتـبـ الـمـدـوـنـةـ الـمـنـعـوـتـةـ، بـالـعـهـوـدـ وـالـعـقـوـدـ وـجـبـاـيـةـ الـفـيـءـ، وـالـحـمـوـلـ وـالـنـفـقـاتـ وـالـإـقـطـاعـاتـ وـالـإـمـارـاتـ وـالـفـتوـحـ، وـمـاـ جـرـىـ هـذـاـ الـجـرـىـ، وـيـدـأـ بـنـفـسـهـ. وـلـاـ يـخـاطـبـ إـلـاـمـ أحـدـاـ مـنـ هـذـهـ الـطـبـقـاتـ بـدـعـاءـ لـهـ فـيـ التـصـدـيـرـ إـلـاـ وـلـيـ عـهـدـهـ، فـإـنـهـ يـدـعـيـ لـهـ بـعـدـ التـصـدـيـرـ بـالـحـفـظـ وـالـحـيـاطـةـ.

مقال الخط

قال يحيى بن خالد البرمكي: "الخط صورة روحها البيان، ويدها السرعة، وقدمها التسوية، وجوارحها معرفة الفضول".

وقال أبو دلف: "القلم صائع الكلام، مفرغ ما يجمعه العلم".

وقال أقليدس: "الخط هندسة روحانية وإن ظهرت باللة جسمانية. أخذه النظام"، فقال: "الخط أصل في الروح وإن ظهر باللة الجسد".

ومن فضل حسن الخط، أن يدعوا الناظر إليه إلى أن يقرأه وإن اشتمل على لفظ مرذول ومعنى مجهول. وربما اشتمل الخط القبيح، على بلاغة وبيان، وفوائد مستطرفة، فيرغب الناظر عن الفائدة التي هو محتاج إليها لوحشة الخط وقبحه.

حدثنا أحمد بن إسماعيل، قال: كان مشايخ الكتاب وزهاد العمال يختارون أن يكون ما يرفعونه عن جماعتهم، إلى دواوين السلطان بخط غير جيد، ومداد غير حalk، في صحف مظلمة، ليشقل على من يرد عليه من المتصفحين فيعدل عنها إلى غيرها مما لا يتعبه.

وزعم صاحب المنطق أن الأشياء محمودة في أربعة مواضع:

في الأشياء ذات المعاي في أنفسها، وفي العقول، والقول، والخط. وإن الخط دليل على ما في النفوس، وما في دليل على ما في الأشياء ذات المعاي، وما في الأشياء ذات المعاي مدلول عليه. وإن اثنين من هذه الأربعة طبيعيان، وهما الأشياء ذات المعاي وما في النفوس لا يتغيران. واثنان وضعيان، يتغيران بتغير اللغات والبلدان، وهوما القول والخط. ومثال ذلك أن الذي في الجسمين، من التدوير والتربيع، موجود فيهما إذا نظر إليهما ناظر، انطبعت صورهما في نفسهما، فصارا موجودين في موضعين، وإذا أراد أن يخبر غيره بما وجد، احتاج إلى التعبير بما في نفسه باللفظ، فيكون اللفظ دالاً على ما في النفس، وإن كان المخبر حاضراً شافهه، وإن كان غائباً أداه إليه بالخط.

واللفظ والخط من هذا الوجه ضروريان، لابد منهما في العبارة. ولو شاء قائل أن يفضل الخط على اللفظ، في هذه الحال، من قول صاحب المنطق، لقال: فالخط أتم من اللفظ فائدة، لأنه قد بلغ مبلغ المنطق، إذ كنا قد ننادي الحاضر بكمما جمياً، ففهمه بكل واحد منهمما، مثل ما نفهمه بالآخر، ولا نستطيع إفهام الغائب إلا بالخط، فللخط فائدتان من هذه الجهة، وليس للفظ إلا فائدة واحدة.

فإن قال معترض: فكيف يتهم الأعمى والأمي الخط؟ قيل له: ذلك من نقصان آلة، لا من نقصان آلهما، الخط، وإنما قولنا على تمام الآلة وأصل البنية الصحيحة، والعمى عرض دخل على الطبيعة وليس بأصل فيها، والأمي ممكأن أن يتعلم الخط، فالنقيصة فيه عن علمه من ميله. وقد رأينا الشديد الصمم لا يفهم إلا بالخط.

ومن أحسن ما فضل به كلام المخاطب على الخط قول جالينوس "الكتاب كلام ميت، يتناوله قارئه كيف شاء، وكلام المخاطب حي، يمكن صاحبه أن يصره حتى يبلغ به غرضه".

ومن الأعجوبة في الخطوط كثرة اختلافها والأصول واحدة كاختلاف شخص الناس مع اجتماعهم في الصنعة، حتى إن خط الإنسان يصير كحليته ونعته في الدلالة عليه، واللزوم له والإضافة إليه، حتى يقضى به الكاتب له وعليه.

وقد عجبت من بعض الكتاب قال: ادعى رجل من إلحاقي الأنساب بالآثار والأشباه، فقال له القائم: أعجب والله من هذا ما يبلغنا من تميزهم الخطوط وإلحاقي كل خط بصاحب أو ما ترى العازم على خيانة أو دفع حق، بغير خطه حتى إذا جحد لم ينسب عليه.

وحدثني الحسين بن يحيى الكاتب، قال: ادعى رجل على رجل مالاً، وأن معه به رقعة بخطه، فجحد الرجل الخط، وجعل يكتب بين يدي الناس فيحكمون أن الخط ليس خطه. ثم تراضيا سليمان بن وهب، وما يحكم به في ذلك، فأحضر الخط والرجل، فقال: اكتب فأملأ عليه كتاباً طويلاً، رد فيه مثل الحروف التي في رقعته، فتبين سليمان أن الخط خطه، وأنه صنع في كتاب الرقعة، ولم يكتب على طبعه، بحروف دلته على ذلك، فحكم عليه سليمان، فاعترف الرجل بالخط، وأدى المال وعجب من ذلك. فقيل سليمان: كيف وقفت على ذلك؟ فقال: إنه يصنع في الرقعة كلها إلا في أحرف قذفتها سجنته، ولم يخترس منها طبعه. ثم أنسد سليمان:

وأن يمنعوا ذر الدموع السواكب

ولما أبت عيناي أن تطعم الكري

وكم مع لوعاتي بقاء التأوب

تثاءبت كي أبغي لدمعي علة

ومن مليح التعلل في الدم ما حدثنا به محمد بن دينار قال: حدثنا مهدي البهدي، قال: قال يسار لأبي العتاهية: يا عتبى أنا والله أستحسن اعتذارك في دموعك حيث تقول:

رقه البكاء من الحياة

كم من صديق لي أسا

فأقول ما بي من بكاء

فإذا تأمل لامني

فطرفت عيني بالرداة

لكن ذهبت لأرتدى

فقال أبو العتاهية: والله يا أبا معاذ ما لذت في هذا إلا بمعناك، ولا اجتنبته إلا من غرسك في قوله:

وهل يبكي من الطرب الجليد

فقالوا لم بكيت فقلت: كلا

عويد بدا له طرف حديد

ولكني أصاب سواء عيني

أكلتا مقلتيك أصاب عود

فقالوا ما لدمعها سواد

والتشبيه يقع كثيراً بالخط الجيد الحسن، أما الخط الرديء فحركاته صعبة ممتعة.

وحدثني يحيى بن البحترى قال: حدثنا أبي عن ابن الترجمان - وكان الواثق أنفذه إلى ملك الروم بهدايا - قال: وافتلت لهم عيдаً فرأيتمهم قد علقوا على باب بيتهم كتاباً بالعربية منشورة، فسألت عنها، فقيل: هذه كتب المؤمن بخط أحمد بن أبي خالد الأحول استحسنوا صوره وتقديره فجعلوا هكذا. فحدثت أنا بهذا الحديث، أبا عبيد الله محمد بن داود بن الجراح، فقال لي: هذا حق قد كتب سليمان بن وهب كتاباً إلى ملك الروم، في أيام المعتمد، فقال: ما رأيت للعرب شيئاً أحسن من هذا الشكل! وما أحسدهم على شيء حسدي إياهم عليه. والطاغية لا يقرأ الخط العربي، وإنما راقه باعتداله وهندسته وحسن موقعه ومراتبه.

ووصف أحمد بن إسماعيل خطأً حسناً فقال: "لو كان نباتاً لكان زهراً. ولو كان معدناً لكان تبرأً. أو مذاقاً لكان حلوأً. أو شراباً لكان صفوأً". وقالوا: "القلم قسيم الحكمة".
وقال أفلاطون: "الخط عقال العقل". وقال أرسطاطاليس: "القلم العلة الفاعلة. والمداد العلة الهيولانية. والخط العلة الصورية. والبلاغة العلة النامية". وقال بعض الملوك اليونانية "أمر الدين والدنيا تحت شعرين: قلم وسيف، والسيف تحت القلم".

ما قيل في حسن الخط من المنظوم

فمن مليح ما قيل في ذلك، قول أبي تمام للحسن بن وهب، وقد قرأ كتاباً له فاستحسن خطه ولفظه من كلمه:

جو وأصاب شاكلة الرمي
غرائب عن الخبر الجلي
على كبدي من الزهر الجني
من البشرى أنت بعد النعي
صدور الغانيات من الحلي
وكائن فيه من لفظ بهي
به ووعدت من وعد سني
على أذن ولا خط قمي

لقد جلى كتابك كل بث
فضضت ختامه فتبلاجت لي
وكان أغض في عيني وأندى
وأحسن موقعاً عندي ومني
وضمن صدره ما لم تضمن
فكائن فيه من معنى بديع
وكم أنجزت من بر جليل
كتبت به بلا لفظ كريه

فأطلق من عقل في الأماني

وأهدى بعض الكتاب غلاماً كاتباً، إلى رئيس له، وكتب إليه بصفة الخط وغيره - وسمعت من يحكي أن فاعل ذلك عيسى بن فرخانشاه بإبراهيم بن العباس الصولي، وكان عيسى يكتب له ولا أدرى كيف صحته، لأنني لم أعتد بما لم أسمعه من أفواه الرجال:

تجزيه بالنذر الجليل

أقبل هدية شاكر

ه لم يألف أفولا

بدراً يضيء إذا نظرت إلى

ت بحسن موقعه كفيلا

إنني بعثت به وكن

حسناً يصيد به العقولا

لما رأيت بخطه

سحب القيان به الديولا

كم نمن الموشى قد

فيها فاوسعها همولا

أو كالرياض بكى الحيا

إذا أشرت به فبولا

وتراه للمعنى اللطيف

تملي عليه ولا ملولا

لا مستعيداً منك إذ

من الحكاية والفصولا

عرف المبادئ والوصول

وإن يقصر أو يطيلا

وصنوف ترتيب الدعاء

قصور والمثل المقولا

والهمز والممدود والم

مصروف منها والتقيلا

وال فعل والأسماء وال

أن لا تزيد به البديلا

فاستكه وأضمر له

وببيانه عنك التقيلا

يحمل بفضل لسانه

وأنشد أحمد بن إسماعيل نطاحة لنفسه:

أضحكت قرطاسكعن جنةأشجارها من حكم مثمره

أيضاً كمثل الليلة المقرمه

مسودة سطحاً ومبضة

ولي من قصيدة مدحت ها الوزير أبا القاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن يحيى:

أفدي أبا العباس من ناظم

ينظم دراً في قراتيسه

بوابل من نقشه واسم

يطلع أنواراً بها غضة

بنفسجاً أو مشبهاً لونه
كالدر في اللفظ وكالوش
قال أحمد بن إسماعيل:
وإذا نمنمت بناتك خطأ
معرباً عن إصابة وسداد

عجب الناس من بياض معان
حدثنا محمد بن إبراهيم الأننصاري أبو الحسن، قال: وصف أحمد بن صالح جارية كاتبة فقال: "كأن خطها أشكال صورتها. وكأن مدادها سواد شعرها. وكأن قرطاسها أديم وجهها. وكأن قلمها بعض أناملها. وكأن بيانها سحر مقلتها، وكأن سكينها سيف لحاظها. وكأن مقطها قلب عاشقها". وأنشدنا عبد الله بن المعتر لنفسه يصف خطأ:

فدونكه موشى نمنمته
بشكل يؤمن بالإشكال فيه
ومثل هذا لأحمد بن إسماعيل نطاحة:
مستودع قرطاسه حكما
وكأن أحرف خطه شجر
وكان سطوره أغصان شوك

أنشد محمد بن يزيد المبرد، قال: استعار محمد بن عبد الملك الزيارات من الحسن بن وهب دفتراً فيه شعر أبي يعقوب الخريبي، وكان معجباً به، فوجه الحسن به إليه، وكان بخط حسن، ثم وجه الحسن يطلب منه، فوجه إليه محمد بالنسخة التي كانت عنده واحتبس نسخة الحسن وكتب إليه:

إني نظرت ولا صواب لنظر
فإذا كتابك قد تخير خطه
وإذا وسوم في كتابك لم تدع
تتبيلك عن رفع الكلام وخفضه
وإذا كتاب أخيك من ذا كله
فأقبل كتاب أخيك غير منافس
واعلم بأنك لا تزال مؤخراً
فيما يهيم به إذا لم ينظر
وإذا كتابي ليس بالمتخير
شكلاً لمعتسف ولا لمفكر
والنصب فيه لحاله والمصدر
خلو فبيس لبائع أو مشتري
فيه وخل له كتابك واعذر
في العلم عند الناس ما لم تكسر

شاركته فيه وكسر الدفتر

إني أرى حبس السماع على الذي

واستهدى أحمد بن إسماعيل دفتراً فيه حدود الفراء، فأهداه إلى مستهدفيه وكتب على ظهره:

بالروض أو بالبرد في تقويفه

خذه فقد سوغت فيه مشبهاً

وتائق الفراء في تأليفه

نظمت كما نظم السحاب سطوره

تصحيفه ونجوت من تحريفه

وشكلته ونقطته فأمنت من

لا تجتى إلا بشكل حروفه

بستان خط غير أن ثماره

وللخط صفات وتركيبيات وأسماء مختلفات، تحد وتصنف ما يقال ذلك في النغم واللحون. فمنه الرياشي المحقق والخفيف المطلق، وهو الذي يتعلّق ببعضه ببعض، ومنه منتشر ومجموع.

وسئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة، فقال: إذا اعتدلت أقسامه، وطالت ألفه ولا مه، واستقامت سطوره، وضاهى صعوده حدوره، وتفتحت عيونه، ولم تشبه راءه نونه، وأشرق قرطاسه، وأظلمت أنفاسه، ولم تختلف أجناسه، وأسرع إلى العيون تصوره، وإلى العقول ثمره، وقدرت فصوله واندمجت وصوله، وتناسب رقيقه وجليله، وخرج عن نمط الوراقين، وبعد عن تصنّع المدرّين، وقام لكتابه مقام النسبة والخلية، كان حينئذ كما قلت في وصف خط:

وساومه القلم الأرقش

إذا ما تحل قرطاسه

كنفشن الدنانيير بل أنقش

تضمن من خطه حلة

نشاطاً ويقرأها الأخفش

حروف تعيد لعين الكليل

وقال آخر:

فأنس نفساً به مبهجه

أتاني كتابك يا سيدتي

وسكن من لوعة مزعجه

وكان بما ساق من فرحة

على كل مائدة مدرجه

أبر وأمتع من ربيطة

قد ذكرت في هذا الكتاب ما استحسن من خط الجواري: وقد كره أهل النبل من الناس وذوو الرأي منهم أن يعلم النساء الخط، وجاء فيه النهي عن ابن عباس، أنه قال: "لا تسكنوا النساء العلالي ولا تعلموهن الكتابة".

وقال حمزة بن أبي سلامة الكوفي:

وسط خط ولم يصله عذار

جاء خط كأنه شعرات

أَبْاحْتُكْ لِمَهِ الْأَسْتَارِ
هَرَهْ فِي نَظَامِهِ الطَّوْمَارِ

أَوْ كَنْفَشِ الْحَنَاءِ فِي كَفِ عَذْرَا
يَا كَتَاباً يَكَادُ يَضْحَكُ مِنْ جُو

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمَ:

فَكَأْنَهَا خَدُ عَلَى خَدِ
ذُرْ فَتِيتِ الْمَسْكِ فِي الْوَرْدِ
مِنْ مَلْحِ الْهَذْلِ إِلَى الْجَدِ

يَارِقْعَةِ جَاءَتْكَ مُثْنِيَةً
نَبْذُ سَوَادِ فِي عَذَارِ كَمَا
سَاهِمَةُ الْأَسْطَرِ مُصْرُوفَةً

إِلَيْهِ حَسْبِيْ مِنْهُ مَا عَنِي

يَا كَاتِبَاً أَسْلَمْنِي عَبْثِهِ
وَقَالَ أَبُو نَوَّاسَ:

بِمِرْ سَوَانِحِ الطَّيْرِ الْجَوَارِيِّ
وَفِي ظَهَرٍ وَمَخْتَوْمًا بَقَارِ
تَرَكَ صَدَاعَهُ سِينَ الْعَذَارِ
وَكَانَ الْخَتْمُ مِنْ رَقِ الْعَقَارِ
أَلْسُتُ مِنْ الْفَلَاسِفَةِ الْكَبَارِ

زَجَرْتُ كَتَابَكُمْ لَمَا أَتَانِي
نَظَرْتُ إِلَيْهِ مَجْزُومًا بِزَبَرِ
فَعْفَتُ الظَّهَرَ أَحْوَرَ قَرْطَقِيَاً
وَكَانَ الشَّدُوْذُ ذَا زَبَرَ مَصِيبَهِ
فَكَيْفَ تَرَوْنِي وَتَرَوْنِ زَجْرِي

ما قيل في قبح الخط

قال الصولي أنسدini أحمد بن محمد بن إسحاق، قال: أنسدini علي بن محمد العلوي لنفسه:

أَشْكُ إِلَى اللَّهِ خَطًّا لَا يَبْلُغُنِي
إِذَا هَمِمْتَ بِأَمْرٍ لَيْ أَزْخَرْفَهِ

خطُ الْبَلِيْغِ وَلَا خَطُ الْمَرْجِبِنَا
سَدَتْ سَمَاجْتَهُ عَنِي التَّحَاسِبِنَا

وقالوا: "رِدَاءَةُ الْخَطِ زَمَانَةُ الْأَدِيبِ". وَنَظَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى خَطِ بَعْضِ كَتَابِهِ فَلَمْ يَرْضِهِ، فَقَالَ: "نَحْوَا هَذَا عَنْ مَرْتَبَةِ الْدِيْوَانِ إِنَّهُ عَلِيلُ الْخَطِ، وَلَا يَؤْمِنُ أَنْ يَعْدِي غَيْرَهُ". وَقَالُوا: "رِدَاءَةُ الْخَطِ إِحْدَى الزَّمَانَتَيْنِ، كَمَا أَنْ حَسَنَهُ إِحْدَى الْبَلَاغَتَيْنِ".

حدثني طلحة بن عبد الله، قال: اعتذر رجل إلى محمد بن عبد الله بن طاهر من شيء بلغه عنه، فرأى خطه قبيحاً فوق في رقعته: "أَرَدْنَا قَبْوَلَ عَذْرَكَ، فَاقْتَطَعْنَا عَنْهُ مَا قَابَلْنَا مِنْ قَبْحِ خَطْكَ. وَلَوْ كَنْتَ صَادِقًا فِي اعْتِذَارِكَ لِسَاعِدَتْكَ حَرْكَةُ يَدِكَ". أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنْ حَسَنَ الْخَطِ يَنْاضِلُ عَنْ صَاحِبِهِ بِوُضُوحِ الْحَجَةِ. وَيَكْنُ

له درك البعية".

وكان أبو هفان عبد الله بن أحمد المهزمي من أقبح الناس خطأً، وكان يبتدىء الخط من رأس الورقة ويعوج سطوره حتى يبقى آخر سطر في الورقة كلمة واحدة فرثاه يحيى بن علي فقال في مرضيه:

أو الخط في ذوي الفتىان

مع خط كأنه أرجل البط

أنشدني العتري الحسن بن علي في قبح الخط، وكان والله قبيح الخط والوجه، حسن العلم والعقل:

جزعت من قبح خططي

وفيه وضعى وخطى

رجعت من بعد حذقي

إلى تعلم خطى

الوصاة بإصلاح الخط وآله: قال بعض الرؤساء من الكتاب: "ارحوا ذوائب خطوطكم"، يريد بذلك الحروف المخطوطة، كالباء والنون والعين والحاء المنفصلات وما أشبههن.

قال الصوالي: حدثني أبو الحسين محمد بن أحمد النيسابوري، قال: سمعت الحسين بن يحيى بن نصر الجرجاني يقول: قال إبراهيم بن العباس الصوالي لغلام كان يكتب بين يديه: "ليكن قلمك صلباً بين الدقة والغلوظ، ولا تبره عند عقدة، ولا تجعلن في أنبوبه أنبوبة، ولا تكتبن بقلم ملتو، ولا ذي شق غير مستو، واختر من الأقلام ما يضرب إلى السمرة. وأحد سكينك، ولا تستعملها لغير قلمك. وتعهده بالإصلاح يصلح. ولتكن مقطتك صلباً ليمضي الخط مستوياً لا مستطيلاً، وابر قلمك بين التحريف والاستواء. وإذا كتبت الدقيق فأمل قلمك إلى إقامة الحروف لإشباع الخط، وإذا جللت فإلى التحريف. واعلم أن تبطين القلم شئم، وتحريفه حرف، وهم دمار الخط. واعلم أن وزن الخط مثل وزن القراءة، فأجود الخط أينه، كما أن أحمد القراءة أينها".

وقال بعض الكتاب: "الحذق بالخط أن يقدر الكاتب بقلمه أجزاء حروفه وكلمه، وخاصة في طول الحرف لا في عرضه، ويفرق بين الحرف والحرف على قياس ما مضى من شرطه في قرب مساحته وبعد سياقته. ولا يقطع الكلمة بحرف يفرده في غير سطره. ويساوي إصلاح خطوطه كتابته ولا يغيره فيحليه بما ليس من زينته، ولا يمنعه حقاً فيخالف حليته، ويفسد قسمته".

ويستحب أن يقع في الخط نوعان مختلفان، ويقوم في النفس من ذلك ما يقوم فيها من الشعر إذا اختلفت أعاريشه، وخلط فصيحه بمولده. وأحلى الخطوط الحق اللطيف، المستدير الحروف، المفتوح الصادات والطآت، المختلس التآت والحآات. ولا يحسن أن يجمع في الحرف مشقتان، ولا بين يائين معروقتين".

قال الصوالي: والمشتق مكرود، وخاصة في الكتاب إلى الرئيس، لأنهم يتأنلون ذلك ضرباً من الاستخفاف بقدر المكاتب. كذلك قال إبراهيم بن العباس الصوالي، وهو إمام من أئمة الكتاب يقتدى به فيها: وربما

طغى القلم فوصل منفصلاً، وفصل متصلأً.

وقد يمشق الكاتب في حالين متضادين في أشد ما يكون نشاطاً، لشوق يده إلى الخط، وبعد عهدها به، وتفلتها إليه، فتتازعه يده إلى ذلك، وتغلبه إلى الإسراع، فتجري على غلوائها، وتُنْصِي على درتها، ولا تتمهل لرفع حرف ولا حفظ آخر.

وتسنر وح أيضاً في حال التعب والكلال إلى المشتق، لما يلحق الأنامل من مشقة التعطف والتلوى على القلم، بتقريب بعض الحروف من بعض، وعطاف شيء على شيء. فإذا كانت الكلمة على أربعة أحرف جعلت المشقة واسطة بين حرفين أو لين وحرفين آخرين، مثل مقيد ومخلب، وعنها وفيها. فإن كانت ثلاثة أحرف أو سطها ميم، كانت المشقة بين الميم والحرف. ولا يجوز أن يمشق بين حرفين أحدهما ميم. وإذا اتصلت باء وناء ونون في الكلمة، فكان على عدد أشكال السين والشين رفعت الوسطى، مثل بينك وبينك. ولو لم تفعل ذلك، وسوت بين الثلاث، لجاءت الكلمة كأنها شك أو سك، ويحمل الإثنين السين والشين. وأن يمشقا ولا يتحققا في كل الموضع؛ إلا في: بسم الله الرحمن الرحيم، لمعان أولها التعظيم لاسم الله تبارك وتعالى، والثاني ليتبين تحقيقك لذلك وتحسينك له، ولأن بسم الله الرحمن الرحيم أول ما يتدئ الكاتب به وهو وافر النشاط، غير حسير اليد، ولا جافي القلم؛ فليس له عذر في ترك التحقيق حينئذ ولا له حاجة إلى التروح.

وكذلك يكره مشقهما منفصلتين، مثل الناس والباس، لا يكون معهما في هذه القسمة حرف يعصبهما. وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "شر الكتابة المشق، وشر القراءة المذرمة". وأكثر سروات الكتاب يكرهون شق الكاف، وقد شقها بعضهم إذا كانت أول الحرف ومبتدأ السطر، ويستتبع شقها إذا كانت في آخر الكلمة منفصل أو متصلة، وذلك في مثل مالك وتارك. ويستتبع أن ينقطع دعاء فيقع أوله في آخر السطر وبعده في أول السطر الآخر، وكذلك الكنية والمضاف وغير ذلك، وما عمل بعضه في بعض، وما جعل اسماءً واحداً وهو اثنان في الأصل، وذلك مثل أعزه الله في الدعاء، وعبد الله في الأسماء، وغلام زيد في الإضافة، وتأبطة شرائفي العامل بعضه في بعض، وخمسة عشر فيما جعل الإسمان اسماءً واحداً، ومعدى كرب وحضرموت وأيادي سباء ويد الدهر ويد المسند وهو الدهر أيضاً، وشذر مذر وقالي قلا، ومثل هذا كثير، وما ذكرناه منه يدل على سائره.

ما قيل في النقط والشكل والخط الدقيق

كره الكتاب الشكل والإعجام، إلا في الموضع المتبعة من كتب العظاماء إلى دونهم، فإذا كانت الكتب من دونهم إليهم ترك ذلك في الملبس وغيرهم، إجلالاً لهم عن أن يتوهם عنهم الشك وسوء الفهم، وتزريها لعلومهم وعلو معرفتهم عن تقييد الحروف، ولو لا أن الذي جددهم من ذلك في كتاب الرئيس إلى تابعه بجري مجرى الزيادة في الإيضاح له، ونفي الارتياح عنه، وإيجاب الحجة عليه فيما يؤمر به وينهى عنه، لكان الأحسن أن لا يستعمل في الحالتين معاً.

وقد رأى قوم أن تكون كتبهم إلى سلطانهم بأكبر الخطوط وأجلها، واحتاروا الشكل والإعجام فيها. وحكوا عن بعض الخلفاء، أنه تأذى من إخلاء الكتب من ذلك في المؤامرات وغيرها. وقال الذين اخтарوا ذلك لا نعرضهم للشكوك، ولا نكلفهم إعمال الفكر في المشكل، وأنه يجب أن نوضح لهم الشكوك ونضبط الحروف، بما يسبق معه المعاني إلى قلوبهم في أول وهلة.

ونسبوا الأصل في هذا إلى المؤمن، وهذا ما لا يجمع المميزون عليه، ولا يلتفتون إلى ما يتأول فيه، لأن الأمر لو كان على ما يختاره من يشكل وينقطع، لما وقع من الكتاب تصحيف، في كثير مما قرأوه في مجالس الخلفاء، حتى أحصيت عليهم غلطات سقطوا بها في عصرهم، وبقي عارها عليهم، كالذى صحف من "حامرطى" حاضرطى، والذى صحف بين يدي المؤمن "البريدى" فقال الشريدى، فأمر المؤمن أن يطعم، وقال: أبو العباس جائع - يعني وزير ابن أبي خالد - فغذوه. ثم قرأ فلان الحمصى فقال: الخبصى، فقال المؤمن: ما في طعام أبي العباس خبص فأطعموه.

وقرأ كاتب عبيد الله بن زياد كتاب عبيد الله بن أبي بكرة أنه وجد بعض الخوارج في شرب فقال عبيد الله: وكيف لي بأن أكون من يشرب هو ونظاروه إنما هو في سرب أبي سردار. وكتب رجل من أغبياء الكتاب إلى صاعد بن مخلد كتاباً فصير العين غيناً ونقطعها من فوق ونقط الخاء من مخلد من أسفل فصيرها جيماً. فقرأ كتابه صاعد بن مخلد فلم يفطن لذلك، ووقع فيه فخرج إلى الديوان فرأه الناس فقال فيه بعض الشعراء:

بعيد الإلقاء من غفلته

رأيت الوزير كثير الشكوك

ولا اسم ابنه الفذ من كنيته

فما عرف الجد من والد

ورسم البلاغة في دولته

رأيت الكتابة قد عطلت

وأغفل كاتب سليمان بن عبد الملك الإعجام في كتاب كتبه إلى عامله بالمدينة يأمره بإحصاء المختفين فقال له: احص من قبلك من المختفين. فقرأه أخض، فخصى منهم جماعة حتى خصى الدلال، فقال: الآن

والله أشبهنا النساء، هذا والله الختان الأكبر.

وأخرج كتاب عبيد الله بن سليمان على عامل مالاً، فتظلم منهم، فوقع عبيد الله "هذا هذا" فقدر الرافع بعد ذهنه أنه وقع هذا أي حجة ثابتة كما تقول: أنت أنت، وأنا أنا، فأخرج التوقيع إليهم فقال: قد قبل حجي، فلم يعرفوا ذلك، وجماعوا بالتوقيع إلى صاحب الديوان، فرده إلى عبيد الله بن سليمان واستأمره فيه، فما زاد عبيد الله على أنه شدد الذال، ووقع تحته: الله المستعان، كأنه نسب صاحب التوقيع إلى المذيان. ومثل هذا كثير جداً وإنما جتنا بطرف منه.

حدثني يعقوب بن بيان قال: حدثني علي بن الحسين قال: لما أخرج بغا إلى منبع وقلدها، كان معه كاتب فقرأ عليه يوماً كتاب عامل بسمساط وأن فلاناً سقط عن برذونه، يرید عن برذونه، فقال له بغا: وما برذونه ويحل؟ فقال: جبل بين سمساط والروم وهو الحد بينهما، فلم يدر من أي شيء يتعجب! من تصحيفه أم من احتجاجه بما احتج به. وكتب بعض الكتاب إلى رجل كتاباً فدقق خطه فيه فكتب الرجل إليه: ما كاتبتي وإنما عوذني! شبه كتابه بالتعويذ. وكتبت إلى بعض إخواني كتاباً بقلم دقيق، فأنكر ذلك فكتبت إليه:

قال: هلا كتبت خطأً جليلاً
بخل الخط إذا رأني بخيلاً
حافظ من مقلتيك صار عليلاً

أنكر الخط إذ رأه ضئلاً
قلت لا تسبقن باللوم عذري
وكذا الجسم إذ رأى علة الأل

وقال آخر في نحوه:

إليه لم تجنبت الجليلاً
دقيقاً مثل صاحبه ضئلاً

يقول وقد كتبت دقيق خط
فقلت له: عشقت فصار خطبي

ومن مليح ما قيل في النقط والإعجام قول عبد الله بن المعتز:

ونون الصدغ معجمة بخال

غلاة خده ورد جني

وقال أبو نواس يصف صغر أثافي قدر الرقاشى:

وقدر الرقاشين بيضاء كالبدر
ثلاث نقط الثناء من قلم الحبر

رأيت قدور الناس سوداً من الصلى
بيينها للمعتفى بفناها

وما رأيت النقط والإعجام وقعاً أصح من مكان أوقعهما عصابة الجرجاني يهجو الحسن بن رجاء فإنه قال:

له شبح ليس بالمستبان
وبالخبر الفذ لا بالعيان
لكيما يقال دعا بالخوان
فأسماء ليست لها من معان
كم تعجم الصحف بالزعفران

خوان الأمير معنى المكان
يرى بالتوهم لا بالمجس
دعا بالخوان على لؤمه
فأما غضائمه الواردات
ونقط منها عراق عراق

وتقول: قرمط الخط أقرمطه قرمطة إذا قاربت بين حروفه. وحَكَى التنوخي: قرمط خطوه إذا قارب بينه.

ومن مليح ما قيل في النقط والشكل قول أبي نواس:

من ذا يطيق براعة الكتاب
حتى شكلت عليه بالإعراب
أم لم تثق بي في قراءة كتاب
من غير وصلكهن بالأنساب
وصدقت فيما قلت غير محاب

يا كاتباً كتب الغدة يسبني
لم ترض بالإعجام حين كتبته
أخشيت سوء الفهم حين فعلته
لو كنت قطعت الحروف فهمتها
وأردت إفهامي فقد أفهمتني

وقال التنوخي: يقال: "كتاب نزل الخط" إذا كانت الكتابة كثيرة فيه. ويقال: "رجل ذو نزل" حبر كثير.
"وطعام له نزل" أي ريع كثير. والعامية تقول: نزل وذلك خطأ قال لبيده:
وذا نزل عند العطية نازلاً
ولن تعدموا في الحرب ليثاً مجرباً
ذا نزل ذا عطاء.

ونحو قول أبي نواس، قول العباس بن الأحنف:

قصدًا فبالغ في الكتاب وأعجا
إني أراك حسبت أن لا أفهمها

إذا الذي كتب الكتاب يسبني
إذا أردت هديت من إعجامه

وتقول: شكلت الكتاب أشكاله شكلًاً. وشكلت الطائر شكولاًً وشكلت الدابة شكلاً. وشكلت المرأة
شكلًاً. وأشكل الأمر إشكالاً التبس. والقوم أشكال أي أشباء.

الحروف التي شبها الشعراً بها

أنشدنا القاسم بن إسماعيل، قال: أنشدنا محمد بن إسماعيل لأبي النجم العجلي الراجز، وكان له صديق، يقال له زياد يسقيه الشراب، فينصرف أبو النجم من عنده ثملاً:

تخط رجالي بخط مختلف

أقبلت من عند زياد كالخرف

كأنما قد كتبنا لام ألف

وقد عيب أبو النجم بهذا، فقيل: لو لا أنه يكتب ما عرف صورة لام ألف كما عيب ذو الرمة في وصف ناقته:

وضمها السير في بعض الأضاميم

كأنما عينها فيها وقد ضمرت

يريد كأن عينها دارة ميم لتدويرها، والأضاءة الغدير، يقال أضاءة وأضاً مثل قطاء وقطا وأضاءة وآضاء مثل أكمة وآكام. فقيل: لو لا أنه يكتب ما عرف الميم.

وحدثنا الغلاي قال: حدثنا عبد الله بن الضحاك، عن الهيثم بن عدبي، قال: قرأ حماد الرواية على ذي الرمة شعره قال: نراه قد ترك في الخط لاماً، فقال له ذو الرمة: اكتب لاماً فقال له حماد: وإنك لنكتب! قال: اكتسم على فإنه كان يأتي باديتنا خطاط، فعلمتنا الحروف تخطيطاً في الرمال، في الليالي المغمرة، فاستحسنتها، فثبتت في قلبي، ولم تخططها يدي. ومن مليح ما قيل في التشبيه بلام ألف قول بكر بن النطاح:

قلب التقى عن القرآن منصرفاً

يا من إذا درس الإنجيل ظل له

كما يعاني لام الكاتب الألفا

إني رأيتك في نومي تعانقني

فقيل: قلب حال القافية، لأن المعنى كما تعانق ألف الكاتب اللام لأن الألف تعطف على اللام. والذى عندي أنه صواب لأن كل شيء عائق شيئاً، فإن ذلك الشيء أيضاً قد عائقه. وقال آخر في التشبيه بالماء:

تنزو الجنادب أوقات الظهيرات

تنزو إذا مسها قرع المزاج كما

من الحباب شبيهات بهاءات

وتكتسي لؤلؤات في تقلبها

وفي مثله يقول أبو نواس:

فوقها طوقاً فدارا

ثم شجت، فأدارت

ر صغاراً وكبارا

كافتران الدر بالد

كاس واوات صغارا

خلاته في جنبات الـ

وقال عبد السلام بن رغبان الحمصي:

حتى ترى نائماً منهم ومنصرفا
والظبي ملتقاً والغصن منعطفا
واختلط كاتبها من فوقها ألفا

ألفات بين السطور قيام

كتبت وكانت قبل عند مهندس
أخذت قوام الشكل من إقليدس

فصارت لام ذاك الصدغ عينا

إذا راقت عيون الناظرينا
فصاغ به لطوق النحر نونا

وشيأ ترى بسيطه مكتوفا

كعطفة الجيم بكف أعسرا
لو زادها عيناً إلى فاء ورا

ومن خضرة الريحان خضرة شارب
فجاء كنصف الصاد من خط كاتب

فاصرف بصرفك وجه الماء يومك ذا

فقام مختلفاً كالبدر مطلعاً
كان قافاً أديرت فوق وجنته

وقال عبد الله بن المعتر:

وكان السقاة بين الندامى

وقال أبو مقاتل الديلمي واسمها صالح:

شهدت لها لام الطراز بأنها
إذا أدارت قاف صدغ خلتها

وقال أحمد بن إسماعيل:

وسائل عذاره من تحت صدغ

وقال بعض الأعراب يصف طوق القمرية:

كان بنحرها والجيد منها
مداداً لاقه قلم لطيف

وقال أبو نواس يصف ريش الصقر:

واجتاب من طرازه تقويفاً
مثل استراق الكاتب الحروفها

وقال أيضاً يصف منسراً:

في هامة علياء تهدي منسراً
يقول من فيها بعقل فكرا

فاتصلت بالجيم فصارت جعفرأً

وقال غيره:

له من عيون الوحش عين مريضة
كان غلاماً ماهراً خط خطمه

وقال غيره:

ورد لي همي وأحزاني
وخطه كاتب ديوان

صدغ على خدك أبكاني
كأنما قومه صائغ

وقال آخر:

كمشقة عطفت من نقطة الراء
وقد بدا صدغه من فوق وجنته

وقال محمد بن عبد الملك الزيات:

كأنما الجسم منه بقة الألف
ماذا تواري ثيابي من أخي دنف

وقال الشروانى الكوفي:

به أمسيت ذا شغف
أما ومطال ذي خلف

بلاميل ولا لطف
ورحمة من خضعت له

بذل الرق معترف
خضوع فتى لمالكه

بخال غير ذي كلف
لقد أصبحت ذا كلف

ر قد عقدت على ألف
كأن معاقد الزنا

ولي من آخر قصيدة إلى بعض الرؤساء أساله حاجة:

فرط التجارب ميمون لميمون
سبقتما في حlap المجد بينكما

تؤخر الميم عن عين وعن نون
فأتبع النون عيناً في المقال ولا

وقال عبد الصمد بن المعتذل لعلي بن عيسى بن جعفر وقد شرب دواء:

به حاجيت مستمعي مقالى
وقد أهديت ريحاناً طريفاً

وليس يموت ريحان المقال
وريحان النبات يعيش يوماً

على ريحان أسماع الرجال
ولم تك مؤثراً ريحان شم

وقال هشام بن عبد الملك للأعرابي: أنظر كم على هذا الميل من عدد الأميال؟ وكان الأعرابي لا يحسن أن يقرأ، فمضى ونظر ثم عاد فقال: رأيت كرأس الحجن، متصلة بحلقة صغيرة، تتبعه ثلاثة كأطباء الكلبة، تفضي إلى هنة كأنها رأس قطة بلا منقار. ففهم بصفته أنها خمسة.

وقال أبو نواس يشبه نحوله بقلة حروف لا:

هلاً تذكرت حلاً
يا عاقد القلب مني

من العليل أقلا

أقل في اللفظ من لا

ترك جسمى علياً

يكاد لا يتجزا

وقال الصولي وأنشدني ابن الخراساني:

مستهتر بالصدود موصوف

كانه في اعتداله ألف

وقال أبو الهندى، وهو أشعث اليربوعي، يخاطب حماره كانت تباعه الخمر، فإذا أعطته كوزاً خطفت عليه خطأ، فرآها تزيد عليه فقال:

فخطي ما بدا لك أن تخطي

إذا ما بعتني كوزاً بخط

على وغلظي بالله شرطي

وزيدي ثم زيدي ثم زيدي

كأن الأذن منه رجع خطى

وصبي في أبيريق صغير

وقال يهجو ابن حجام:

ر CAB من غير دواة

يا ابن من يكتب في الأ

غير خط الألفات

لم يكن يكتب فيها

ما جاء في وصف القلم من الكلام المنثور

قد ذكرنا من فضل القلم، في أول الكتاب، ما يعني عن إعادته.

وقال أحمد بن يوسف: "القلم لسان البصر يناجيه بما استتر عن الأسماع، إذا نسخ حله، وأودعها حكمه".

وقال ابن المقفع: القلم بريد القلب" وقال أبو دلف: "القلم صائع الكلام ويفرغ ما يجمعه العلم".

وقال الجاحظ: "الدواة منهل، والقلم ماتح، والكتاب عطن".

وقال سهل بن هارون: "القلم أنف الضمير، إذا رُعِفَ أُعلنَ أسراره، وأبانَ آثاره".

وقال عمرو بن مساعدة: "الأقلام مطاياقطن".

وقال المؤمن: "الله در القلم، كيف يحوك وشي الملكرة".

وقال جالينوس: "القلم طبيب المنطق" فوصفه من جهة صناعته.

وقال أحمد بن عبد الله: "القلم راقد في الأفئدة. مستيقظ في الأفواه".

وقيل: "عقول الرجال تحت أقلامها".

وقال آخر: "القلم أصم يسمع النجوى. وأخرس ي Finch بالدعوى. وجاهل يعلم الفحوى".
وقال أحمد بن يوسف: "عبارات الأقلام في حدود كتبتها أحسن من عبارات الغواي في صحون حدودها.
وقال العتاي: "الأقلام مطاباً للأذهان".
وقال عبد الحميد: "القلم شجرة ثرثها الألفاظ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة".
وقيل: "برى القلم تروى القلوب الظلمة".
وقال ابن المقفع: "القلم بريد القلب يخبر بالخبر، وينظر بلا نظر".
وقال ابن أبي دؤاد: "القلم سفير العقل، ورسوله الأنبل، ولسانه الأطول وترجمانه الأفضل".
وقال ابن أبي دؤاد: "القلم الدنيا والآخرة".
وقال آخر: "بنوء القلم تصوب الحكمة".
وقال ابن ميسن: "من حلاة شأن القلم أنه لم يكتب لله تعالى كتاباً قط إلا به".
وحدثني الحسين بن عمر ويعقوب بن بيان، قالا: حدثنا علي بن الحسين بن عبد الأعلى، قال: كتب عبد الله بن طاهر إلى إسحاق بن إبراهيم، من خراسان إلى بغداد أن يوجه إليه بأقلام قصبية، كتاباً نسخته.

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإننا على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غابت على الاسم، ولزمنت لزوم الوشي، فحلت محل الأنساب، وجرت مجرى الألقاب. وجدنا الأقلام القصبية أسرع في الكواغد وأمر في الجلود. كما أن البحرية منها أسلس في القراطيس، وألين في المعاطف، ولكل عن تعريفها والتعلق بما ينبو من شظاياها ونحن في بلاد قليلة القصب رديء ما يوجد منها، فأححببت أن تقدم في اختيار أقلام قصبية، وتتنوّق في انتقاءها قبلك، وطلبتها من مظانها، ومرامها من شطوط الأنمار، وأرجاء الكروم. وأن تتيّم باختيارك منها الشديدة المحبس، الصلبة المغض، النقيّة الجلود، الغليظة الشحوم، المكتترة الجوانب، الضيقّة الأجوف، الرزينة الوزن فإنما أبقي على الكتاب، وأبعد من الحفاء. وأن تقصد بانتقاءك الدفاق القضبان، اللطاف المنظر، المقومات الأود، الملمس العقد، فلا يكون فيه التواء عوج ولا أمت. وضم الصافية القشور، الخفيفة الأتن، الحسنة الاستدارة، الطويلة الأنابيب، بعيدة ما بين الكعوب، الكريمة الجواهر، المعبدلة القوم، يكاد أسفلها يهتز من أعلاها، لاستواء رؤوسها بأصولها، المستحكمة ييساً، القائمة على سوقها، قد تشربت الماء في لحائها، وانتهت في النضيج منتهتها، لم تعجل عن تمام مصلحتها، وإنما ينبعها، ولم تؤخر إلى الأوقات المخوفة عاهاها من خصر الشتاء، وعفن الأنداء. فإذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعاً ذرعاً قطعاً دقيناً تحرز معه من أن تتشعّث رؤوسها وتتشقّق أطرافها. ثم عبات منها حزماً فيما يصونها من الأوعية، وعليتها الخيوط الوثيقة، ووجهتها مع من يحيطها في حراستها

وحفظها وإيصالها، إذ كان مثلها يتوازي فيه لقلة خطرها. واكتب معه بعدها وأصنافها، وأحناسها وصفاتها، على الاستقصاء؛ من غير تأخير ولا توان ولا إبطاء، إن شاء الله.

فأصحابه إسحاق - ووجه إليه بالأنايب - وليس بالجواب مما سمعته، إنما وجدته في كتاب: أتاني كتاب الأمير بما أمر به، ولخصه من البعثة إليه، بما شاكل نعنه، وضاهى صفتة، من أجناس الأقلام. فتيممت بغيته قاصداً لها، واستنهجت معلم سؤاله آخذًا بها، فأنفدت منها حزماً نشأت بليف السقيا، وحسن التعهد والبقاء. لم تعجل بأخذها، ولا بودرت قبل إنصاحها. فهي مستوية الأنابيب معتدلتها، متفقة الكعوب مقومتها. لا يرى فيها أمت زور، ولا وسم صعر. وقد رجوت أن يجدها الأمير عند إرادته، وحسب بغيته. إن شاء الله.

حدثنا أحمد بن إسماعيل قال: أهدى مهد أقلاماً وكتب: أنه لما كانت الكتابة قوام الخلافة، وزينة الرياسة، وعمود المملكة، وأعظم الأمور الجليلة غايةً، أحبت أن تخفى من آلتها بما يخفف عليك محمله، وتقل مع ذلك قيمتها، ويكثر نفعه، ويصغر خطره. فبعثت إليك أقلاماً من القصب النابت في الأعذاء، المغذوة بماء السماء. كاللالي المكنونة في الصدف، والأحجار الممحوبة بالسدى. تنبو عن تأثير الأسنان، ولا يثنها غمز البناء. قد كستها طبائعها جوهراً كاللوشي الخطير، وفرند الديجاج المنير. فهي كما قال الكمي:

تسمع للبيض فيها صريرا

وبيض رقاق صفاح المتون

يكاد سناهن يغشى البصيرا

مهند من عتاد الملوك

وكذا النبل في ثقل أوزانها، وقضب الخيزان في اعتدالها، ووشيج الخطى في أطرادها، كأنما خرطت في شهر لاستدارتها. تمر في القرطاس كالبرق اللامع، وتجري في الصحف كالماء السائح. أحسن من العقاب، في رقاب القيان.

وقيل: المختار من بري القلم أن تطيل السنين وتسمنها، وتحرف القطة وتيمنها، وتفرق بين السطور، وتحمّل بين الحروف منها. ولا تقطع ميلولاً حتى يجف لثلا يتّشظى.

حدثنا الحسين بن يحيى، قال: انكسر قلم بعض الكتاب فرثاه بأبيات فقال:

عري من دقة ومن عظم

ما عيب طولاً ولم يعب قصراً

لفظ كفاني مخارج الكلم

كان إذا ما تضائقت سبل ال

وليس في قوله بمتهم

لا حصر القول عند خطبه

وجاء يوماً عبد الله بن المعتز في المسجد الجامع إلى أبي العباس أحمد بن يحيى ليسلم عليه، فقام له وأجلسه مكانه، فداس ابن المعتز قلماً فكسره فلما جلس قال لمن حوله:

أثارت قتيلاً ما لأعظمه جبر

لکي وتر عند رجلی لأنها

فعجب الناس من سرعة بديهته!.

أهدى رجل إلى إبراهيم بن المدبر قلماً وكتب إليه: قد وجهت إليك - أعزك الله - بفاتح العلوم باد
جمالها، تام كمالها، فهي كما قال الشاعر:

كملت لو أن ذا كمالا

ليس فيها ما يقال له

كائن من حسن مثلا

كل جزء من محاسنها

حدثنا أبو العباس الربعي، قال: حدثنا أبو العباس الربعي، قال: حدثنا الطلحى،
قال: حدثني أحمد بن إبراهيم قال دخل إلى الرشيد أعرابي فأنسدته ارجوزة - واسماعيل بن صبيح يكتب
بين يديه كتاباً، وكان أحسن الناس خطأً، وأسرعهم يداً - فقال الرشيد للأعرابي: "صف هذا"، فقال:
"ما رأيت أطيش من قلمه. ولا أثبت من حلمه". ثم قال:

يديك الھوينا والأمور تطير

رقيق حواشي الحلم حين تثوره

صحابته في الحالتين ذرور

له قلما بؤسى ونعمى كلامها

ويفتح باب النجح وهو عسير

يناجيك عما في ضميرك لحظه

فقال الرشيد "قد وجب لك يا أعرابي عليه حق هو يقضيك إياه، وحق علينا فيه نحن به. ادفعوا إليه دية
الحر" ، فقال له: "على عبده العبد".

ومن مليح ما في القلم ما أنسدناه محمد بن زياد الزيادي، لعمر بن إبراهيم بن حبيب العدوى يرثى قلماً له
سرق:

جودي بدمع مشبع بدم

يا عين جودي بواكف سجم

أسيت حرى لفجعة القلم

لا تطعني عقدة وكيف وقد

تنطق من غير منطق وفم

جودي على الناطق البليغ إذا اس

وليس في حكمه بمتهم

لا حصر القول عند خطبته

ضمت بها عربها إلى العجم

حلت عرى الحزم منه جانحة

جلدته بردة كلون دم

أصفر في حمرة كأن على

مج عليه حنادس الظلم

إذ أنها والقرطاس لاح له

ما عيب طولاً ولم يعب قصراً
 إن قدح العائدون فيه بأن
 كان إذا ما تضائقت سبل ال
 حسبك منه لسان مطلع آل
 ينبيك إن لجاج الغبي بما
 فاذهب حميداً كما قد فقدت وما

عربي من دقة ومن عظم
 صم فأكرم به أخا صمم
 لفظ كفاني مخارج الكلم
 ناظر في ظاهر ومكتتم
 أضمر من خبر عالم فهم
 فقدت منا مناعت الكرم

حدثني يعقوب بن بيان الكاتب قال: قال بعض الكتاب: "القلم الرديء كالولد العاق".

وقالوا: "القلم أحد اللسانين، والعلم أحد الأبوين، والتشتت أحد العفرين، والمطل أحد المنعين وقلة العيال
 أحد اليسارين، والقناعة أحد الرزقين، والوعيد أحد الضربين، والإصلاح أحد الكسرين، والرواية أحد
 الماحيين، والهجر أحد الغرائقين، واليأس أحد النجحين، والمزاح أحد السبابين".
 وقال: "القلم لسان اليد".

وفاخر صاحب سيف صاحب قلم، فقال صاحب القلم: "أنا أقتل بلا غرر، وأنت تقتل على خطر". فقال
 صاحب السيف: "القلم خادم السيف، فإن بلغ مراده وإن فلألي السيف معاده. أما سمعت قول أبي تمام:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

وقال آخر: "مساق أمر الدنيا بسین وقاف فيقال سق" يرید السيف والقلم.

حدثني وكيع قال: حدثني جعفر بن كوال قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: "لسان الإنسان قلم ملكه
 الموكل به ومداده، وقرطاسه جلد، يملي عليه كتاباً إلى ربه. فلينظر الإنسان قبل فوت النظر ماذا يملي".

ذكر ما قيل في القلم من الشعر

قال أبو تمام:

لك القلم الأعلى الذي بشباته
 لعب الأفاعي القاتلات لعابه
 له ريقه طل ولكن وقعها
 فصيح إذا استطقته وهو راكب
 إذا ما امتنى الخمس اللطاف وأفرغت

تصاب من الأمر الكلى والمفاصل
 وأري الجنى اشتارته أيد عواسل
 بتأثره في الشرق والغرب وابل
 وأعجم إن خاطبته وهو راجل
 عليه شعاب الفكر وهي حوافل

أعليه في القرطاس وهي سوافل
ثلاث نواحية الأنامل
ضنى وسمينا خطبه وهو ناحل

إذا استغزر الذهن الذكي وأقبلت
وقد رفته الخندران وسدلت
رأيت جيلاً شأنه وهو مرحف

وقال أحمد بن إسماعيل: أحسن قدود القلم، أن لا يتجاوز به الشير بأكثر من حلقته، وأن تبعد منه الأنامل الثلاث، ويؤخذ من أوسعه لأنها إذا أدنى منها لم تؤمن أن يماس القرطاس بها فتسوده.

وقد مدح الشاعر بعض الكتاب بنحو من وصفه هذا فقال:

تساعده الكف والمقول
ويأخذ أفلامه من عل

شريف الصناعة محمودها
يقيم من الخط أشكاله

وقال غيره يصفه بعقار الشير:

على حدو شبر أو يزيد على الشير
بمر جناحين استعيرا من الفكر
تضعضع أصحاب المتفقة السمر
ويصدر آراء الملوك وما يدرى

له ترجمان يطرب للفظ أخرس
له منخر في غير وجه ويهتدى
إذا خر يوماً ساجداً عند وحيه
يدمر أقواماً وينعش معشراً

قال أبو بكر: ولی من قصيدة في بعض الرؤوساء أذكر هذا المعن:

ببديه يروض عقاً وفكراً
ن نعيمًا وليس يعرف ضراً
مذهب اللون قد تطرف جراً
مع جري المداد نفعاً وضراً
ذ حذف شابوره وقدر شبراً
في قراتيسه وتثير دراً

يتقادى أعداؤه من خطيب
ناحل الجسم ليس يعرف من كاً
ناطق في الورى بلفظ سواه
قلم يجلب السواد ويجرى
ضامر الكشح مخطف الجيد م
ويد ما تزال تتنشر وشياً

وقال الفضفاضي:

بقاوه واللام والميم
في فعله مثل الأقاليم
كإبرة الروس من الريم

في كفه أخرس ذو منطق
شبر إذا قيس ولكنه
حرف الرأس ومسوده

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي: قلت قول عدي بن الرقان العاملبي، في صفة طرف قرن الرشا، وهو ولد الظبي، وتشبيهه بالقلم قال عدي:

قلم أصاب من الدواة مدادها

ترجي أغن كأن إبرة روقه

ويروى أن جريراً قال - وكان حاضراً - عدي وهو ينشد هذه القصيدة، لما أنسد صدر البيت: "ترجي أغن كأن إبرة روقه". رحمةه وقلت هلك فلما قال: "قلم أصاب من الدواة مدادها" حالت الرحمة حسداً. وأخذ البيت الثاني من هذه الثلاثة أبيات ابن الرومي فقال يهجو ويصف هن امرأة:

وهو في إصبعين من إقليم

يملاً السبعة الأقاليم طرأ

ولحمدان الدمشقي من أبيات:

لما استعارت لساناً منه مقدوداً

أهدت له الحياة الرقشاء جلتها

وله في نحو هذا البيت:

وله إذا لم تجره اطرافه

الأيم نفتته وشق لسانه

من حيث يجري سمه ترياقه

فكأنه النضناض إلا أنه

وقال غيره من أبيات:

يزدرى عنده زئير الأسود

ولأقلامهم زئير مهيب

مغنيات عن كل جيش مقود

أرغبتهم عن القنا قصبات

بهم كمرهوب خافقات البنود

والقراطيس خافقات بأيد

وكتب إلى أبي علي محمد بن علي في أيام ابن الفرات الأولى بقصيدة منها:

إذا تشابه وجه الرأي واجتبأ

مشف على الرأي نظار عواقبه

يسومنا رغباً إن شاء أو رهباً

في كفه صارم لانت مصاربه

لا يبلغان له جداً ولا لعباً

السيف والرمح حدام له أبداً

ويعصيان على ذي النصح إن غضباً

يرمي فيرضيهما عن كل مجرم

ولا يحس له صوت إذا ضربا

تجري دماء الأعدى بين أسطره

ولا رأينا حساماً قبل ذا قصباً

فما رأينا مداداً قبل ذاك دماً

أنظم الدر في القرطاس أن كتبنا

وقد شكنا فما ندري لشربته

وقال آخر في سفر طويل:

أغرى به الحيرة فقدان
أحوى لطيف الكشح خمسان
من باكر الوسمى هتان

وعاشق تحت رواق الدجى
أعرب عن مكنون إضماره
يتwig غدرًا لثرى جادها

بلاغة تسدى وبرهان
يكسو عراة وهو عريان
له إذا ما أجبت ميعان
مختلفات القصد أقران
من خالص الفضة قضبان
من ريقة الكرسف ريان
القول في التدقيق أذهان
ما افتر للمنطق ثعبان
شخصاً له حد وجثمان
بيض المعاني وهي سودان
ذيلاً من الحكمة سحبان
ولا سما بالملك ديوان

يحوك وشياً نقش ديباجه
وفيه للناظر أujeبة
كأنما الدنيا بأقطارها
تجري به خمس مطايلاً له
كأنها من ضم تركيبها
له لسان مرهف خده
في دقة المعنى إذا أغرت
كأنما يفتر عنه إذا
ترى بسيط الفكر في نظمه
كالحلي إلا أنه أحرف
كأنما يسحب في إثرها
لولاه ما قام منار الهدى
وقال أبو يزيد عتاب بن ورقاء:

أبان لك العدو من الولي
على القرطاس أبهر من حلي
بإحسان وويل للمسى
وأنفذ من شباء السمهري
سلاح الفارس البطل الكمي

لـ القلم الذي لم يجري إلا
إذا استرعته ألقى سواداً
فيما طوبى لمن أدلـ إلـيه
شباء سنانـه في الحرب أمضـى
فقال: سلاح مـتكـ وهو يـعزـى
وأنشدـي عـونـ:

له ذملـانـ في بطـونـ المـهـارـقـ

وأسـمـرـ طـاوـيـ الكـشـحـ أـخـرـسـ نـاطـقـ

بلا صوت إرداد ولا صوت بارق
 إذا استمطرته الكف جاد سحابه
 نور الأفاحي في بطون الحدائق
 كان اللالي والزبرجد نظمه

 إذا ما استهلت مزنة للصواعق
 كان عليه من دجي الليل حلة
 مجلة تمضي أمام السوابق
 إذا ما امتطى غر القوافي رأيتها

 وأشارت عون للفضاضي:

 لغاية منطق فكبا لعي
 لك القلم الذي لم يجر يوماً
 ويخرج وهو ذو بال رخي
 ومبتسماً من القرطاس يأسو
 ولا الصمصاص سيف المذحجي
 فما المقدار أمضى من شباء

 قال أبو بكر: ولي من قصيدة، مدحت بها ابن الفرات، في وزارته الأولى:

 وما فيه إن تبيّنت لب
 في يديه محكم في ذوي اللب
 ناقص القدر زائد الحد عصب
 شهد السيف أنه السيف حقاً
 حين تدعى بدرة الموت حرب
 وسيوف العدالة انفذ جداً
 نافذ ضربه وما منه ضرب
 من رأى مثل ما وصفت حساماً
 من دماء العصاة ولع وخضب
 كل يوم له ولم يلق كيداً

 قال أبو بكر: ولي من قصيدة طويلة مدحت بها بعض الرؤساء:

 تواصل الضرب مع الطعن
 في يدك الأعلى محلى به
 جاء إليه مرعد المتن
 إن نبه السيف لأمر له
 ويسمع السر بلا أذن
 ينظر ما يهوى بلا ناظر
 يطعن من يهواه في الطعن
 يذري دموع العاشق المبتلى
 لم يك من غم ولا حزن
 فيضحك الملك بكاء له
 إذا امتطى القرطاس كاللعن
 ترى لديه فصحاء الورى
 لم يغتصبه ظلم الجفن
 سيف على الأعداء لكنه

 وأشارت عون للفضاضي:

 قلب كئيب القلب حرانه
 ما ضر من أضنى به حرانه

وله في صفة القلم أبيات من قصيدة في بعض الرؤساء:
له القلم الأعلى الذي سار عده
يشابه حد السيف رقة حده
ويبلغ ما لم يبلغوا في عدوه
تصرفه منه ثلاثة أصابع
إذا ما حوته وامتطى بطن مهرق
إذا أظلم الدهر الخؤون بصرفه

قال أبو بكر: و كنت أنشدت العباس بن الحسن قصيدة استحسنها الناس، و وصفوا بيّنا فيها عنده أخذه ذكره: ذكره:

لما استباحوا حرمة الإسلام
أجرى دمائهم على الأقلام
حدثني محمد بن أحمد الأنباري، قال: دخل عيسى بن فرخانشاه على جارية وهي تكتب خطأً حسناً
فقال:

وينثر دراً لفظها المترشف
وفي إصبعيها أسمر اللون مرهف
ينال جسيمات المدى وهو أعجف
سريعة جري الخط تتظم لولواً
وزادت لدنيا حظوة ثم أقبلت
أصم سميع ساكن متحرك
وقال بعض الوراقين يصف قلمه ويدحه ويدرك استغناءه:

ويعيدي في نوبة الألواه
ه عن الأشخاص والبخلاء
وأطريه غاية الإطراء
ر إلى إخوتي من الأدباء
المهرق عن سالف الأنباء
قب يفري دجنة الظلماء
يا مجيري من سطوة الأمراء
والذي صان حر ديباجة الوج
والذي لا أزال أنت في الشعر
وسفيري بما أريد من الأم
والذي لا يزال يخبر في
وإذا ما ابتعثته استن كالثا

وقال عبد الله بن المعتز في القاسم بن عبيد الله:
ري بما شاء قاسم ويدور
ساً كما قلب البساط شكور
قلم ما أراه أو فلك يج
را��ع ساجد يقلب قرطا
و فيه يقول:

لمختلفات الضن يسمع أو برى
يفتح نوراً أو ينظم جوهراً
عليه بأعقاب الأمور كأنه
إذا أخذ القرطاس خلت يمينه
وقال ابن الرومي فأحسن:

بأنجف من قلم الكاتب
ظهرت على سره الغائب
لعمرك ما السيف سيف الكمي
له شاهد إن تأملته

أرأه المنية من جاني
ألم تر في صدره كالستان
وقال أبوأسامة الكاتب كاتب عياض:
وأعجف مشتق الشباء مقلم
تبين خفي السر آثاره لنا
يؤدي صحيح القول عنه مخاطباً
إذا استغزرته الكف فاصلت سجاله
وقال صالح بن عبد الملك بن صالح يخاطب كاتب أبيه:

أجريت فوق صدور كتبك دامغاً
ميتاً تشفه القلوب بعلمها
مستعجاً فإذا لواحظ ترجمت
تجري سناكب بغیر حوافر
يیکیه ضحاک الفکر والأوهام
بیدی ضمائیرها بغیر کلام
عنه آتی بفصاحة الأعجم
فیدیرنا ورداً بغیر لجام

قال: ودخل محمد بن ذؤيب العماني الراجز على الرشيد، فأنشده أرجحوزة يصف فيها فرساً شبه أذنيه فيها
بعلم حرف:

كان أذنيه إذا تشوفاً
قادمة أو قلماً محرفاً

فقال له الرشيد: دع كان، وقل: "تحال أذنيه إذا تشوفاً" حتى يستوي الإعراب.

ما قيل في القلم وبريه

حدثنا أحمد بن إسماعيل بن الخصيب قال: من کلام مسلم بن الوليد الأنباري، في صفة بري القلم قوله:
"حرف قطة قلمك قليلاً ليتعلق المداد به، وأرهف جانبيه ليبرد ما استودعته إلى مقصده، وشق في رأسه
شققاً غير عاد ليحتبس الاستمداد عليه، ورفع من شعبيته ليحتمل حواشى تصويره، فإذا فعلت ذلك استمد
القلم برشقه بمقدار ما احتملت ظبته فحينئذ يظهر به ما سداه العقل، وألحمه اللسان، وبنته اللهوات،
ولفظته الشفاه، ووعته الأسماء، وقبلته القلوب".

ويقال: بريت القلم أبريء برياً فأنا بار له والقلم مبرى. وكذلك بريت القدح والمغزل وهو أخذك منهما

حتى يتقو ما على إرادتك قليلاً قليلاً، لأنك إن لم تفعل ذلك برفق قطعه.
وقال عبد الله بن مصعب:

برى الصناع قدح النبع بالسفن

قد طالما قد بروا بالجود أعظمنا

وقلما يلبت شيء على البرى إذا لم يك صلباً قوياً في جنسه، فلذلك يستجاد للقلم القصب. ألا ترى إلى
قول كثير:

إذالم يكن صلباً على البرى عودها

ولن يلبت الواشون أن يصدعوا

العصا

ويقال لجميع ما يسقط من قلم وسهم ومغزل إذ برى البراءة.

وقال أوس بن حجر يصف صانعاً لقوس يبريهما بمبراته:

شبيه سفى البهمى إذا ما يفتلا

على فخذيه من براءة عودها

ويقال لما بين العقدتين من القصب أنبوب، والجمع أنايب.

وكان بعض الكتاب يجيد الخط ولا يجيد برى القلم، فيرى له. وبعضهم يرى أن في ذلك مهنة يترفع
عنها. وقال بعض الكتاب:

في بريه كل مهنة وضعه

لم ترني قط باريأ قلماً

يردي به سنه ولا طبعه

ما كل من يحمل الحسام لكي

فما يدرى دبيراً من قبيل

دخل في الكتابة ليس منها

تنكب عاجزاً قصد السبيل

إذا ما رام للأنبوب بريأ

لأصبعه ومن قلم قتيل

فكائن ثم من قطع رحيب

وكان اشتقاد القلم من التقليم، وهو القطع ومنه تقليم حافر الدابة ومنه قلمت ظفري. وكل شيء ترى
به شيئاً وتطقطقه فهو مبرأة والجمع مبار، والمرأة السكين الذي يرى به القوس ثم جعلوا ما يقطع
مبرأة. وقال امرؤ القيس يصف قرن ثور:

كما خل ظهر اللسان المجر

فكر إليه بمبراته

المجر الفاعل، وأصل الإجرار أن يشق طرف اللسان لسان الفصيل حتى لا يرضع أمه، وحله جعل فيه
خاللاً. وذكر امرؤ القيس أن الثور طعن كلب الصيد ففعل به هكذا. وكان الوجه أن يقول: فكر إليه

عبراً فخله كما خل، فاستغنى عن قوله "فخله" لعلم المخاطب بما يريد.
والبراءة ما سقط من القلم إذا بريته والليطة ما كان من قشر الأنوب والجمع ألياط مثل عنب وأعناب ولبيط وألياط مثل جمل وأجمال. والشظية ما تشظى من الأنوب والجمع شظايا وشظي القلم يشظى شظايا إذا صارت مع أحد سنيه شظية عنه. وأصل التشظي في اللغة "التفرق والتشقق" وشظي الفرس تفرق عصبه وتشقق. وقالوا: شظية وشظايا مثل بلية وبلايا وشظاة مثل نواة ونوى لا يكتب إلا بالألف لأنه يقال ثلاث شظايا وشظوات. وحفى القلم يحفى وحفاء وحفائية وكذلك في غيره.

ومن وصف الكتاب

حدثني القاسم بن إسماعيل قال: رأى ابن شبل البرجمي إبراهيم بن العباس وهو يكتب فقال:

ينظم اللؤلؤ المنثور منطقه

حدثنا الحسن بن علي الكاتب قال: حدثني سليمان بن وهب قال: رأى أبو تمام وأنا أكتب كتاباً فقال: "يا أبا أيوب كلامك ذوب شعري". وأنشدي محمد بن الفضل بن الأسود:

بلا هز طي ولا سل قاضب	إذا شئت يوماً أن ترى بهم الوعي
وجوههم في الملتقى كالكواكب	فررك عنان الطرف نحو معاشر
أنامل ربات الدور الكواكب	يهزون صفر الحطيات كأنها
قراطيس تحكي واصحات الترائب	إذا أر عفوها زينت برعافها

وشبيه بالبيت الثالث قول القصافي يصف حارية كاتبة:

إذا تقمص بالحناء فالكتم	أفدي البنان وحسن الخط من علم
شبها ثلاثة أقلام على قلم	كأنما قابل القرطاس من يدها

حدثنا الحسين بن علي البامطاني لسليمان بن وهب قال، وكان قلمه يصر من شدة اعتماده عليه:

أصم الذكي السمع منها صريرها	إذا ما حددنا وانتضينا قواطعاً
تدور بما شئنا وتمضي أمورها	تظل المنايا والعطالي شوارعاً
كمثل الآلي نظمها ونشرها	يساقط في القرطاس منها بدائعاً
تكشف عن وجه البلاغة نورها	يقود أبيات البنان بفطنة
تجلت بنا عما تسر ستورها	إذا ما الخطوب الدهم أرخت ستورها

وأنشدنا يعقوب بن بيان:

مستقل بكل أمر جليل
بالغ في جوامع وفضول
طان بين التوقيع والنقبيل

لك حزم يلقى الخطوب بعزم
ولسان في الحفل غير كليل
ويد لم تنزل من العز والسل

الجزء الثاني

ما قيل في الدواة

أنشداً أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: أَنْشَدَنِي أَبُو هَفَانَ:

كُنْتُ فِيهِ الدَّوَّاهُ وَالْأَقْلَامُ

دَابَ مُنْثُرَهَا مَعًا وَالنَّظَامُ

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَا الْمَشْهُورُ مَا قِيلَ فِيهَا فَشِعْرُ بَعْضِ الْكِتَابِ، وَقَدْ أَهْدَى دَوَّاهُ مَحْلَةً بِذَهَبٍ، وَهِيَ مِنْ

آلَّةِ الْمَجْلِسِ الظَّرِيفِ إِذَا مَا

يَتَهَادِي فِيهِ الْبَلَاغَةُ وَالْأَ

وَالْعَطَّالِيَا نَجِيَّةُ الْأَحْسَابِ

تَرِيَا عَجَبًا بِصَفَرِ الثِّيَابِ

حِينَ يَجْرِي لِعَابَهَا فِي الْكِتَابِ

هُنَّ أَمْضَى مِنْ مَرْهَفَاتِ الْحَرَابِ

قَدْ بَعْثَتَا إِلَيْكَ أُمُّ الْمَنَّاِيَا

نَتَرِيَا بِصَفَرَةٍ وَكَذَا الزَّنْجِ

رِيقَهَا رِيقٌ نَّحْلَةٌ مَعَ صَابِ

فِي حَشَاهَا لِغَيْرِ حَرَبِ حَرَابِ

وَقَالَ غَيْرُهُ:

عَقَامٌ إِذَا مَا اسْتَجَدَتْ لَمْ تَكُلِّمُ

أَحَادِيثُ مِنْ أَيَّامِ طَسْمٍ وَجَرَهُمْ

أَثَافِي مِنْ لَحْمِ كَرِيمٍ وَمِنْ دَمِ

وَشَكَا بَعْضُ الْكِتَابِ أَنَّ دَوَاتَهُ بَلَا مَدَادَ، فَقَالَ لِبَعْضِ أَخْوَانِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَدَادًا:

وَهِيَ عُونِي فِي حَاجَتِي وَعَنَادِي

يُقْقَلُ اللَّوْنُ مِنْ حَلُوكَ السَّوَادِ

مِنْ بَنِي يَافِثِ بِغَيْرِ وَلَادِ

خَلْقٌ أَنْ تَمْدِهَا بِمَدَادِ

وَمَا أُمُّ أَوْلَادٍ وَلَمَا تَلَدُهُمْ

وَأَوْلَادُهَا خَرْسٌ وَيَأْتِيُكَ عَنْهُمْ

إِذَا اسْتَعْجَلُوا فِي حَالَةٍ أَرْقَلْتَ بَهُمْ

وَشَكَا بَعْضُ الْكِتَابِ أَنَّ دَوَاتَهُ بَلَا مَدَادَ، فَقَالَ لِبَعْضِ أَخْوَانِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَدَادًا:

أَنَا أَشْكُوُ إِلَيْكَ أَنَّ دَوَاتِي

عَطَلَتْ مِنْ مَدَادِهَا وَاسْتَعَاضَتْ

لَمْ تَزُلْ مِنْ بَنَاتِ حَامِ فَصَارَتْ

أَنْتَ لِلْحَادِثَاتِ عَدَةٌ صَدْقَ

وَأَنْشَدَنَا عَلِيُّ بْنُ الصَّبَّاحُ:

بَكَفِ فَتَى حَلُو الْكِتَابَةِ حَاذِقُ

إِذَا طَعَنْتَ فِي شَاكِلَاتِ الْمَهَارِقِ

دَوَّاهُ حَدِيدٌ زَيْنَ اللَّهِ خَلْقَهَا

تَدِيرُ الْعَطَّالِيَا وَالْمَنَّاِيَا حَرَابَهَا

ولأحمد بن إسماعيل في وصف الدواة، إلا أن وصف القلم يتقدمها في أبياته:

أرقش بز الأفعوان جلده	في كفة مثل سنان الصعدة
كأنه متتسح ببرده	يلتهم الجيش للهام وحده
أو صافح السيف الحسام قده	لو صادم الطرد المنيف هده
يمزج فيه صبر بشده	يأوي إلى طير له معده
يمدها جار كثيف العده	ترضعه من مقلة مسوده
مقلتها مكحولة بنده	كأنه الليل إذا استمده

قوله: "كأنه الليل إذا استمده" ن يشبه قول ابن الرومي يصف حبر أبي حفص الوراق:

حبر أبي حفص لعاب الليل	كأنه ألوان دهم الخيل
بغير ميزان وغير كيل	يسيل للإخوان أي سيل

وعلى ذكر الخبر فإننا نذكر قول بعض الوراقين:

بادي تياره يزخر	ولجة بحر أجم العباب
بذورتها حم تقطر	تثور إذا جاش من قعرها
جواهرها حكم تتنز	فأكرم ببحر له لجة

وقال بعضهم: إنما سمي الحبر حبراً لأنه تخبر به الأخبار. أنسداني الحمدوني لنفسه:

عنان شاوي عما رمت من وهمي	شتان من أدوات العلم قد ثنتا
وعلم المال مني حرفة القلم	أما الدواة فأودى حملها جسدي

وبحرت في صحف الحرف محبرة

ونحوه، وليس هو، مما قصدناه في كتاب الكتاب، ولكنه اعترض فجئت بما أحفظ فيه لغير الحمدوني:

ولول شقائي ما عرفت المحابرا	جمعت حروف الحرف في الحبر كلها
لحملي في كمي إليه الدفاترا	وقد زاد بي الإخفاق في كل موطن
طلابي لما أن عرفت المساطر	وسطر في أثناء قلبي تعلا

وفي مثله:

لما أخذت حروف الخط حرفني

أقوت منازل مالي حين أوطنها

وقال آخر:

وَظَلَتْ ذَا هُمْ وَذَا احْتَرَقَ

أَدْنَى وَلَا أَشْقَى مِنَ الْوَرَاقَ

رَأَيْتَهُ مَطْنَزَةً لِلْعُشَاقَ

كَفْرَةُ الْجَنْدِيِّ بِالْأَرْزَاقَ

أَدْمَى الْبَكَا جَفْنِيِّ وَالْمَاقِيِّ

مَا أَنْ أَرَى فِي الْأَرْضِ وَالْآفَاقِ

إِذَا أَتَى فِي الْقَمْصِ الْأَخْلَاقِ

بِفَرَحِ الْأَفْلَامِ وَالْأَوْرَاقِ

قال أبو بكر: حدثني أحمد بن محمد الأنباري، قال: قيل لوراق: ما تشتئي؟ قال: قلماً مشاقاً، وحرراً براقاً، وجلوداً رقاقاً.

وقال بعض المحدثين في محبرة:

فَإِذَا بَحْضُرَتِهِ ظَبَاءُ رَتَعَ

يَمْلِى وَتَحْفَظُ مَا يُقَالُ وَتَسْمَعُ

بِيَضَاءِ تَحْمِلَهَا عَلَاقَ أَرْبَعَ

فَكَانَهَا سَبْجٌ يَلُوحُ وَيَلْمِعُ

فِيمَا حَوْتَهُ عَاجِلًا لَا يَطْمَعُ

أَدَاهُ فُورَّهَا وَهِيَ لَا تَتَمَنِعُ

أَبْدًا وَيَكْتُمُ كُلَّ مَا يَسْتَوْدِعُ

يَجْرِي بِمِيدَانِ الْطَّرَوْسِ فَيُسْرِعُ

تَلْقَاهُ بِرْجَفَةِ سَاعَةٍ يَطْلَعُ

شِيخٌ لَوْصَلَ خَرِيدَةٍ يَتَصْنَعُ

وَبِهِ إِلَى اللَّهِ الصَّحَافَ تَرْفَعُ

وَلَقَدْ غَدَوْتَ إِلَى الْمَحْدُثِ آنَفًا

وَإِذَا ظَبَاءُ الْأَنْسِ يَكْتُبُ كُلَّ مَا

يَتَجَاذِبُونَ الْحَبْرُ مِنْ مَلْمُومَةٍ

مِنْ خَالِصِ الْبَلُورِ غَيْرِ لَوْنَهَا

إِنْ نَكْسُوْهَا لَمْ تَمْلِيْكُهَا

وَمَتَى أَمْلَوْهَا اَرْشَفَ رَضَابَهَا

فَكَانَهَا قَلْبٌ رَصِينَ سَرَهُ

يَمْتَاحُهَا مَاضِيُّ الشَّبَّاةِ مَذْلُقَهُ

رَجْلَاهُ رَأْسٌ عَنْدَهَا لَكْنَهُ

فَكَانَهُ وَالْحَبْرُ خَضْبُ رَأْسِهِ

لَمْ لَا أَلَاحَظْهُ بَعْنَيْنِ جَلَلَةٍ

وقد قال بعض الكتاب: حكم الدواة أن تكون متوسطة في قدرها، نصفاً في قدها، لا باللطيفة جداً فتقصر أفلامها، ولا بالكبيرة فينقل حملها. لأن الكاتب - ولو كان وزيراً مائة غلام مرسومون بحمل دواته - مضطر في بعض الأوقات إلى حملها ووضعها ورفعها بين يدي رئيسه، حيث لا يحسن أن يتولى ذلك منها غيره، ولا يتحملها عنه سواه. وأن يكون عليها من الخلية أخف ما يتھيأ أن يتحلى الدويي به من وثاقة ولطف صنعة، ليأمن أن تنكسر أو تنفص منها عروة في مجلس رئاسة أو مقام محنة. وأن تكون

الحلية ساذجة، لا حفر ولا ثبات فتحمل القذى والدنس، ولا نقش عليها ولا صورة لأن ذلك من زى أهل التوضع، لا سيما في آلة يستعان بها مثل هذه الصناعة الجليلة المستولية على تدبير المملكة، وإن أحرقت الفضة حتى يكون سوادها أكثر من بياضها، فإن ذلك أحسن وأبلغ في السرو وأشبه بقدر من لا يتکثر بالذهب والفضة.

وقد حکى عن المأمون أنه رأى على أسنان دابة له فضة فنهى عن استعمالها وقال: إنما يتکثر بالذهب والفضة من قلا عنده.

و كذلك قال المنصور للمهدي وقد رأى تحته سرجاً جامه مفضض: أترى الناس لا يعلمون أنك من وراء كل شيء تريده فأنزل هذا اللجام.

حدثنا أحمد بن يزيد المهلي قال حدثني أبو هفان قال سألت ورافقاً عن حاله فقال "عيشي أضيق من محبرة، وجسمي أدق من مسطرة، وجاهي أرق من الزجاج، ووجهي عند الناس سواداً من الحبر، وحظي أحقر من شق القلم، وبدني أضعف من قصبة، وطعامي أمر من العفص، وسوء الحال ألزم لي من الصبغ". فقلت له: عبرت عن بلاء بيلاء.

وقال آخر:

يقلب ماء اسوداً من قليب

ترى الرشا والحلب أنبوة

وهذه تتب زهر القلوب

روض الندى ينبت زهر اللهى

و سهل وراق عن حاله فقال:

وطول النهار أنا ألعب

إذا كنت بالليل لا أكتب

وطوراً يبطلي مشرب

فطوراً يبطلي مأكل

في بيتي أول ما يخرب

فإن دام هذا على ما أرى

ولا يستحسن أن يکثر عدد الأقلام في الدواة، فاحسن ذلك أن تكون أربعة إلى ما دون ذلك. وقد قيل فيه:

ذلك عندي من الدوى معيبة

لا أحب الدواة تحشى يراغعا

إذا شئت فاستزد أنبوبه

قلم واحد وجودة خط

سيره دائباً وتلك جنبيه

هذه قعدة الشجاع عليها

ويقال: دواة ودويات لأدنى العدد وفي الكثير دوى. وقال أحمد بن ثور يصف ناقته:

كان توشي أقرانها

نشحن: عرقن. وجمع الدوى دوى. وأراد بمحظ الدوى محظ أقلام الدوى، فاستجار ذلك لأن المعنى لا يشتبه كقوله عز وجل: "واسأله القرية" ي يريد أهل القرية.
 وأنشد الفراء:

أقر المعروف منها وانمحى

لمن الدار كخط بالدوى

ويقال: حليت الدواة أحللها تحلية وحلية حسنة وجمع الحلّى الحلّى مثل ثدى وثدي. وقالوا: حليت الرجل إذا أخذت علامات من جسده، أحللية تحلية، وهذه حلية الرجل وجمعها حلّى وحلّى بضم الحاء وكسرها قد قرئ "من حلّيه عجلاً" و "من حلّيهم". دواة دوى مثل نواة ونوى، دواة دوى مثل فتاة وفتى، دواة دويات مثل حصاة وحصيات، ويقال دواة دوايا وهي رديئة، قال الشاعر:

ألقنا الدوايا بالدموع السواجم

إذ انحن وجهنا إليكم صحيفه

اللاقة الدواة

يقال ألقت الدواة أليقها إلقاء، إذا أدرت كرسفها حتى تسود، وألقوها بينهم كلاماً أي أداروه بشرعه، ومنه القراءة: "إذ تلقونه بأسنتكم" ، أي تديروننه بسرعة، وقال بعض المفسرين: تلقونه تسرعون منه إلى ما لا تعلمون. وقال ابن الرقيات:

جاءت به عيسى من الشام تلق

أي تسرع وقرها يحيى بن يعمر. وحقيقة ألاق الدواة في اللغة إنما هو أدار المداد فيها حتى لصق وعلق، ومنه قولهم لا يليق هذا أي لا يلصق به ولا يعلق.
قال أبو بكر: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثنا الأصممي قال: قدمت على الرشيد في بعض قدميات فقلت: "ما ألاقتني الأرض حتى رأيت أمير المؤمنين" ، فلما خرج قال: ما معنى ألاقتني قلت: ما ألصقتي لها ولا قبلتني.

والصواب المختار أن يقول ألقت الدواة فأنا مليق لها وهي ملقة.

وحكى عن ابن دريد: ألقت الدواة ولقت من لاق يليق فهو لائق وذاك مليقة من هذا والمصدر لاق ليقا وليقا. وما لاقت المرأة عند زوجها أي ما لصقت بقلبه. ولاقت الدواة صارت هي نفسها مليقة. وفلان ما يليق شيئاً أي ما يثبت في يده شيء. وأنشدنا محمد بن الفرج أبو جعفر المعري قال: أنسدنا محمد بن أحمد الطوال عن أبي الحسن الكسائي في لاق الدواة ليقاً:

لو يكتب الكتاب عرفك فرغوا

لبق الدوى وانفذوا الأقرا ما

الكرسف وما قيل فيه

قال أبو بكر: الكرسف القطن خاصة دون غيره، ثم صاروا يسمون كل شيء وقع موقعه في الدواة من صوف وخرقة كرسفاً قال طرفة:

خلال البيوت والمنازل كرسف

وجاءت بصراد لأن صقيعه

وكرسفت الدواة جعلت لها كرسفاً والجمع كرافس. قال وهب المداني:

وعاد به جو العواصف أكلاها

سحب حكى القرطاس لون صبيره

يلبس وجه الأرض بالثلج كرسفاً

إذا كتبت فيه يد البرق أسطراً

ما قيل في المداد

قال بعض الكتاب: ليكن الكرسف في نهاية ما يكون من السواد، ولتكن الليقة التي نهاية اللين والنعمة، والأجود أن تكون مستديرة، فإن كان كذلك أحراً الكاتب أن يسمها روق القلم، ولا يلحقه كلفة ولا إبطاء في الاستمداد. وإن حفر الموضع الواقع على الليقة من الغطاء وغشى بأرق ما يكون من الفضة، حتى إذا أطبقت الدواة تجافى ذلك الموضع عن الليقة، فلم ينله شيء من سوادها، كان ادعى إلى النظافة والسلامة وأكثر الدرى لا تسلم منها ما لم تكن على ما وصفنا.

ويعنى بتعهد الليقة والكرسف بالملح والكافور، وإن غيرت في كل يومين أو ثلاثة كان آمن لغيرها وربما أغفل ذلك فاستكرهت الرائحة وظهر من نتها ما يخجل له. وقى ذلك على بعض الكتاب حتى ظن رئيسه أنه أبخر فشكوا ذلك إلى نديم له فقال النديم: ما عرفت ذلك منه، ولكن لعله أغفل ذلك من أمر دواته وتفقدها. فقال الرئيس: عذرها في بخره أبسط عندي منه في تن دواته، لأنه في ذلك مضطر وهو في هذا مختار. ثم نبهه نديمه على ذلك فلم يجر عليه بعد. وقال بعض الشعراء في هذا المعنى يهجو كتاباً:

له فكر تعد ولا بد به

دخل في الكتابة ليس منها

فظاهره لباطنه شبيه

تشاكل أمره خلقاً وخلقاً

تلاق فنشرها أبداً كريه

كأن دواته من ريقه فيه

وقال أحمد بن إسماعيل حذراً من هذا:

غالبة مذوقة بمنه

كأنما النسق إذا استمده

قال وأنشدنا أحمد بن إسماعيل للحسن بن وهب:

وقرطاس كرقرق السراب

مداد مثل خافية الغراب

وألفاظ ك أيام الشباب

وأقلام كمر هفة الحراب

معرباً عن إصابة وسداد

وإذا نمنمت بذانك خطأ

يجتى من سواد ذاك المداد

عجب الناس من بياض معان

والمداد كل شيء يمد به هذا أصله قال الأختطل:

مسابيح سرج أو قدت بمداد

رأت بارقات بالأكف كأنها

يريد بدهن أمدت به كثر الأستعمال لما تند به الدواة فقلب كل شيء غيره فإذا قيل: مداد، لك يعرف شيء غيره وقال بعض الكتاب يمدح المداد:

مسك يطيب منه الريح والنسمة

من كان يعجبه في صحن عارضه

إذا الأصابع مني مست القلما

فإن مسكي مداد فوق أنملتي

وقال آخر:

ندى الأسحار يأرج بالغداة

وما روض الربيع وقد زهاء

تؤديه الألقاء من دواة

بأعقب أو بأطيب من نسيم

وقالوا: "المداد خضاب الرجال". وقال آخر:

ومداد الدواة عطر الرجال

إنما الزعفران عطر العذاري

حدثني يعقوب بن بيان قال: كتب إبراهيم بن العباس يوماً كتاباً فأراد حمو حرف منه، فلم يجد سبيلاً فمحاه بكمه، فقيل له في ذلك، فقال: المال فرع والقلم أصل، فهو أحق بالصون منه، وإنما بلغنا هذه الحال واعتقدنا الأموال بهذا القلم والمداد ثم قال:

وأداء الضمير إلى العيان

إذا ما الفكر أظهر حسن لفظ

تضاحك بينها صور المعاني

رأيت حلى البنان منورات

ويقال: مددت الدواة جعلت فيها مداداً وكل شيء زدت فيه فإذا قلت: مددته أمدده مداً. قال الله تعالى: "والبحر يمده من بعده سبعة أبخر". وإذا أمرت قلت: مد الدواة بكسر الدال. ومد الدواة تتبع

الضمة الضمة وإمداد الدواة. ولا يقال أمددت إلا ما كان على جهة الإعانة كقولك: أمددته بمال ورجال، ومنه قوله عز وجل: "أَنِّي مَدَكُمْ بِأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَرْدُفِينَ". ومنه: "أَمَدَنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ".
أَيْ أَعْنَاكُمْ وَقَرْبَنَاكُمْ. ويقال مداد ونفوس بالسين وكسر النون، والكثير أنقاض.
وقال حميد بن ثور:

كم خط ذي الحاجات بالنفس

لمن الديار بجانب الحمس

وأنشدنا محمد بن موسى الرازي لحمد بن مهران:

إن المداد خلوق ثوب الكاتب

لا تجز عن من المداد ولطخه

هبة من الله الجود الواهب

وأبهج بذلك إنه لك زينة

ما صح في مال حساب الحاسب

لولا المداد ويسرنا بدليله

ولكان شاهدنا شبيه الغائب

ولما تبيّنت الأمور لطالب

الحبر واشتقاقه

قال أبو بكر: ذكرنا أشعاراً قيلت في الحبر في باب الدواة لاتصالها بها، كاتصال التوريق بالكتابة والوراقين بالكتاب، وبالحبر تكتب المصاحف والسجلات وما يراد بقاؤه. وإنما سمي الحبر حبراً لتحسينه الخط من قولهم حبرت الشيء تجبيراً وحبرته حبراً زينته وحسنته. والاسم الحبر كقولك طحنته طحناً. في الحديث "يخرج من النار رجل حسن الحبر والسير" وقال ابن أحمر:

بأعمال وآجال قضينا

لبسنا حبره حتى اقتضينا

وقيل: الحبر مأخوذه من الحبار وهو أثر الشيء كأنه أثر الكتابة وقال:

ولا لحبيه بها حبار

ولم يقلب أرضاها البيطار

أي أثر. وقال آخر:

بجسمي حبراً بنت مصان باديا

لقد أشمنت بي أهل فيد وغادرت

أي أثراً. ويقال محبرة ومحبرة وهمما أفسح ما قيل فيها. وحبر فلان كتابه: حسنه، وكذلك فنمه ونفقه ورشقه. قال مرقس:

رقش في ظهر الأديم قلم

الدار قفر والرسوم كما

ويقال: رقش كذبه أي حسنه حتى يقبل قال رؤبة:

عازل قد أولعت بالترقيش

إلي سراً فاطرقي و ميشي

و سموا طفيلي الغنوبي محيراً لتحسينه شعره. وقيل: سمي بذلك لقوله يصف بردًا:

وسائله من أتحمي معصب

سماوته أسمال برد محبر

القرطاس وما يكتب فيه

تسمى العرب ما يكتب فيه القرطاس، وجمعه قراتيس، ومهرقاً وجمعه مهارق، وصحيفة وجمعها صحائف، وسفراً والجميع أسفار، قال الله عز وجل: "يمحل أسفاراً" ، وقد نزل القرآن بجميعها إلا المهرق. قال الله تعالى: "يتعلمونه قراتيس" ، وقال تعالى: "ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس" ، وقال تعالى: "إن هذا لفي الصحف الأولى" . والعرب تشبه المترى، إذا خلا ودرجت عليه الريح وصار أرضاً، بالمهرق. قال الأعشى:

وأنى ترد القول بيضاء سملق

سلادار ليلي هل تبين فتنطق

لطول بلاها والتقادم مهرق

وأنى ترد القول دار كأنها

و شبه أبو نؤاس الناقة البيضاء بالقرطاس فقال:

ييق كقرطاس الوليد هجان

واحتازها لون جرى في جلدها

قيل: خص قرطاس الوليد لأنه معه كالرسم لم يكتب فيه بعد، والهجان أيضاً الكرام من الإبل وغيرها وما أعلم أحداً استوف في وصف القرطاس إلا جعفر بن حمدان المصري الكاتب فإنه قال:

نة جادت بواكف مدرار

في يديه من القراتيس كالمز

الهند كالبيض كالمياه الجواري

كالماء الرحيب كالبيض بيض

الصيف نصف النهار في أيار

كالسراب الرقراق في عنفوان

حين يطوي أم في حضور العذاري

ما تبالي أجلت عينك فيه

بو بوعث فيه ولا بحبار

يسبح الخط فيه عفواً فما ياك

حدثني أبو تذكوان القاسم بن إسماعيل قال: سمعت عمك أحمد بن عبد الله بن العباس، المعروف بطماس، يقول - وكان حسن البلاغة: القرطاس أمره ما لم تكحله مل الدواة.

ومن مليح الأخبار التي ذكر فيها القرطاس ما حدثني به أحمد بن محمد الأنصاري، قال حدثنا أبو العيناء عن الجماز قال: أراد أبو نؤاس أن يكتب إلى إخوانه له، فلم يجد شيئاً يكتب فيه فحلق رأس غلامه،

وكتب عليه ما أراد، وفي آخرها كتب: وإذا قرأتم الخطاب فخرقوا القرطاس قال: فردوه بلا جلدة رأس.
ورأى حرير رجلاً أسود عليه ثياب جد فقال:

أير حمار لف في قرطاس

كأنه لما بدا للناس

وقال أبو نؤاس:

إلا فتى قلبه من صخرة قاسي

لم يقو عندي على تخريق قرطاسي

تكون كالسمع والعينين في الراس

إن القراطيس من قلبي بمنزلة

هذا بغم وهذا كم بوسواس

لو لا القراطيس مات العاشقون معاً

فاما الكراريس فواحدها كراسة، قال الأصمسي: كرست الكتب والورق جعلت شيئاً منه إلى شيء وأكرس الغنم اجتماع بعرها وبولها في مواضعها حتى يتطرق بعضه إلى بعض، قال العجاج:

يا صاح هل تعرف رسمـاً مكرساً

قال أبو عبيد: اكرس البعر عليه فهو مكرس، ويروى مكرساً كأنه أكرس فهو مكرس وأصله ما ذكرت لك. وتكراس ورق الشجر تحته وقع بعضه فوق بعض.

ويقال دفتر ودفتر. وما سمع شيء في اشتاقه إلا أنه عربي فصيح. قال جندل بن المثنى الطهوري:

قد قضي الدين وجف الدفتر

هل لا بحجر يا رببع تبصر

ويروى الدفتر. وأنشدي الحسين بن يحيى:

تأتيك في الشجر الذي لم يغرس

هل تذكريـن إذا الرسائل بيننا

لك في يديـ من الفصـح الآخـرس

إذ سـر نـفـسيـ في يـديـكـ وـمـثـلهـ

وقال ابن الأحنف:

ستتشر يوماً و العتاب طويل

صحائفـ عنـديـ للـعـتابـ طـويـتهاـ

وليس يؤديـهـ إـلـيـكـ رسولـ

عـتابـ لـعـمرـيـ لـاـ بنـانـ يـخطـهـ

آخر:

شوقاً وأحببتـ منهـ كلـ قـرـطـاسـ

جـاءـ الرـسـولـ بـقـرـطـاسـ فـهـيـجـ لـيـ

عـهدـ الـوـصالـ كـأـنـيـ غـافـلـ نـاسـ

فيـهـ مـعـاتـبـةـ مـنـهـ تـذـكـرـنـيـ

وقال:

فما أعظم النعمى وما أصغر الشكرا
أنامل قد صاغت بأقلامها سحرا

أتأني كتاب من مليكى بخطه
فظللت تتاجيني بما في ضميره

قال وكتب إلى فوز كتاباً أغضبها:
كتبت وليتها شلت يمينه

ولم أكتب إليك بما كتبت
فلا كان الشراب ولا شربت

كتب وقد شربت الكأس صرفاً
وقال ابن الأحنت أيضاً:

نفسي الفداء لخط ذاك الكاتب
فإذا مقالة مستزيد عاتب

أهدت إلى صحيفة مختومة
فككتها فقرأت ما قد حبرت

حدثني أبو عبد الله الأسياطي قال: كان رجل من الكتاب يهودي معنية ويكتابها، فكانت تخرق كتبه
وتأمره بتخريق كتبها، فكتب إليها: إن أحافظ بكتبك وتتهاونين بكتبي فتخرقينها فكتبت إليه:

يا ذا الذي لام في تخريق قرطاس
الحزم تخريقه إن كنت ذا نظر

كم مر مثلك في الدنيا على راسي
وإنما الحزم سوء الظن بالناس

إذا أتاك وقد أدى أمانته
وشق قرطاس من تهوى وكن حذراً

فاجعل كرامته دفناً بأرماس
يا رب ذي ضيعة من حفظ قرطاس

فكتب إليها: الصواب رأيك وخرق رقاعها.

قط القلم

يقال: قططت القلم أقطعه قطأ. والقط والقد متقاربان، لأن القط أكثر ما يستعمل فيما وقع السيف في عرضه، والقد لما وقع في طوله. ومنه قولهم: كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، إذا علا بسيفه شيئاً قده، وإذا اعترضه قطه. وقد يحمل هذا على هذا. وقال عمرو بن معد يكرب:

فكم قط سيفي من قونس

ومط حاجبيه ومد معنى. وإنما حاز ذلك في قد وقط ومد ومت لأن خخرج الطاء والدال من مكان واحد من أصول الثناء وطرف السان، كما يقال: طين لازب ولازم، لأن مخرج الباء والميم من الشفة من مكان واحد.

المقط

هو المقط بكسر الميم فاما المقط فالموضع الذي يقط من رأس القلم. وأحسن المقاط وأمكنها المربع كهيئه فص النرد زائداً عليه في الطول والعرض ساذج الطرفين، فإذا كان على هذا الشكل رحب مطاه، ووطئ قراه، وكان أملأ لليد، وأمكن للقط. وفيه يقول بعض الكتاب:

يعلو الورى وأحط
منها كأني مقط
صبر جميل فقط

الحمد لله شكرأ
وغادرتني مداها
لم يبق مني إلا

وقال بعض الكتاب:

أديماً لم يكن قدماً يغط
فيصلح من تشعتها المقط

فإن تكن الخطوب فرين مني
فإن كرائم الأقلام تحفى

وقال بعض الكتاب: إذا قططت ولم تسمع لقطتك صوتاً كصوت نبض القسي، ووقة كوقعة عض المشرفي، فأعد فإن قلمك بعده حف. وأكثر ما يقع ذلك والقلم رطب بعده، وإنما القطة تصلح مع حفافه. وأنشدين بعض أصحابنا لنفسه في المقط من أبيات خاطب بها بعض الكتاب أولاً:

سوداء قد خرطت من الإظام
كشفاً لها بحضانة الأقلام
شبه الصدود بدا لحاف غرام
فيها لواحظ شانن بسهام
من قبل عنه خواطر الأوهام
احذوه قد الصارم الصمصم

يا ذا الكتابة قد بعثت بمرضع
بل ناسبت لون الخطوب وضمنت
معها مقط قد تحلى بينها
يحكى سوداء القلوب إذا رمت
أعربت في وصفي له إذ قصرت
وانضاف محراك إليه كأنها

المرفع

قال بعض الكتاب: المرفع ضرب من الكبير، وفضيلة في الآلة، وترفه مفرط لا يليق بذوي التقدم في العمل، والصبر عليه، والتجرد له. وما يسرع إليه إلا كل ذي نخوة ورياسة محدثة. وهو أحسن في مجالس الخلوات منه في الجماعات. فأما مجالس الرياسة والجند في الأعمال فلا موقع له فيها. قال أحمد بن إسماعيل: قلما رأيت سيداً رئيساً يجعل بين دواهه وبين الأرض مرفعاً في مجالس رياسته. وإذا عجز الكاتب عن الاستمداد

من الدواة على الأرض، فيغم رفعها إلى يده بهذه الآلة وتقريب متناولها، فهو عما سوى ذلك من تمثيلية الأعمال وتنفيذ الأمور أعجز. وقد هجي بعض الكتاب بذلك فقيل:

متكلف في فعله متصنع	إني بليت بجاهل متغافل
وجرت أنامله بخط مسرع	حاز الكتابة حين فضض مرفعاً
فيديل في مرأى هناك ومسمع	متتابه في الحفل يبغي عزة
دواته للطرف فوق المرفع	فكلامه دون المدى متواضع

حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال: دخلت أنا وأبو علي بن المرزبان على يحيى بن مناوة الكاتب، وبين يديه مرفع قد قارب صدره عليه دواته، فقلت لابن المرزبان: أما ترى هذا المرفع؟ فقال: هذا مرفع وصاحبه رقيع لا رفيع.

وقيل لبعض الرؤساء - وقد جعل دواته على مرفع: ما كل الأجلاء تفعل هذا. فقال: من جلس على فرش تعليه قليلاً بعدت عليه مسافة الاستمداد، فأما من كان على حصير أو ساط فلا عذر له فيه. وقد وصف بعضهم مرفعاً مفضضاً واحتاج له فقال:

ملجم من حلية بلجام	قرب البعد مركب لدواة
مثل ضوء الإصباح في الإصباح في الإظلام	فضة تستضيء في أبنوس
قال منه ما كان صعب المرام	كخوان الطعام سهل للأك

محراك الدواة

كذا تسمية الكتاب. وللعيдан التي تحرك بها العرب الأشياء أسماء: فالعود الذي تحرك به النار مسمر ومسعار، ومحرك ومحرك، ومنه قيل: "مسعر حرب" أي يسرعها بوقتها. ويقال لما يجده الأشربة بمدح وبمدح مخاض، ويقال له أيضاً مخوض. ويقال أيضاً للمليل الذي يحرك به الجراحات محراك، ومحراف، ومسبار أي يسرع به قدر الجراحة أي تختبر به، وربما سموا الموضع بذلك. وقد روى القطامي يصف جراحة:

إذا الطبيب بمحراكه حولها زادت على النقر أو تحريكها ضخماً

ويروى بمحارفيه. وقد ذكر المحراك بعض الشعراء من الكتاب فقال:

ضياءه بالنقص أفلاكه	بدر من الديوان لم يحترم
يردي دم العشاق سفاكه	صبر جسمي قلماً هجره

وقلب الهرج هواه كما

يقلب الكرسف محراكه

الكتب في اللغة

قولهم: كتبت الشيء، يريدون ضممت بعضه إلى بعض. ويقال: كتبت الشيء كتبًا وكتابة. ويقال: أكتب بعثتك أي ضم حيالها بحلقة حتى لا يطأها الفزارى لأن فزاره تعير بذلك. قال الفرزدق في الناقة:

على قلوصك واكتبها بأسياز

لاتأمن فزارياً خلوت به

وقيل: المعنى قارب بين شدها حتى لا يسرقها الفزارى، وهذا أشبه، لأن الفرزدق أيضًا يهجو ابن هبيرة الفزارى بسرقة فزاره قال يخاطب هشامًا:

فزارياً أخذ يد القميص

أطعمنت العراق ورافديه

يقول: قد رق فقطع فكمه خفيف قصير.

وقيل: كتبية الجيش لاجتماعها، وتكتبت تجمعت. والكتب الخرز الواحدة كتبة بضم خرزة إلى خرزة، وقال ذو الرمة يصف المزادة التي يستنقى فيها الماء:

مسلسل ضياعته بينها الكتب

وفراء غرفية أثأى خوارزها

يريد أن هذه الخرز لما اتسعت ضياع الماء، وفراء واسعة، وغرافية دبعت بالغرف وهو شجر، والخوارز نساء، وأثأى أفسد والثأى الفساد، والمسلسل الذي يتصل قطره وهو مرفوع على شيء تقدم في البيت الأول وكاتب والجمع كتب وكتبة وكتابون. والموضع الذي يتعلم فيه الكتاب كتاب ومكتب. ويقال أيضًا أكتب فهو مكتب. واكتبت الرجل ما أراد أكتبه أكتابًا جمعته له وأملنته عليه. ويقال زبرت الكتاب إذا كتبته ازبره زبراً. وقال رجل من حمير: أنا أعرف بزبرتي أي كتابي. وسميت الكتبية لاجتماعها، وتكتب القوم تجمعوا. وقال عبيد بن الأبرص:

سفراء من سلم لنا وتنكتبوا

أنبأتم أن بني جنيلة أو عبوا

أي تجمعوا.

وقال التوجي: الموضع الذي يعلم فيه الكتاب مكتب ومكتب مثل مطلع ومطلع، وكاتبت الرجل إذا خابرته الخط مكتبة وكتابًا مثل نادمه منادمة ونداماً. وكاتبته فكتبته مثل غالبيته فغلبته وخيارته مخايرة وخيارًا فخرته. وقال المازني: يقال أكتب الرجل إذا صار كاتباً حاذقاً.

قيل: أجاد إذا صار له فرس جواد. وألبن إذا صار ذا لبن. وأتيت فلانًا فأكتبته وأحسنته إذا وجدته كاتباً

حاسباً. كما تقول أتيه فأبخلته أى وحده بخيلاً. وأتيت بلد كذا فأمطرته أى وحده مطيراً. وقال الحرمازي: سمعت أعرابياً يقول: ظلمني هؤلاء الكتب مثل صائم وصوم وقائل وقول. ومثله في المعتل غاز وغزى، قال العجاج:

حتى إذا ما حان قطب الصوم

وزبرت الكتاب كتبته وزبرته قرأته. ووحيت الكتاب أحيه وحياً كتبته، وكتاب موحى ومكتوب. بمعنى، فوحيت كتبت، وأوحيت أعلمت وأشارت، وقد قيل في هذا وحيت وأوحيت، فأما في الكتاب فوحيت قال الشاعر:

أضحت قفاراً لوحى الواحي

ما هيج السوق من الأطلال

وإذا أردت أن تكتب من هذا قلت يا واهي حه، أثبت الماء إذ كانت العرب لا تتكلم بحرف واحد. ويا واهيان حيا ويا واحون حوا. وإذا أمرت من أوحيت قلت يا موحى ويا موحيان أو حيا ويا موحون أو حوا.

السكين

قال بعض الكتاب بالسكين مسن الأقلام يسنها إذا كلت، ويلصقها إذا بت، ويطلقها إذا وقفت، ويلمها إذا تشعشت. وأحسنتها ما عرض صدره، وأرهف خصره، ولم يفضل عن القبضة نصايه. والسكين تذكر وربما تؤنث قال أبو ذؤيب.

فذلك سكين على الخلق حاذق

يرى ناصحاً فيما بدا فإذا خلا

أي قاطع. ومنه حذق الصبي قطع عنه التعليم. وفي تأنيتها، يقول بعض بنى ثعلب:

بسكين موثقة النصاب

فانحى للسانم غادة قر

وفيها يقول أحمد بن إسماعيل:

وحرار في ميدانه وعردا

إنني إذا ماضي اليراع بلدا

بمدينة كريمة من المدى

لمصلح من حده ما أفسدا

تهدي إلى الأقلام حيناً وردي

كادت تقل الصارم المهدا

وهي بما تفعل تولينا يدا

كأنما يوقع منها بعدي

حين ترى الآكل منها مبردا

لأنها تقليم منها الأودا

يفوف القرطاس تقوف الردى

وقال بعض الأحداث من الكتاب:

يا منتهى الفضل حليف الندى

جد لي بسکينك ذاك الذي

وابن البهاليل الأكاريم

لام لام ألف قاف لام ألف ميم

قال أبو بكر: والسكين يذكر ويؤنث والغالب عليه التذكير. ونصابها أصلها ونصاب كل شيء أصله. وأنصبت السكين جعلت له نصابةً وأقربته جعلت له قرابةً وهو الغلاف. وغلفته جعلت له غلافاً. وسکين مقرب ومقربة لمن أنت. ومغلف لمن ذكر ومغلفة. وجمع نصاب نصب. وجمع غلاف غلف، وجمع قراب قرب. وأنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب لأبي مikan:

ضمي إليك ثياب القوم والقربا

يا ربة القوم قومي غير صاغرة

قال: إنما خص القرب وهي الغلف يريد السيف يقول: "خذلي سيفهم، واعلمهم أنهم في دار عز وأمان وطمأنينة لا يخافون"، لأن العرب إذا نزلت متزلاً لم تضع سلاحها حتى تأمن. وأشارت السكين جعلت لها شعيرة، وهي الحاجز بين آخر الحديدية وأول النصاب. وسيلان الحديدية مركب فيها. واقبضت السكين جعلت له مقبضها. وسکين مقبض. وقد حكى قربت السكين والسيف فهو مقرب أيضاً. وأنشدوا:

والدرع مطوية والسيف مقرب

إن يسألوا الحق يعط الحق سائله

ويقال هذا حد السكين وشفرته وظبته وغرته وغراره وذبابه. فظبته طرفه والجميع ظبات. وشفرته حد من أوله إلى آخره. وغراره وشفرته واحد. وذباب كل شيء حده. وأكثر ما يوصف به السياف من الحد يجوز في السكين وأحددت السكين أحدها إحداداً وحد السكين نفسه صار حاداً وأحد فهو محمد وإذا أمرت قلت أحد سكينك وسکين حديد أي قاطع قال حسان:

حديد الغرار حسام خذم

بكل صقيل له ميعة

وكل السكين يكل كلاً وكلولاً وكلة. وكذلك البصر. وصداً يصدأ صدى إذا توسيخ. وكذلك طبع يطبع طبعاً.

الإنشاء

أنشأ الكاتب الكتاب ابتدأ عمله على غير مثال يحتذيه قال الله تعالى: "قل يحييها الذي أنشأها أول مرة".

وتقول العرب: أنشأ يفعل كذا، وأنشأ يقول كذا إذا ابتدأ. وأنشأ الله الخلق. ينشئهم إنشاءً إذا ابتدأ حلقهم. وأنشأت أنا الشيء إنشائه. وقال عز وجل: " وأن عليه النشأة الأخرى ". وإذا أمرت قلت: أنشئ الكتاب، بإثبات الياء في الكلام والخط لأن هذه الياء هي همزة فذهببت للأمر منها الحركة. حدثنا أحمد بن إسماعيل قال: كان بعض النساخ قد صار منشأً لبلاغة ظهرت منه، فقال فيه المنشي الذي كان ينسخ رسائله:

كان بالأمس ناسخاً

أيها المنشي الذي

متعبات المشائخا

نسخ تلك الرسائل ال

ثل في العلم راسخاً

ترك الناسخ المم

لذوي العلم شامخاً

رغم أنف اصاره

السطور

أصل السطر في اللغة الأثر المستطيل على استواء وجمعه أسطار وأسطر وسطار وسطور. وكل مقدم على استواء غير خارج شيء منه عن نظيره يمنة ويسرة فهو مسطر من سطر يسطر تسطيراً. وقال المسيب بن علس:

ندوباً ولدف منها سطرا

ترى للسيوع بحيزومها

والكاتب مسطر وساطر. ويقال للذي يصلح بها الورق سطوره في دفاتره حتى لا تعوج سطوره "مسطرة"، وقد سطر إذا كتب خاصة إذا لم يذكر شيئاً، علم أنه للكتابة لكثرة الاستعمال وقد يقال: سطر نخله إذا غرسه على استواء. قال رؤبة:

إني وآيات سطرن سطرا .

وقال الله جلت عظمته: "والطور وكتاب مسطور". أي مكتب قد سطر وتقول: كل شيء عمله مستطر عندي أي مكتب. وقال الله عز وجل: " وكل صغير وكبير مستطر ". قالوا: أسطور وأساطير، قالوا: سطر وسطر مثل سقف وسقف. وأنشدنا ثعلب للشماخ:

بذروة أقوى بعد ليلي وأقفرأ

أتعرف رسمأ دارساً قد تغيرا

بتيماء حبر ثم عرض أسطرا

حکى خط عبرانية بيمينه

عرض أخفى سطوره كما تقول عرض بكلذا إذا لم يصرح به وإن لم يكن كذلك فسد معنى الشعر.

المقابلة بالكتاب ونسخه

يقال: قابلت الكتاب بالكتاب أقبله مقابلة وقبلاً، المعنى جعلت ما في واحد من الكتابين مثل "ما" في الآخر مشبهاً له من جهة ما كتب فيه، لا من كل جهة، لأن القدود تختلف وكذلك الألوان الذي يكتب فيه. وتقابل الموضعان إذا كان أحدهما حيال الآخر وقباته، وكأنه في الحقيقة أقبل كل واحد منهما على صاحبه وشاحه في التقابل. وأقبلت المرحم الجرح أصيته به قال ابن أحمر:

شربت الشكاعي والتندت آلة وأقبلت أفواه العروق المكاويا

يريد: جعلت المكاوي حيال العروق مقابلة لها ملصقة بها فقال الأعشى:

وصلى على دنها وارتسم وأقبلها الشمس في دنها

ويروى: وارتسم. قال الأصمعي: أصلها استقبل بها. وتقول العرب أقبل نعلك أي اجعل لها قبلاً وهو الشراك لأنه يقابل النعل قال أبو نواس:

ما على وجه به قا بلتنى اليوم مهابه

وعارضت الكتاب بالكتاب إنما هو عرضت ذا على ذا وذا على هذا حتى استويا. وعارضت داري بستانه سويت بينهما في القيمة وأخذت هذا بهذا. وعارضته في قوله: أتيت بمثل ما قال. والنسخ على معنيين أحدهما أن تنسخ الشيء لما تقدمه، فتذهب به فيحل مكانه ومنه قول الله عز وجل: "ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها". وفي كل الآيات خير، والمعنى نأت بخير منها لكم وأخف عليكم. ومنه قوله: نسخت الشمس الظل حل مكانه. والمعنى الآخر أن ينسخ الشيء فيحييء بمثله غير مخالف له يقول: نسخت كتابك لم أغادر منه حرفاً، وفي القرآن: "إنا نستنسخ ما كنتم تعملون". ويروى أن أو من عمل الكتب نسخاً زياً.

الخطأ في الكتاب

تقول أخطأت في الكتاب تخطئ خطأً وخطأً وخطاءً. وقرأ أبو حنفه: "إنه كان خطأً كبيراً" مفتوحة الطاء والخاء غير ممدودة. وقرأ أكثر القراء "إنه كان خطأً" من خطيء يخطأ خطاء، مثل أثيم يأثم أثماً، وأخطأت خطأً مفتوحة الخاء والطاء ممدودة.

والخطأ في اللغة ضد الصواب، وتقول: لا تخطئ يا هذا - إذا أمرته - بالهمزة ساكنة وإنما أسقطت للحزم حرقة المهمزة كما تقول: إقرأ يا هذا. فإذا أمرت الإنسان أن يقرئ الضيف قلت له: أقر ضيفك فحذف

لأنه غير مهموز من قراه يقرره قرئاً يا هذا. وتقول وهما إذا سهوت فيه فكتبت شيئاً مكان شيء. وأوهمت فيه أسقطت منه شيئاً فلم تكتبه. قال أبو عبيدة يصف إنساناً بالبلاد: ما فهم ولو فهم لوهם.

المشق في الكتاب

يقال: مشق في الكتاب يمشق مشقاً، إذا أسرع الكتابة، والمشق في اللغة تأثير الشيء بسرعة قال ذو الرمة:

فَكَرْ يَمْشِقْ طَعْنَأْ فِي جَوَانِشْنَاهَا
كَأْنَهُ الْأَجْرُ فِي الْإِقْبَالِ يَحْتَسِبْ

وكثر ذلك في كلامهم حتى صار كل مستلب شيئاً قد مشقه قال الأخطل:

وَالْخَيْلُ نَمْشِقُ عَنْهُمْ أَسْلَابَهُمْ
فِي كُلِّ مَعْتَرَكٍ وَكُلِّ مَغَارٍ

وتقول: ترك ثوبه مشقاً ومزقاً إذا حرقه، وتقول: مشقت الإبل الكلاً إذا أكلت منه بسرعة.

الزلف

يقال: زلف في قرابة يزلف فيها زلفاً إذا تجاوز من شيء إلى شيء. وهو في حق اللغة القرب مما تريد كأنه يقرب بذلك من القراء ما يريد قال العجاج:

طَيِّلَيْلِي زَلْفَا فَزَلْفَا
سَمَاوَةَ الْهَلَالِ حَتَّى احْقَقَفَا

زلفاً فزلفاً بعد قرب، حتى عاد الملال محققها، وقال الله عز وجل: "وزلفاً من الليل" جمع زلفة، مثل غرفة وغرف والزلفة القرية كأنه يريد وقتاً بعد وقت من الليل يقرب هذا من هذا. وقال أبو عمرو الشيباني: المزالف ما قرب من المنازل من الأنصار مثل القادسية من الكوفة، والمحذثة من البصرة وله عندنا زلفة أي قربة قال عز وجل: "وإن له عندنا لزلفي". قال المفسرون: قربة. وقال تعالى: "وأزلفنا ثم الآخرين".

فض الكتاب

يقال: فضضت الكتاب أفضه فضاً إذا نحيت عنه طينه وسحاته. وأصل الفض في اللغة التفرقة، كأنه فرق بين الكتاب وبين طينه وسحاته.

وقال تعالى: "هم الذين يقولون لا تتفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا". قال المفسرون: كلهم حتى تفرقوا.

وحضرتني نادرة عند ذكر "حتى ينفضوا" ليست من الكتاب، حدثني يموم حدثني يموم بن المدرع قال:

كان بالشام معلم رقيق طينه مشهور بشتم الصبيان، فقال: اقعدوا حتى تسمعوا، فإن كنت معدوراً وإلا فلوموا، قال: فقعدنا قرأ عليه صبي منهم: هم الذين يقولون لا تنفقوا إلا من عند رسول الله. فقال: كذبت يا ماص سلحه، أتلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة لا تجحب عليه، وهو لا يملك مالاً؟ قال: فضحك. ثم قرأ آخر: عليها ملائكة غلاظ شداد يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون ما يؤمرون. فقال: يا ابن الفاعلة هؤلاء أكراد شهاد زور ليسوا ملائكة. قال: فضحك وضحكنا وقلنا ما نلومك بعد هذا. ومن الأول: لا يفاض الله فاك، أي لا يفرق الله ثناياك وأراد بالفم الأسنان. وانفض القوم تفرقوا. ويقال: فضضت ختم البكر اففضضتها قال الفرزدق.

وبت أفض أغلاق الختم

فبن بجانبي مصرعات

السحابة

تقول: سحوت الكتاب اسحوه سحواً وسحيته أسحاه سحياً. والواو أكثر، وسحيت بالتشديد اسحي تسحية ومعنى سحيت قشرت. وسحابة القرطاس والجمع سحاء ممدود. وحكي بعض أهل اللغة أنه يقال: سحابة وسحابة ويقال: سحوت اللحم عن العظم إذا قشرته. وقال الأصمعي: السحابة من المطر التي تقشر وجه الأرض. وقال أعشى همدان:

في يوم نحس من الجوزاء من خرق

جرت به ذيلها غراء ساحية

والمسحابة مشتقة من ذلك لأنها تسحون وجه الأرض. وإذا قال: سحيت الكتاب فإنما يريد جعلت عليه سحابة مثل عظاءة وسحابة مثل عظاية. وما أحسن سحيتك للكتاب! أي أخذك سحايته. وإذا أمرت من سحوت قلت: اسح يا هذا ومن سحاسح يا رجل ومن سحيت سح وكتاب مسحي ومسحوا. وإذا أخليت الكتاب فصار كالسحایا قيل: قد أسحى الكتاب فهو مسح. وكذلك إذا كان أخذ السحابة منه سهلاً. وإذا وضعت السحابة على الكتاب فقد سحيته وسحنته. وخزنته خزماً وكتاب مخزوم. والسحابة من هذا خزامة وجمعها خزائم والخزم الشد في كل شيء.

تترب الكتاب وتطيئنه

يقال: تربت الكتاب تتربياً، ولا تقل: أتربت، فإذا أمرت قلت: ترب كتابك، ولا تقل أترب، اللهم إلا أن تقول: إن كتابه كثير التراب، فتقول: أترب بكتابك كما تقول: برد بتعاملك، فإذا تعجبت من برد

قلت: أبرد طعامك.

وقد جاء في التراب لغات قالوا: تيرب وتوراب وقال اللحياني: تورب أيضاً وتراب وتراب وأتربة وتربان وتربان ويقال هذه ترباء طيبة وتربة وترب.

ويقال طينت الكتاب أطينه طينيناً، إذا جعلت عليه طين الخاتم. وتقول: طنت الكتاب أطينه طيناً، مثل زنته أزينة زيناً، ولا يقال: أطنت. فإذا أمرت قلت: طين كتابك وإن شئت قلت: طن كتابك من طنت أطين وما أحسن طينتك للكتاب! من هذا وكتاب مطين مثل قوله: زت العجين فهو مزيت إذا أقيمت فيه زيناً قال الشاعر:

ولم يقلوا نحو العراق ببره ولا حنطة الشام المزيت خميرها

المحو في الكتاب

يقال: محوت الكتاب أمحوه محو بالواو، فإذا أمرت من هذا قلت: أمح. وحكي محيت أمحى محيأ. ومن أمثلهم "ما أنت إلا محيأ وكتباً". فإذا أمرت من هذا قلت: امح والواو أفعص وبها نزل القرآن: "يمحو الله ما يشاء ويثبت". والمحو في اللغة تعفيه الأثر حتى لا يرى.

حدثنا محمد بن الحسن البلعي، قال: حدثنا أبو حاتم قال: قيل للأصمسي: لم سمت العرب الشمال محوة؟ قال: لأنها تمحو السحاب ولا يرى شخصه. واستدعي أبو نؤاس أن يكثر المكاتب له المحو في كتابه فقال:

ه بريق اللسان لا بالبنان
أكثرني المحو في الكتاب ومحني
فيه محو لطعنه بلساني
وأمرني كلما مررت يسيطر
أسعدتني وما برحني مكاني
فأرى ذاك قبلة من بعيد
وقال أبو نؤاس:

أخشت أن تقرأ حروف هجاء
يا ذا الذي قبلته فمحاه
فتراء منه كيف يمسح فاه
ظبي يرى التقبيل فيه مؤثرا
يبقى بقاءً دائمًا فمحاه
ويظنه لكتابه في لوحه

عرض الكتاب

يقال: عرضت الكتاب أعرضه عرضاً، إذا أمرته على طرفك بعد فراغك منه، لعنة يقع خطأ، وكذلك عرضت الجند. ولا تقل أعرضت الجند لأن الإعراض انصرافك بوجهك عن الشيء، وحقه في اللغة أنك وليته عرض وجهك قال عمرو بن كلثوم:

كأسياف بآيدي مصلتينا

وأعرضت اليمامة وشمرت

ويقول: صرنا إلى موضع رأينا منه عرضها أي جانبها فكأنها هي أريناه. وقد عرضت ما قلت على قلبي. وهذا خلاف العرض على العين، إنما يريد أفكرت فيما قلت. وعرض الرجل على ماله فهو عارض وعرض على فلان فهو معروض عليه. وقال ابن الأحنه:

وحادثاً من حوادث الزمن

كأن خروجي من عندكم قدرأ

صبري وأن أستعد للحزن

من قبل أن أعرض الفراق على

أنشد هذين البيتين محمد بن يزيد المبرد وقال: عملك إبراهيم بن العباس أحزم رأياً من حاله العباس بن الأحنه حين قال:

قالت: رويداً لا أعزك من صبري

وناجيت نفسي بالفارق أروضها

قالت: أمني بالفارق وبالهجر

قالت لها: فاللبن والهجر راحت

قالت له: إنه أحذهما أيضاً ابن الأحنه:

من الآن فتش لا أعزك من صبر

عرضت على قلبي السلو فقال لي:

وفرقته جمر أحر من الجمر

إذا صد من أهوى رجوت وصاله

وأما قوله عز وجل: "وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً" فإنه يقول عز وجل: أظهرناها لهم وأبرزناها، هكذا قال المفسرون. وعرضت المتاع على المشتري أبرزته له. وعرضت الحوض على الناقة إذا امتحنت عطشها. وقد قلبوها فقالوا: عرضت الناقة على الحوض كما قالوا:

كان الزنا عقوبة الرجم

كانت عقوبة ما فعلت كما

فأما معارضة الكتاب فعرض واحد على الآخر حتى يستويا.

الحن في الكتاب

قال: حدثنا أبو بكر قال: حدثنا المغيرة بن محمد المهلي قال: حدثنا محمد بن عباد عن أبيه، قال: لحن أليوب في حرف فقال أستغفر الله.

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري وقد قرأ في كتابه لحننا: قناع كاتب سوطا.

حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب، قال: كان ابن قادم مع إسحاق بن إبراهيم المصعي فكتب كاتبه ميمون بن إبراهيم إلى المؤمن كتاباً فيه: "وهذا المال مالاً يجب على فلان"، فخط المؤمن على "مالاً" ووقع بخطه في حاشية الكتاب: أتكتابي بلحن يا إسحاق؟! فاشتد ذلك عليه.

قال: فحدثني ابن قادم، قال: أتاني ميمون فقال: الله في احتل لي. فحضرت فسألني إسحاق عن الحرف فقلت: الوجه وهذا المال مال، وما يجب على تأول، لأخلص الكاتب. فقال إسحاق لكتابه: قد عفوت عنك فدعني من يجوز والزم صحيح الإعراب. قال: ثم أكتب ميمون على يقرا النحو حتى فهم منه شيئاً كثيراً.

حدثني أبو عبد الرحمن الألوسي العباس بن عبد الرحيم قال: سمعت عبد الله بن قتيبة يقول كتب إلى رجل من سر من رأى: قد قرأت كتابك المترجم بكتاب الكتاب وقد أعتبرت عليك فيه حرفاً. فكتبت إليه: وصل كتابك وفهمته وقد عبّرت عليك قوله وأعتبرت عليك والسلام. قال أبو بكر: هذا شيء يتسع فيكثرة فجعت منه بطرف لأنه وحده يكون كتاباً كبيراً لو ذكرته. وقالوا: "اللحن في الكتاب، أقبح منه في الخطاب".

وأكثر العلماء يلحن في كلامه لثلا يناسب إلى الثقل والبغض، فأما في الكتاب وإنشاد الشعر فإن ذلك قبيح غير جائز.

يقال: لحن يلحن لحنناً فهو لاحن إذا أمال الصواب عن جهة إلى جهة أخرى. وأما قوله عز وجل: "ولتعرفنهم في لحن القول"، فإن الكلبي يقول في لحن في مداره. قال: وحقيقة في اللغة إمالة الشيء من جهته، إما لخطأ أو عمد، ليؤرث عن إرادته. قال القتال الكلابي:

ووحيت وحيًا ليس بالمرتاب

ولقد لحنت لكم لكينا نفهموا

وحكى الجاحظ في كتاب البيان والتبيين أنه يستحسن من الجارية اللحن وتكره الفصاحة. قال ولذلك قال مالك بن أسماء الفزارى:

ناً وأحلى الحديث ما كان لحننا

منطق رائع وتلحن أحيا

فذهب بهذا إلى لحن الخطأ، وهو قبيح من مثله وخطأً فاحش عليه أن يتأنى هذا، ثم لم يرض حتى احتاج له. والذي أراد مالك أنها فطنة تأتي بالشيء ترید غيره وتغىل ظاهره عن باطنه. وقد قيل للجاحظ: غير هذا في كتابك فإنه قبيح، فقال: أفعل، ولكن كيف لي بما سارت به الركبان.

ويقال من هذا: فلان أحن بحجه من فلان، أبي أحن بإمالة الباطل إلى الحق بفضحه وعلمه. ويصدق ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لعل أحدكم أن يكون أحن بحجه من صاحبه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار".

قال أبو بكر: حدثنا محمد بن يزيد قال: حدثني الجاحظ عن أبي عبيدة قال: رأني أبي وأنا أكتب كتاباً فقال: "يا بني اجعل فيه لحنناً ليزول عنه حرف الصواب".

يقال: لحن الرجل يلحن لحنناً إذا أخطأ بتسكين الحاء ولحن يلحن لحنناً إذا أمال الشيء إلى الجهة التي يريدها. ويجعلون هذا مكاناً، إلا أن الاختيار في الثاني فتح الحاء. قال ابن أم صاحب فحرك الحاء:

غمست عنهم وما ظني مخافتهم سوف يعرفهم ذو اللب والحن

غمست عميت. حدثنا أبو العيناء قال: قدم أبو علاء المقربي. من الأهواز فقال لي: يا أبا عبد الله ما أكبر دباءها وما أبخل أهلها! قلت: وما أكثر اللحن فيها! قال: كثير جداً. وكان فصيحاً على لحنها. حدثنا جبلة بن محمد الكوفي، قال: حدثني أبي قال: عاد بن أبي ليلى بعض أشراف الكوفة، وكان له أخ لحن، فجعل يقول: "يا أحي افتح عيناك حرك شفتاك كلام أبي عيسى". فقال له ابن أبي الحي: "أظن علة أخيك استماع لحنك".

قال الصولي: وحدثنا أبو العيناء قال: قال رجل لأبي شيبة القاضي: على كفاره يمين فبأي شيء أكفر. بدققاً بسويقاً. فقال الرجل: ما لحت أطيب من لحنك. وقال له بن مصقلة: لو كان لحنك من الذنوب لكان من الكبائر.

وقال أبو بكر وأنشدي عون بن محمد:

لقد كان في عينك يا حفص شاغل وأنف كمثل العود عما تتبع

تتبع لحنناً من كلام مرقس وأنفك كمثل إيطاء وأنت المرقع

حدثنا الياحي قال: كتب ابن الرومي كتاباً بخطه فلحن فيه إلى أبي الحسن محمد بنت أبي سلالة وقد كان احتجس عن ابن الرومي فكتب إليه ابن الرومي وقد علم بذلك:

ألا أيها الموسوم باسم وكنية وجدناهما اشتقا من الحمد والحسن

أتبخل بالقرطاس والخط عن آخر وكفاك أندى بالعطاء من المزن

أيغلق عني علمه بكتابه أخي لي وقلبي عنده علق الرهن

عطفناك فاعطف إن كل ابن حرة أخو مكسر صلب ذو معطف لين

وإن سقطاتي في كتابي تتبع

فلا تلحنني فيما جنلت على ذهني

حدثنا محمد بن القاسم بن خلاد قال: حدثني الأصمسي قال: دخلت على مالك بن أنس بالمدينة، فما هبت عالماً قط هببتي له، فتكلمت فلحن فقال: مطرنا البارحة مطراً وأي مطراً، فخف في عيني فقلت له: يا أبا عبد الله قد بلغت من العلم هذا المبلغ فلو أصلحت من لسانك! فقال لي: فكيف لو رأيت ربيعة بن عبد الرحمن؟! قلنا له: كيف أصبحت؟ فقال: بخيراً بخيراً.

وما أحسن ما قال بعض الزهاد: "أعربنا في كلامنا فيما لحن، ولحننا في كلامنا فيما أعرب".

التوقيع والإيجاز

يقال: وقعت في الشيء أوقع توقيعاً وكتاب موقع فيه ورجل موقع فإذا أمرت قلت: وقع فيه. وحقه في اللغة التأثير القليل الخفيف، يقال: دف هذه النافقة موقع إذا أثرت فيه حبال الأحمال - والدف الجنب - تأثيراً خفيفاً.

وحكى العتبى أن أغراية قالت لخل لها: حديثك ترويع وزيارتاك توقيع.

وقال جعفر بن يحيى لكتابه "إن استطعتم أن تكون كتبكم كالتوقيعات فافعلوا". يريد بذلك حضهم على الإيجاز والاختصار.

وحدثني أحمد بن إسماعيل قال: حدثني أحمد بن محمد بن إسماعيل بن صبيح قال: كان أبو سلمة يوقع في الكتب: "آمنت بالله وحده". فخرجت لأبي اللفائف الكوفي صلة بكتاب من السفاح فجاء يناشد أبو سلمة وقد تأخر تعليمه فيه:

قل للوزير: أراه الإله في الحق رشده

لآل أحمد جهده

البازل النصح طوعاً

وحمله ثم رده

أطلت حبس كتابي

آمنت بالله وحده

يا واحد الناس وقع

يقال أوجز في كلامه وكتابه وفعاليه يوجز إيجازاً إذا أسرع وخفف. وموت وجيز وهي سريع. ورجل موجز إذا كان يفعل ذلك. ووجز الكلام بنفسه يجز وجزأ. قال رؤبة:

ها وجز معروفك بالرماق

التعليم في الكتاب

يقال: علمت في الكتاب أعلم تعليماً إذا وقعت فيه خطأً تعرفه به ويعرفه غيرك. ولا تقل أعلمت فيه. ولا أعلم عليه. ولا تعلمت فيه. ومن العرب من يقول: أعلم كذا وتعلم كذا. معنى. وقال:

تنادي في شعارهم يسار

تعلم أن سر الناس حي

فتعلم. معنى إعلم.

الإملاء

يقال: أمليت الكتاب وأمللت. وقد نزل القرآن باللغتين جميعاً قال الله عز وجل: "وقالوا أساطير الأولين أكتبها فهي تملّى عليه". وقال جل وعلا: "فليملل وليه بالعدل". وقال المذلي:

ب في الرق أو خطه الكاتب

وإنني كما قال: تملّى الكتا

وأصله في اللغة من الإطالة. ومنه اللوان الليل والنهار. ومنه: "إنما نثلي لهم ليزدادوا إثناً وهم عذاب مهين". وإنما آخرهم الله ليتوبوا فلما كان تأخيرهم سبب إثتهم وآلته آل أمرهم بسبب التأخير والإملاء إلى الإثم. وكما قال عز وجل: "فالتقطعه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً". وهم لم يلتقطوه لذلك ولكن لما آل أمره إلى أن كان لهم عدواً نسب الالتقاط إلى المال.

وأنشد التنوخي:

وفي الدهر والأيام للمرء زاجر

وكان لنا قيدان قد أملينا لنا

طي الكتاب ودرجه

يقال طوى الكتاب يطويه طيًّا وطية واحدة وطواه طية فقال ذو الرمة:

كما تنشر بعد الطية الكتب

من دمنة نسفت الصبا كدرا

ومضى لطبيه إذا سافر. وقالوا: الطية البعد، وهو عند بعضهم من طي المنازل.

وقد قيل: إن طيئاً سمي بطبيه للمنازل، وهذا خطأ عند أكثرهم، يقولون: فمن أين جاءت هذه الهمزة؟

وأصله من الطyi. والحقوقون في اللغة يقولون: كان كثير القرى وطyi المترال فسمى بهذا.

فعلى هذا طyi الكتاب سرعة إدراجه. وكذلك أدرج الكتاب معناه أسرع طyi فدرجه إدراجاً. وقال أبو

عبيدة: مدرجة الطريق التي يسرع الناس فيها. وناقة دروج سريعة. ورجع فلان على أدرجه إذا رجع في

الطريق الذي جاء فيه. وسالت أبي تذكوان عن هذه اللفظة فقال: حقيقتها أن الكتاب إذا أدرج فهو على

مطاو، فإذا نشر رجعت تلك المطاوي إلى ما كانت عليه. وقال ابن حذاق في أدرج:

وغسلوني وما غسلت من نقل

والمشق في اللغة تأثير الشيء بسرعة. قال ذو الرمة:

فكري مشق طعناً في جواشنها

وكثير ذلك في كلامهم حتى صار كل مستلب شيئاً قد مشقه. قال الأخطل:

في كل معترك وكل مغار

والخيل تمشق عنهم أسلابهم

وقالوا: درج يدرج درجاً. يعني أدرج وليس بالجيدة وكله من الإسراع، ومنه درج الرجل إذا مات ولا نسل له.

يقال: طمس الكتاب أطمسه طمساً إذا عميت خطه حتى لا يقرأ. وقيل: طمس وطمس. يعني واحد، كما قيل جب وجدب. وطمس الله بصره إذا أذهب نوره وأخفاه. قال القطامي:

في بلدة طامسة أعلامها

وليلة قد بت ما أناملها

وقوله عز وجل: "من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها". قال المفسرون: يجعلها كأقفالها منبتاً للشعر مثل وجوه القردة، وقد يجعل وجوههم إلى ظهورهم مكان القفا. وطمس الأثر محوته، عن أبي زيد والأصممي. وطلس الكتاب وطلسه أيضاً محاه. والطلسة السوداء. وبعض أهل اللغة يقولون: هو لون يقارب السوداء. وأكثر ما يوصف بالطلسة الذئب، يقولون: ذئب أطلس. والرياح الطوامس التي تذهب بمعالم المنازل تطمسها. ويقال: درس ما في الكتاب يدرس، إذا خفي شيء بعد شيء، حتى يذهب أثره، ومنه درس البعير إذا جرب كأنه يلي بعض جربه بعضاً. وثوب درس أي مخلق لأنه يخلق حالاً بعد حال وشيء في أثر شيء. واختاروا في تعني الأثر وفي الجرب درس دروساً وفي الثلاثة درس درساً.

درس الكتاب وسرده

درس الكتاب والقرآن يدرسه درساً إذا قرأه قراءة متصلة بعضها بعض أو في أثر بعض. وقرأ ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو عمرو وأهل المدينة: "وليقولوا درست"، قال المفسرون: يقولوا تعلمت ذلك من اليهود ودرسته معهم. وقرئ دارست، يريد دارستهم ذلك. وقرأ الحسن درست أي أحلقت، يقولون: هذا الذي تأتي به قد جاء غيرك. بمثلك وهذا من الدروس لا من الدرس. وقال التوجي: درس الشيء إذا أكثر قراءته وتردد فيه ومنه طريق مدروس تدرسه الناس كثيراً.

وكذلك سرد الكتاب يسرده سرداً شبيه بقوله درسه درساً، ودرع مسرودة بعضها يتلو بعضها حتى تتم. قال أبو ذؤيب المخزلي:

وعلیهم مسروقات قضاها

داود أو صنع السوابع تبع

يعني درعين منسوجتين وقضاهما عملهما. وقال المفسرون في قوله عز وجل: "وقدر في السرد" أي في نسج الحلق ونظمها. وقال مسرودة مسمورة بالحلق.

الخاتم وسببه وما قيل فيه

حدثنا إبراهيم بن عبد الله اللحي قال: حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد عن المغيرة بن زياد عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتماً من ذهب فلبسه ثلاثة أيام ففشت خواتيم الذهب في أصحابه، فرمى به واتخذ خاتماً من ورق نقش عليه: "محمد رسول الله" فكان في يده صلى الله عليه وسلم حتى مات. وفي يد أبي بكر حتى مات وفي يد عمر حتى مات، وفي يد عثمان ست سنين، فلما كثرت عليه الكتب دفعه إلى رجل من الأنصار ليختتم به فأتى قليباً لعثمان رحمة الله فسقط الخاتم في القليب فالتمسوه فلم يجدوه، فاتخذ خاتماً من ورق ونقش عليه "محمد رسول الله".

ولم يتخذ صلى الله عليه وسلم الخاتم حتى احتاج إلى مكاتبنة الملوك، منصرفة من الحديبية سنة ست فقيل له: إن الملوك لا تقبل الكتاب إلا أن يكون مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة ونقش عليه: "محمد رسول الله" محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر.

وحدثنا محمد بن أبي قريش، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري قال: حدثنا حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى ملك الروم "فكتب ملك الروم" لا نقبل كتاباً إلا مختوماً فاتخذ خاتماً ونقش عليه محمد رسول الله محمد سطر رسول سطر والله سطر.

ويقال: ختمت الكتاب بغير ألف، ولا يقال: اختمت، فإذا أمرت قلت اختم كتابك وهو الخاتم والخاتم والخاتام والختم وجمعه خياتيم. وختم فهو خاتم مثل ضرب فهو ضارب. ويجمع خاتم خواتيم وخواتيم. وختمت الكتاب ختماً وختاماً ويجمعونه ختم.

وختمت الكتاب وطبعته بمعنى قطعه بآخر العمل فيه. ومنه "الأعمال بخواتيمها" أي بأواخرها التي ينقطع العمل بها. وفلان خاتم القوم وخاتتهم أي آخرهم.

وقيل: الختم الحظر وقد حكى عن أعرابي أنه قال: ختمت على العيون أن تراها، يريد امرأة، المعنى حظرت. "وختامه مسك" قال المفسرون: مقطوعه يوجد معه رائحة المسك. واختتم أمرك بكذا أي اقطعه به. ويروى عن ابن عباس أنه قال: كل كتاب غير مختوم فهو أقلف.

وقال عمر بن الخطاب رحمة الله يوصي بالختم: "طينه خبر من طنه". وفسروا قول الله عز وجل: "إن

أُلقي إلى كتاب كريم" ، أي مختوم.

والذى عليه الكتاب الحذاق أن الرئيس والنظير يختتم رقاعه وتوقيعاته إن شاء وأن من دونهم لا يختتم، وإن ختم وهو دون الرئيس والنظير، لزمه إثبات اسمه على جانب كتابه الأيسر تضاؤلاً وتواضعاً. وكتب بعض الكتاب إلى رئيس له: أنت - أيدك الله - تختتم رقاعك لأنها مطاييا بر، ولا أختتم رقاعي نها حوامل شكر. وأحسن ما ختم به الرؤساء كتبهم ما عليه اسم الرئيس واسم أبيه.

وقال بعض الكتاب: الوزارة الختم والخاتم، لأن سائر الأعمال يباشرها بعض الكفالة إلا الختم فإنه لابد أن ينتهي الكتب إلى الوزير وتعرض عليه فيختتمها بخاتم الملك.

وقال إبراهيم بن العباس الصولي: الكتب موات ما لم يوقع فيها توقيع الختم ونختم، فإذا فعل ذلك بها عاشت. وقال عمر بن مسعدة: الخط صور الكتب ترد إليها أرواحها.

وكان محمد بن عبد الملك الزيات، إذا أراد أن يختتم الكتب دعا بدرج فيه الخاتم، فإذا جيء به وهو خاتم الملك، قام قائماً فأخذه إجلالاً له ثم جلس فأنحرجه وختم به ورده إلى الدرج وختم عليه. وكانت بعض الكتاب في أن الختم والتوفيق إلى الرؤساء:

أدعى فأسمع مذعنًا وأطيع
وأروم حظهم فلا أستطيع
يبلى به الأتباع لا المتبوع
وعلى الرئيس الختم والتوفيق

فقال آخر :
Hatam la anfak Haras Sibleh
Yatda'ul nass alriyasa baynhum
Wa akalf al-ubu'at al-thiqil wainma
Wa 'alayhim al-anqal yahthlounha

يا أيها الملك المنفذ أمره شرقاً
وغرباً

ما دام هذا الطين رطبا
ما بعد السهل صعبا

امن بخت صحيفتي و اعلم بآن حفافه

س يال ملک به تمض الخوا اته

فَلِلْخَلِيفَةِ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّبَ لَهُ

وقال آخر في الخواصم:

خلافة مهدى و خبر الخواتم

أنا، أبو العاص، أبو همزة الـ ثـوا

وَقَالَ آخَرٌ فِي الْخَاتَامِ:

لو كان عندي مائتا درهاماً

و قال أعرابي:

يا مي ذات المعجر المنشق

أخذت خاتمي بغير حق

و حدثني عمرو بن تركي القاضي قال: حدثنا القحدمي قال: كان على خاتم البريد للأسرة صورة ذباب، يريدون بذلك أن لا يحجب كما أن الذباب لا يمكن أحداً أن يحجبه.

قال: وكانت الخواتم في خزائن الملوك لا تدفعها إلى الوزراء، فأطرب الأمر على ذلك حتى ملك بنو أمية، وأفرد معاوية ديوان الخاتم، وولاه عبيد بن أوس الغساني وسلم الخاتم إليه، وكان على فصه "لكل عمل ثواب". وكان سبب ذلك أنه كتب لعمرو بن الزبير إلى بعض عماله بمائة ألف درهم ففرق عمرو الماء وجعلها ياء وأخذ مائة ألف درهم، فلما مرت معاوية ذكر أنه لم يصله إلا بمائة ألف درهم، فأحضر العامل الكتاب فوقف معاوية على الأمر فاتخذ ديوان الخاتم.

العنوان

يقال عنوان الكتاب وعنونته وهي اللغة الفصيحة. وبعضهم يقول: علونت فيقلب النون لاماً لقرب مخرجها من الفم، لأنهما يخرجان من طرف اللسان وأصول الشفاه العليا. وقد قيل: العلوان فعوال من العالانية لأنك أعلنت به أمر الكتاب ومن هو وإلى من هو. وسمعت أحمد بن يحيى يقول: أعلن أمرنا علوناً وعلناً.

والعنوان العلامة كأنك علمته حتى عرف بذكر من كتبه ومن كتب إليه. قال حسان بن ثابت يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنه:

يقطع الليل تسبيحاً وقرآنـا

ضحوا بأشmet عنوان السجود به

وقال المؤمن لرجل رآه في موكبه فلم يعرّفه، وكان جسماً: ما هذه الجسامـة؟ قال: "عنوان نعمة الله" ونعمتك يا أمير المؤمنين".

ويروى أن معاوية قال لبعض العرب مثل ذلك، فأجيب بهذا الجواب.

وأول من كتب "من عبد الله فلان أمير المؤمنين". كان يقال لأبي بكر رضي الله عنه وهو أول من سمي "أمير المؤمنين". كان يقال لأبي بكر رضي الله عنه " الخليفة رسول الله" ، ثم قيل لعمر: " الخليفة رسول الله" ، فدخل المغيرة بن شعبة على عمر فقال: "السلام عليك يا أمير المؤمنين" ، قال عمر: وما هذه؟ قال: ألسنا

المؤمنين وأنت أميرنا؟ فكان أخف من الأول فجرروا عليه.
وكانوا يكتبون في العنوان "بسم الله الرحمن الرحيم" مثل ذكر من كاتب ثم ترك.
قالوا: والأحسن في عنوان الكتاب إلى الرئيس، أن يعظم الخط ويفخمه، إذا ذكرت كنيته أو نسبته إلى شيء، وأن تلطف الخط في اسمك واسم أبيك وتجمعه. قال المحققون من الكتبة: إن في ذلك إحلالاً للمكتوب له وفي مخالفته غض منه وتطاول عليه. وإن كانت آخر الكلمة ياء مثلاً، كأبي علي وأبي عيسى وأبي يحيى وأبي يعلى، غرقت الياء إلى قدام، ولم تردها إلى خلف، فقد حكى في ذلك شيء مليح.
حدثني أبو المريزان قال: قال لي محمد بن يزيد الأموي الشاعر: استحسنت من عيسى بن فرخانشاه شيئاً، رأى كاتباً له قد كتب اسمه عيسى، فرد الياء إلى خلف عيسى، فقال: قولوا لهذا الكاتب لا تعدد مثل هذا، فإن أيسر ما فيه أن الياء إذا كانت إلى قدام كان ذلك فألا للإقبال، وفي ردها فألا للإدبار، وقالوا: مع هذا فهو أبهى للخط وأفسح للشكل.

ويعنون إلى الأمير بالإسم والتأمير، بغير دعاء ولا كنية اكتفاء بجملة التأمير، والإسم مع التأمير أجل من الكنية لأنه أشبه بمحكاة الخلفاء لأنهم يقولون في التصدير للإمام "عبد الله فلان الإمام أمير المؤمنين"، ولا يأتون بكتنية فكذلك شبهوا هذا به، فكان الإسم مع التأمير أجل من الكنية. ثم يكتبون في التصدير للإمام "عبد الله فلان الإمام أمير المؤمنين". ولو لوي العهد للأمير أبي فلان بن فلان، كناه الإمام أو لم يكن فرقاً بينه وبين الإمام.

وقد يذكر الإمام في سكة الضرب باسمه، ويذكرون ولي العهد يكتنيته كما ذكرت لك. وقولهم لأبي فلان حقيقتها إلى أبي فلان، والأصل من فلان إلى فلان، فلما قدم ذكر المكتوب إليه أقاموا اللام مقام إلىين وقد قال الله عز وجل: "بأن ربك أوحى لها" أي أوحى إليها. وحروف الخفظ ينقل بعضها من بعض قال الله عز وجل: "ولأصلبكم في جذوع النخل" أي على جذوع النخل.
وقال الشاعر:

ل عمر الله أعجبني رضاها

إذ أرضيت علي بنو قشير

وهذا كثير جداً. وقال بعض الكتاب: اللام لمخاطبة الجليل، وإلى لمخاطبة الأدنى فالأجل يكتب من فلان بن فلان إلى فلان بن فلان، والنظراء ومن دون يكتبون لأبي فلان من فلان.
وقد عنون أحمد بن يوسف كتابه بشعر، فكتب إلى طاهر بن الحسين:

المكتبي

للأمير المهدب

ذى اليمترين طاهر بن الحسين بن مصعب

وكتب عقال بن شيبة إلى المسيب بن زهير الصبي:

من عقال بن شيبة بن عقال

للأمير المسيب بن زهير

وكتب آخر إلى نصر بن حمزة الخزاعي:

من فتى قائم بحمد وشكر

لأبي القاسم بن حمزة نصر

وكتب إليه ابن الحباب:

المرجى لدفع ريب الزمان

لأبي الفضل شبة الغسان

ل على حين جفوة الإخوان

من أخ لم يزل يجد له الوص

وعنون أبو نواس كتاباً له:

أملأه قلبي على لسانى

هذا كتاب بدمع عيني

أجل ذكر اسمه لسانى

إلى حبيب كنت عنه

حدثنا اليزيدي قال: كتب أحمد بن إسماعيل إلى عرام، وهو بالكوفة مع مولاه كتاباً عنوانه:

ونفس الصب مشغوفه

دموع العين مذروفة

ذى يطلع بالكوفه

من المشوق إلى البدر ال

وحدثني أحمد بن محمد الأستدي، قال: كتب رجل إلى المهدى كتاباً عنوانه "عبدة فلان"، فقال: لا أعلم أحداً نسب نفسه إلى عبودة في كتاب أو عنوان، فإنه ملق كاذب وليس يقبله إلا غبي أو متكبر.

وحدثني عبيد الله بن طاهر، قال: رأى طاهر بن الحسين رقعة، كتبها ابنه عبد الله بن طاهر إلى المؤمن، عليها "عبدة" فقال: يا بني سميتك عبد الله وكذلك أنت، فلا تشركن في الملك أحداً، فإنه جعلك بإنعماته حرراً لا مولى لك سواه.

وقال إبراهيم بن الحسن بن سهل يرثي أخاه:

فمت فاختلت أصول الكرام

قد كنت عنوان كرام مصوا

وحدثنا أبو ذكوان عن التنوخي، قال: عنوان الكتاب وعينانه وعلوانه. والعنوان الأثر الذي يعرف به الشيء. وتقول العرب: ما عنوان بعيرك؟ أي ما أثره الذي يعرف به. وتقول علوات الكتاب أعلونه علونة وعلواناً، فإذا أمرت قلت: علون يا معلون، وعنونته عنونة وعنواناً، فإذا أمرت قلت: عنون يا عنون. ومن قال: عننت الكتاب قال: عنن. ومن قال: عننت الكتاب أبدل مكان إحدى النونان ياء، فقال: عنٌّ يا معنى مثل عنٌّ يا معنى.

قال أبو بكر: حدثنا أحمد حدثنا أحمد بن يحيى قال: كتب رجل إلى الزبير بن بكار يستجفيفه فكتب إليه الزبير:

ما غير الدهر وَدَأْ كنت تعرفه
ولا تبدلت بعد الذكر نسيانا
إلا جعلتك فوق الحمد عنوانا
ولا حمدت وفاء من أخي تقة

المقادير التي يكتب فيها من القراطيس

قال أبو بكر: سمعتَ أَحْمَدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ الْخَصِيبَ الْكَاتِبَ يَقُولُ: الْأَئْمَةُ يَوْقَعُونَ فِي السَّجَلَاتِ، وَيَكْتُبُ الْإِلَمَامَ فِي الثَّلَيْنِ مِنَ الطَّوْمَارِ إِلَى مَلُوكِ الْمَلَكِ وَإِلَى عَمَالِهِ، وَيَكْتُبُ عَمَالَهُ إِلَيْهِ فِي مَثْلِ ذَلِكِ، وَيَكْتَبُهُ وَزِيرُهُ فِي النَّصْفِ فِي أُمُورِ الْعَامَةِ الْدِيَوَانِيَّةِ.

فاما الخاص الذي يكتبه بخطه، أو يكتب بين يديه بإملاهه، ففي حسین، ويكتابونه في مثل ذلك في الخاص والعام، إلا من كان منهم في أدنى الطبقات، فإنه لا يكتاب إلا في النصف في الحالتين جميعاً. وتنکاتب الأکفاء في الأثلاث والأربع وتحمّل المودة بينهم كل شيء حملته من التسّمح في ذلك، والأسداس للتوقيعات.

أنت لما ابتدأت تكتب في الأن

وعلمنا بأن مثلك لا يج

وقال آخر وكتب إليه في سدس:

تكتبني بالسدس جهلاً بقدره

إذا ما التعاوذي فارق رسمه

ولولا حنين هاجه مثل سائقه

إذا صح حس المرء صح قياسه

واحتاج آخر في أن كتب في ظهر فقال:

كتبت إليك في ظهر لعلمي

فقلبه ابن الرومي فقال:

عشقاك الغلمان ما أم

كذلك النسوان أفن

ومعرفتي بحبك للظهور

وليس يصح العقل من فاسد الحس

إلى الخط في التعويذ لم يعن بالسدس

فليس بمؤمن التغير والنكس

لئن كان في التعريف يكتب بالأمس

كتابتي بالسدس جهلاً بقدره

إذا ما التعاوذي فارق رسمه

ولولا حنين هاجه مثل سائقه

إذا صح حس المرء صح قياسه

واحتاج آخر في أن كتب في ظهر فقال:

كتبت إليك في ظهر لعلمي

فقلبه ابن الرومي فقال:

عشقاك الغلمان ما أم

كذلك النسوان أفن

ومعرفتي بحبك للظهور

وليس يصح العقل من فاسد الحس

إلى الخط في التعويذ لم يعن بالسدس

فليس بمؤمن التغير والنكس

لئن كان في التعريف يكتب بالأمس

أنت لما ابتدأت تكتب في الأن

وعلمنا بأن مثلك لا يج

وقال آخر وكتب إليه في سدس:

تكتبني بالسدس جهلاً بقدره

إذا ما التعاوذي فارق رسمه

ولولا حنين هاجه مثل سائقه

إذا صح حس المرء صح قياسه

واحتاج آخر في أن كتب في ظهر فقال:

كتبت إليك في ظهر لعلمي

فقلبه ابن الرومي فقال:

عشقاك الغلمان ما أم

كذلك النسوان أفن

ومعرفتي بحبك للظهور

وليس يصح العقل من فاسد الحس

إلى الخط في التعويذ لم يعن بالسدس

فليس بمؤمن التغير والنكس

لئن كان في التعريف يكتب بالأمس

إنما يكتب في الظه

وقد كره الناس الظهور، وأمر بترك استعمالها في النسخ وإنشائها، فكيف في المكاتبة. وقيل هي تفسد النبات، وتذيع الأسرار بما في باطنها، وتشعث الخطوط، وتغض من سمو الدولة، وتحقر من قدر المعنى أكثر مما يقدر منها من الارتفاع والقيمة بينها وبين النقى. وأكثر ما يكون إنصاف كتب مقطوعة، وإذا كانت كذلك كانت جنونا، ولهذا قال أبو تمام:

قرأت به الوراء سطر كتاب

عذل شبيه بالجنون لأنما

واعتذر آخر من كتابته في الظهر فقال:

يُخْبِرُ أَنِي ظَاهِرُ الْفَقْرِ

إِنْ كَتَابِي لَكَ فِي الظَّهِيرِ

فَالْعَذْرُ أُولَى بِالْفَتْيِ الْحَرِ

فَاعْذُرْ بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ سَيِّدِ

يُفْوَقُ عِلْمُ الْبَدْوِ وَالْحَضْرِ

وَاعْلَمْ وَإِنْ كُنْتَ الَّذِي عَلِمْتَ

وَالْفَقْرُ سُوقٌ إِلَى الْكُفْرِ

إِنَّ الْغَنِيَ يَصْلِحُ دِينَ الْفَتِي

الدعاء في المكاتبة وترتيبه والزيادة والنقص فيه

قال أبو بكر: احتار مشائخ الكتاب، أن تكون كتب الوزراء النافذة عن الخلفاء بغير تاء المخاطب، ولا نون الجمع، فيقول عنه: " فعلت كذا أو فعلنا كذا" بل يقول في كتبه عنه وتوقيعاته " فعل أمير المؤمنين كذا فامتثل ما أمر به أمير المؤمنين" وقد ذكرنا في التكاليف ما يعني عن إعادته.

ويكاتب الوزير الناس على مقاديرهم ورتبهم في السيف والقلم ومنازلهم، فدعاؤه لأمراء الأقاليم الكثيرة، المجموع لهم حربها وخرابها وسائر أعمالها كدعاء النظير إذا نقص قليلاً في صدور كتبه ويختمها ب مثل ذلك ولا بأس عندهم إن ذكر فيها تفدية. فأما دعاؤهم له فاختاروا أن يكون بغير التصدير وبالوزارة على حسب قوة أمرهم وتعززهم ومواعدهم من حسن رأي إمامهم. ومنهم من يدعوا بالتوزير راغباً وراهباً.

وكان عبيد الله بن سليمان نقص خمارويه بن طولون في دعائه، فرد عليه مثله. فأحابه عبيد الله بتمام الدعاء وأحال بالذنب على كاتبه.

وكان القاسم بن عبيد الله - لما استوزر مكان أبيه - يكاتب الأمير بعد بالتأمیر والدعاء التام، فيكتابه بعد بالوزیر ويتم الدعاء له.

ومن الوزراء من يدعو لبعض هؤلاء: "أطال الله بقائك"، أو "أدام عزك"، ومنهم: "أدام الله عزك وأطال بقائك". فأما من دون هؤلاء فيكتابهم: "أعزك الله وأمد في عمرك". وإلى من دون هؤلاء: "مد الله في عمرك وأكرمك وأباقاك" وإلى من دون هؤلاء: "أباقاك الله وحفظك".

قال: وأول من كتب: "عافانا الله وإياك من السوء" معاوية.

وكتب عبد الحميد إلى صديق له: "جعلت فداك من السوء كله".

وحدثني أبو القاسم إسماعيل الحاملي قال: حدثنا أبو العيناء قال: كتبت إلى صديق لي: "جعلت فداك من السوء كله"، فلقيني بعد ذلك فقال لي: أنا أستفيد منك أبداً لا عدلت ذلك، وقد كتبت إلي: "جعلت فداك من السوء كله". فلقيني بعد ذلك فقال لي: أنا أستفيد منك أبداً لا عدلت ذلك، وقد كتبت إلي: "جعلت فداك من السوء كله" ، أعزك الله ما السوء كله؟ قال: فعجبت وضحك وقلت: نلتقي بعد هذا وتقع الفوائد.

ولا يتسمى الوزير ولا يتكنى على عنوان كتابه إلى أمثال هؤلاء، ولكن يجعل العلوان: "لأبي فلان" في أحد سطريه، وفي السطر الآخر: "فلان بن فلان".

وقال طاهر بن الحسين - وهو يحارب الأئمرين، وكان أبو عيسى بن الرشيد معه - لكتابه: أكتبوا إلى أبي عيسى كتاباً تتقربون به إليه وتبعادون، ولا تطعموه ولا تؤيسوه. قلوا: إن رأى الأمير أن يعلمنا كيف ذلك ويجعل لنا. فقال أكتبوه: بسم الله الرحمن الرحيم.

حفظك الله وأباقاك وأمتع بك، وعزيز علي أن أكتب إلى صغير منكم أو كبير بغير التأمير، وقد بلغني عنك مملاة للمخلوق! فإن كان ذلك منك ميلاً على أمير المؤمنين فقليل ما أكتبك به كثيراً، وإن كتبت كما قال الله: "إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان" فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته.

وقال بعض الكتاب: ما أدرى ما معنى المصارفة في تقديم إطالة البقاء في "أطال الله بقاك وأعزك"، وتأخيره في "أعزك الله وأطال بقاك" الأفضل التقديم والتأخير في أنفسهم، وإلا فالاعطف بالواو، وهي تحيي للاشتراك فيدخل الثاني من الدعاء في معنى الأول، وقد قدم الله عز وجل، لما كان العطف بالواو مؤخراً على مقدم، فقال: "واسجدي واركعي مع الراكعين"، وقال: "يا معاشر الجن والإنس: ..

وعلى أن المؤخر قد قدم، وأخر المقدم بغير الواو من حروف العطف، قال الله عز وجل: "اذهب بكتابي هذا فألقته إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون"، قالوا: وإذا تول لم يعرف شيئاً والمعنى مقدم ومؤخر كأنه فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم. وقال عز وجل: "من بعد وصية يوصى بها أو دين" والدين قبل الوصية، وهذا كثير في الشعر واللغة، قال: فلم تستن الكتاب بذلك، وصارت التقدمة لحرف على حرف تزول، إذ قدم الثاني من اللفظ على الأول.

وقال بعضهم: لا أعرف الصرف بين "أطال الله بقاك" وبين "مد الله في عمرك" إلا ما رتبوه واستعملوه ورسموه. ومن يصارف في القليل من هذا ويشرح عليه أكثر.

وكان أحمد بن ثوابة أشد الناس في هذا، كتب إليه ابن أبي خالد رقعة يؤنسه فيها ذكر أولادها فقال: "ولو كانوا بني وبنيك". فقال: يقدم ذكر بنيه على بني لا كاتبته أبداً.

وأجتنبوا أن يقولوا للوزير في الدعاء "جعلني الله فداءك" من أجل أن الشيء إنما يفدي بمثله أو بأجل منه، وليسوا كذلك. وفي هذا الذي ذهبوا إليه خبر مليح اعترضني حدثنا به أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال: حدثني عبد الله بن شبيب قال: كتب إلى بعض إخواني من البصرة وقد تأثير عنده كتاباً أو جزء فيه وملح: أطال الله بقاك كما أطال حفاك، وجعلني فداك إن كان في فدائك، وقال:

**كتب ولو قدرت هوى وشوقاً
إليك لكت سطراً في الكتاب**

قال محمد بن يحيى الصولي: والبيت لأبي قاتم.

وكتب آخر إلى أحمد وإبراهيم ابن المدبر، وقد نالتهما مخنة وردفتهما نعمة: بسم الله الرحمن الرحيم: لو قبلت عنكما، أو دانيت قدرهما، لقلت: جعلني الله فداء لكما. ولكنني لا أجزي عنكما، ولا أقتل بكمما. وقد بلغني المخنة التي لو مات إنسان بها لكتنته، ثم اتصلت بي النعمة التي لو طال إنسان فرحاً بها لكتنته. وتحت هذه:

**وليس بتزويق اللسان وصوغه
ولكنه قد خالط اللحم والدما**

حدثنا بذلك إبراهيم بن المدبر، وهذا رأي لم يكن القدماء يرونه، بل كانوا يخاطبون الخلفاء بالتفدية فضلاً عن الوزراء.

وحدثني محمد بن يزيد المبرد قال: سأله المؤمن أبا محمد يحيى بن المبارك عن شيء فقال له: "لا، وجعلني الله فداءك يا أمير المؤمنين"، فقال: الله درك ما وضعت واوأ قط موضعأ أحسن من موضعها في لفظك. ووصله وحمله.

قال: وهذا لفضل أدب المؤمن، علم أن الفدية من أخلص الدعاء، والطف التوسل، وأن غاية موجود الإنسان، وأنفس ذخائره نفسه، جلت أم قلت. وقد قرئ في الكتاب خير الأولين والآخرين، وأجلهم قدرأ، وأعظمهم خطرأ، محمد صلى الله عليه وسلم قال له بن ثابت في جوابه لأبي سفيان بن حرب:

**هجوت محمداً فأجبت عنه
وعند الله في ذاك الجزاء**

**أتهجوه ولست له بند
فشركما لخيركما الفداء**

**لعرض محمد منكم وفاء
فإن أبي ووالده وعرضي**

وقد احتار الكتاب أن يسقطوه من مكاتبة القضاة هذا الدعاء، وذهبوا إلى أنه ليس من أبواب حقيقة الجد. وقال قمامنة كاتب عبد الملك بن صالح: يجب أن يوفر التأييد على أصحاب السيف دون القضاة، لأنهم أولى بأن يدعى لهم بالقوة. قال له عمرو بن مساعدة: القضاة إلى التأييد في أحکامهم أخرج، لأنها في الدماء تمضي وفي الفروج والأموال.

وكتب ابن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان يعتذر إليه من تركه مكانته بالندية: "الله يعلم - وكفى به علیما - لقد أردت مكانتك بالندية فرأيت هبّاً أن أذيك بنفسك لابد لها من الفناء، ولا سبيل لها إلى البقاء. ومن أظهر لك شيئاً يضرّ خلافه فقد غش وألام، إذ كانت الضرورة توجبه، وتحقق أنه ملق لا يتحقق، وعطاء لا يحصل؛ وإن كان عند قوم نهاية من نهايات التعظيم، ودليل من دلالات الاجتهد وطريقاً من طرق التقرب".

وكتب ابن القرية إلى بعض أصحابه، وذكر نفسه فقال: "وجعلها فداءك طيبة لك بذلك". وما أحسن كتاباً كتبه أحمد إسماعيل إلى بعض الكتاب، وقد نال رتبة فنّاص إخوانه في الدعاء: "الكبير أعزك الله معرض يستوي فيه النبي ذكرأ، والخامل قدرأ. ليس أمامه حجاب يمنعه، ولا حاجز يحظره. والناس أشد تحفظاً على الرئيس المحظوظ، وأكثر احتلاء لأفعاله، وتبعاً لمعائبه، وتصفحاً لأحلاقه، وتنفيراً عن خصاله؛ منهم عن حامل لا يعأبه، وساقط لا يكتثر به. فيسير عيب الجليل يقدح فيه، وصغير الذنب يكبر منه، وقليل الذم يسرع إليه. والحال التي جددها الله لك، وإن كنت أراها دون حرقك، وناقصة عن هستك، وأرضاً عند سمائك؛ حال الحاسد عليها كثير، وآمال المنافسين إليها تسير. واللودة تقتضي النصيحة، والمقدمة تدعى إلى صدق المشورة. وليس بحرس النعمة ومحوطها، وبحسم الأطماع ويصرفها، ويستحجب القلوب النافرة ويطلقها؛ إلا ترك ما أراك تستعمله في ترتيب المكانتة، وتمييز المخاطبة، والمحاضة في الفاظ الدعاء، والبخل بيسير الثناء. وتطبيق إخوانك فليس من حرقك أن تحظهم حال رفعتك، وأن تقصهم دولة زادتك. كما ليس من حرقك عليهم أن يغالطوك فيمسكوا عن خطابك، ويتحاموا عن عتابك".

تحرير الكتاب

قال أبو بكر تحرير الكتاب خلصه كأنه خلص من النسخ التي حرر عليها: وصفاً عن كدرها. وقال الله تعالى: "إني نذرت لك ما في بطني محرراً"، قال المفسرون: جميعاً حالصاً لبيت المقدس لا تشغله بغير خدمته، وحررت الغلام جعلته حراً بين الحرية والحرار. قال الشاعر:

فما رد تزويج عليه شهادة

ولا رد من بعد الحرار عتيق

قد صار الغلام حراً خالص من العبودية. ورجل حر خالص من العبودية. ورجل حر خالص من العيوب. وطين حر خالص من الحمأة والرمل.

وسائل أعرابي فقال: "اما تتفضل على حر كريم الحرورية، او مولى كريم المولوية، او عبد كريم العبودية".

وقال بعض الكتاب: ليس الكتاب كل وقت على غير نسخة، ويحرر بصواب، وكل أوان، لأنه ليس أحد أولى بالأناة والروية وتوقي الاغترار، من كاتب يعرض عقله وينشر بلامعاته، فينبغي له أن يعمل النسخ ويختبرها، ويقبل عفو القرىحة ولا يستكرهها، ويعمل على أن جميع الناس له أعداء علماء بكتابه متفرغون له، منتقدون عليه.

وقال آخر: إن الابتداء بنظم الكلام ونشره فتنة تروق، وحدة تعجب. فإذا سكتت القرىحة، وعدل التأمل، وصفت النفس، فليعد النظر، وليكن فرحة بإحسانه مساوياً لغمه بإساءة من فقد قال الخوارج لعبد الله بن وهب الراسي: نبأيك الساعة فقد رأينا ذاك. فقال: "دعوا الرأي يبلغ أننا، ولا خير في الرأي الفطير". وقال معاوية لعبد الله بن جعفر: ما عندك في كذا؟ فقال: أريد أن أصلع عقلي بنومة القائلة، ثم أروح فأقول بعد تأملي بما عندي. وقال الشاعر:

حتى يعبره بالسبق مضمار

إن الحديث يقف القوم خلوته

أو يستمر به عي وإكثار

ف عند ذلك تستعلي بلاغته

وكان قلم ابن المقفع يقف كثيراً فقيل له في ذلك فقال: "عن الكلام يزدحم في صدرني فيقف قلمي لتحيره".

والكتاب يتصف أكثر من الخطاب لأن الكاتب والمخاطب مشافه مضطرب، ومن يرد عليه كتابك ليس يعلم أسرعت فيه أم أبطأ، وإنما ينظر أصبت أم أخطأت، أو أحسنت أم أساءت؟ فابطئك غير قادر في إصابتك، كما أن إسراعك غير معيب على غلطك.

ووصف بعض الكتاب النسخ فقال: ينبغي أن يصحبها الفكر إلى استقرارها، ثم تحرر على ثقة تصحبها، وتنأمل بعد التحرير من أولها إلى آخرها. فقد كتب للمأمون مصحف اجتمع عليه عليه، فكتب: بسم الله الرحيم وأغفل الرحمن فإن العين لم تعتبر ذلك حتى فطن هو.

وقال محمد بن عبد الملك للحسن بن وهب: حرر هذه النسخة وبكر بها فتصبح بها. فقال له محمد: قد

كانت النسخة تامة فلم تصبحت. فقال: حتى تصفحت.

وحدثني أحمد بن إسماعيل قال: كان بعض الأغبياء ينظر في نسخة بعد نفوذ الكتاب فقيل له:

عذبه الهجر أشد العذاب	مستأذن اللب معنى الشباب
به وقد مكن منه التصاب	يؤمل الصبر وأنى له
صلاحها بعد نفوذ الكتاب	كناظر في نسخة بيتغي

قال بعض الكتاب: كانوا يسمون المحرر الإمام لأنه يأتي من الخط مما يؤتى. به قال: ومن هذا كتب الصي
أمامه إنما هو ما يأتى به ويتعلم عليه.

من زيد في دعاء المكاتبة له فشكر

قال الصولي حدثنا محمد بن زياد أبو عبد الله الزبيدي قال: كان العتي محمد بن عبيد الله صديقاً لعمرو بن عثمان القيني فكتب إليه العتي كتاباً فزاده في الدعاء فكتب إليه عمرو:

وسليل سادة ساكني البطحاء	يا ابن الذواب من قريش والذرى
بكرامة تزري لديه برائي	حاشا لمنتك أن يراني قائلاً
حتى دعوت الله لي ببقائي	لم ترض إذ كنיתי وبدأت بي
فيما بنت قضية الحكماء	ولو اقتصرت على التي هي قيمتي
تنبعه في العنوان حرف دعاء	لكتبتي لي عمرو بن عثمان ولم
بما أخشي به عند الورى استغباني	فاترك جعلت فداك إكرامي
أولاد حرب السادة الكبراء	فالعين تصغر أن تقدمها على
يحمون غيرهم ذرى العلباء	حلا من العز المنيع نيافة

حدثني أحمد بن يحيى الأستدي قال: كتب إلى الحسين بن سعد فنقضني في الدعاء، فكتب إليه:
قد علمت أعزك الله أن السبب في العداوة بين محمد بن عبد الملك الزيات وإبراهيم بن العباس الصولي، أنه
لما ولي وزارة المعتصم، نقص إبراهيم مما يستحقه من الدعاء، فلم تتحمل ذلك نفسه ورياسته وموضعه
من الصناعة والدولة، فعاتبه في ذلك فلم يعتبه، فألهب له نار هجاء لا يطفئها الدهر، وعلامة ذلك قوله في
كلام متشرور قد ذكره ولي هذا الأمر، فما ظن أن الرياسة تنجدب إليه، ولا أن العز يتحصل له بمحظ إخوانه
عن مترلتهم، ونقضهم عن مرتبتهم، فبخسني في المكatabة، وأساعني في المعاملة، في كلام له طويل، ثم نظم
ذلك في شعر فقال:

من رأى في الأنام مثل أخ لي

كان عوني على الزمان وخلبي

وأبى أن يعز إلا بذلي

رفعته حال فحاول حطبي

وكان الخطاب في أول الأمر، ثم أخى عليه بالحجاء.

فافتقد - أعزك الله - إنصاف إخوانك وتجنب ظلمهم يصف لك غدير ودهم.

وحدثنا محمد بن العباس الشلمغاني، قال: لما ولي ابن بشر المرثدي كتابة الموفق بالله نقص أحمد بن علي المازري في الدعاء حين كاتبه فكتب إليه:

ن أمامي خلفت عمن ورائي

كلما رمت أن أخلف من كا

زادك الله رفعة في دعائي

انقضت الدعاء لي منك لما

ت وزيراً لتطعني جزائي

فلئن تم ما أراه وأصبح

قال: فاعذر إليه وزاده في الدعاء.

وكان هذا في كلام منتشر لمن كان قبل المازري: و كنت آمل لك الرفعة، ولم أدر أنها تكسيني الضعف، وأرجو لك الشروة ولم أدر أنها تؤديني إلى الإضافة، فكان المني طرد العن، والدعاء سبب الشراء.

وكتب أبو حفص عمر بن أبي الحسين أحمد بن محمد بن المديري يعاتبه في أن دعا له "مد الله في عمرك":

وبخيلاً بالعطيا

يا جواداً بالثنا

إن "مد الله في عمرك" من كتب الجفا

ليس يستعمل هذا الصدر بين الأصفيا

فتفضل يا فتى الناس بتخييم الدعا

وكتب أحمد بن إسماعيل إلى صديق له نقصه في دعائه وحنن في كتابه:

أدين من الوفاء بغير دينه

وما أنا والكتاب إلى صديق

له باللفظ يدعو لي بدونه

أعظمه ويحرني وأدعوه

ويخشى لفظه من بعد لينه

وينقصني ولم أنقصه حقاً

لكثره ما تضمن من لحونه

فقام كتابه بالرد عني

وقال أيضاً لآخر فعليه مثل فعله:

رأيت الرياسة مقرونةً
بلبس التكبر والنخوه
إذا ما تقمصها معجب
تتاييه في الجهل والخلوه
ويقعد عن حق إخوانه
 وكلهم مسرع نحوه

قالوا: وكما أن النقص عن الرتبة مذموم فكذلك طلب الزيادة مكروره، لأن من طالب من الدعاء بما فوق محله، تعرض لخطيبته من استحقاق. وإسقاط الترتيب حجد للحقوق، وإلحاق للجليل بالدقيق. قال: وأنشدي علي بن محمد بن نصر لنفسه في رجل نقصه في الدعاء:

لساني بالثناء عليك رطب
ل بالمكروره إن أحببت عض
أتنقصني الدعاء وذلك شيء
على مثلي من الأحرار صعب
فإن عاودته فأجبت عنه
فما لك إن أساءت إلي ذنب

وكتب عبد الصمد بن المعدل إلى صديق له كتاباً فيه: "وأمتع بك" فكتب إليه عبد الصمد، وقد روي
هذا لغيرة:

أحلت عما عهدت من أدبك
أم نلت ملكاً فتهت في كتابك
أم هل ترى أن في مكاتبتي ال
إخواني نقصاً عليك في حسبك
إن جعا كتاب ذي أدب
يكون في صدره: وأمتع بك
أتعبت كفيك في مكاتبتي
حسبك مما يزيد في تعبك
ويروى هذا الحوار عن هذا:

كيف يحول الإباء يا أ ملي
إن كان ذنباً جناه ذو ثقة
وكل خير أثال في سببك
فاعد بفضل عليه من أدبك
فاعف فدنك النفوس عن رجل
يعيش حتى الممات في كنفك

وقد يزيد الرئيس تابعه في الدعاء إذا كان مغيطاً عليه لشيء ضره أو خالفه فيه، فيجري ذلك مجرى الاستهزاء به وليس ذلك مما ذكرناه أولاً.

وكتب بعض الكتاب إلى بعض الأخلاط من إخوانه، وقد زاده في الدعاء: "علي - أعزك الله - الإعظام
والهيبة في هذه الحال، إلى ما لا لم أزل عليه قبلها من الإخلاص والطاعة، وعليك أن لا يمنعك النظر إلى
بعين المودة، من الأخذ مني لنفسك بحق الرياسة، ومن أطاعك لها رجاء أو هيبة فإني أطيعك لها ودأ
ومحبة".

ما يكتتب به الناس اليوم

يكتب الإمام إلى ولي عهد المسلمين: "من عبد الله أبي فلان الإمام الراضي بالله أمير المؤمنين إلى فلان ابن فلان. سلام عليك، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على محمد وآلهم، ثم يكتب بما يراد، ثم يقال: "فأعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين، وكتب فلان ابن فلان باسم الوزير وباسم أبيه يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا".

ويكتب عن ولي العهد مثل ذلك، إلا أنه يجعل مكان أمير المؤمنين ولي عهد المسلمين. وكذلك كتب الإمام الديواني إلى الوزير. وأما مكتبة الوزراء، أمراء الناحية الأجلاء، المساوين والمقارنين، فهي: "أطال الله بقاءك، وأدام عزك وكرامتك، وأتم نعمته عليك، وإحسانه إليك وعندك". وربما زيدت لفظة ونقصت لفظة ودون هذا قليلاً "أطال الله بقاءك وأعزك أكرمك وأتم نعمته عليك وإحسانه إليك". وأول من كتب: "أطل الله بقاء أمير المؤمنين وأدام عزه" سليمان بن وهب، وكان: "أعزه". ودون هذا: "أدام الله عزك وأطال بقاءك وأدام كرامتك وأتم نعمته عليك وأدامها لك". ودون هذا: "كرمك الله وأبقاءك وأتم نعمته عليك وأدامها لك". ودون ذلك هذا الدعاء بإسقاط: "أدامها"، ودون ذلك: "حفظك الله وأبقاء وأمتع بك"، ودونها: "عافان الله وإياك من السوء برحمته". فأما مكتبات الناس إلى الإمام أو إلى ولي العهد أو إلى الوزير، فيكتب: "لعبد الله فلان بن فلان، إلى كذا أمير المؤمنين، سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فإني أحمد إلى أمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو، وسأل الله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم"، ويكون ذلك في سطرين وبعض آخر، ثم يقال: "أما بعد أطال الله بقاء أمير المؤمنين، وأدام عزه وتأييده وكرامته، وسعادته وحراسته، وأتم نعمته عليه، زاد في إحسانه إليه، بفضل الله عنه وجميل بلائه لديه، وجزيل قسمه له"، ويكون في سطرين. ثم يقال بعد ذلك: "فقد كان كذا"، لأن جواب "أما بعد" بالفاء فقد كان كذا وكذا.

فإذا أتى على جميع المعاني الحاجة إلى المكتبة فيها، بلغ إلى الدعاء قال: "أتم الله على أمير المؤمنين نعمه ونهانه كرامته، وألبيسه عفوه وعافيته، وأمنه وسلامته، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. وكتب فلان ابن فلان يوم كذا في شهر كذا".

وإلى ولي العهد والوزير مثل ذلك، إلا أن الفرق بين الإمام وبينهما أن يكتب إلى الإمام مع السلام "وبركاته" وفي آخر الكتابة مثل ذلك، ويحذف "وبركاته" إلى هذين في التصدير ويثبت في آخر الكتاب،

وقد ذكرت لك فيما تقدم.

ويكاتب الوزير أيضاً الإمام لغير تصدر، إذا لم تكن الكتب منشأة من الدواوين. ويكاتب الوزير في الحاج لغير تصدر، وإذا كتب أمير أو قاض: "أطال الله بقاء الأمير أو القاضي"، لم يقل: أما بعد ولا سلام على أحد هما.

ومكاتبنة النظارء تتحمل كل شيء على حسب المودة.

قراءة الكتاب بعد كتبه وما جاء في ذلك.

قال محمد بن يحيى الصولي: حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عتاب قال: حدثنا الحسن بن عبد العزيز الجروي قال: حدثنا عبد الله بن يحيى، قال: أخبرنا نافع بن يزيد، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن ابن سليمان بن زيد بن ثابت، عن أبيه، عن جده، قال: "كنت أكتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ي ملي على، فإذا فرغت قال: اقرأه، فأقرؤه فإن كان فيه سقط أقامه".
وقال بعض الكتاب:

واحرسه من وهم ومن سقط

المح كتابك حين تكتبه

ما أنت معصوم من الغلط

واعرضه مرتباً لصحته

وروي عن الأوزاعي أنه قال: العجم نور الكتاب، وإذا لم يعرض الكتاب، فمثله مثل رجل دخل الخلاء فلم يستنج.

ما جاء في رد جواب الكتاب والحضر على التكاء

قال الصولي: حدثنا أبو القاسم محول المستلمي، قال: حدثنا محمد بن حميد قال: حدثنا حكما، قال: حدثنا عتبة عن العباس بن دريغ عن الشعبي عن ابن عباس قال: أرى رد الجواب - جواب الكتاب - كرد السلام.

أنشدي عبيد الله بن عبد الله بن طاهر لنفسه:

تكاء يسخن عين النوى

حق الثنائي بين أهل الهوى

تراءور يشفى غليل الجوى

وفي الثنائي لا انقضى عمره

ونحوه لغيره:

فلا صلة بحسن من كتاب

إذا الإخوان فاتهم التلاقي

فحق واجب رد الجواب

ثمر على الشجر الذي لم يغرس
لك في يدي من الفصيح الآخرين

إذا جاء الكتاب إلى صديق

ومن مليح ما قيل في التكاثب:

هل تذكرین إلى التجاوز بیننا
إذ سر قلبي في يديك ومثله

ومن مليح ما قيل في استبطاء الجواب، أبيات كتبت بها في صدر قصيدة لي سيدنا أمير المؤمنين أطال الله
بقاءه، وهو إذ ذاك أمير:

ابتداء ولا يرد جواب
ت: أتاني على العتاب عتاب
ت: بولم يأتي له إعتاب
ناطق عنه حين عز الخطاب
 فهو كالناطق الذي لا يجاب

ليس يأتي من الأمير كتاب
فإذا ما شكوت ذاك وعاتب
وأطاف الملام بي في الذي قل
ولسان الذي يغيب كتاب
فإذا أبطاً الجواب عليه

وكم من رده وقد عرروا منه حضوراً تجهم وعتاب

دية الذنب عذرة ومتاب

عذت بالأعذار إن كان ذنب

ولما خرج يحيى بن عمر من عمر من المدينة إلى الكوفة فأقام بها كتب إليه أخوه احمد بن عمرك
أيا سيداً قد رمانني البعا
د منه بأمر فظيع عجائب
فلما تمادي رمانني الفرا
ق وطالت بنا مدة الاغتراب
أقمت الكتاب مقام اللسا
ن مني فاسمع لقول الكتاب
كأني أناجيك إن جاعني
ورود البشير برد الجواب

ويقال: أجاب عن الكتاب يجيب إجابة، وقالوا: جابة، وفي المثل: "أساء سعأً فأساء جابة"، ثم استعمل في
غير المثل، فقال الشاعر:

ولم يمس في ضحك الندى يتبلبل

أصم الصدى لم يدر ما جابة الرقى

وقالوا: أحببته حيبة. وليس بجودة مما تقدم.

حدثنا أشعث الضبي قال: كتب رجل إلى صديق له يستبطئ جوابه: "كتبت فما أجبت، وواصلت فما
واترت، وأضبرت فما وحدت". قال: فكتب إليه صاحبه كتاباً عنونه فلما فتحه إذا فيه:

الجفاء القبيح أحسن عندي

قال الصولي: قوله: واصلت كتبي: جعلت واحداً في أثر الآخر، لا زمان بينهما ولا تمكث. فما واترت: أي كتبت كتاباً بعد كتاب. وأكثر الكتاب يساوون بين واصلت الكتب وواترتهما، وذلك جائز على القريب، فاما اللغة فإنها توجب أن المواصلة لا انقطاع بينها، وأن المواترة لابد من انقطاع قليل بينها.

قال الأصمسي: يقال: ما في سيره ولا واترته أي ما فيه توقف. وأنشد لامرئ القيس:

وتدنها عنه باسحه مذود

نجاء مجده ليس فيه واترته

وأنشد لكعب بن زهير يصف بعر الناقة:

مضت هجعة من آخر الليل ذبل

وسمر ظماء واترتهن بعدما

وقال: قلت لزيد بن كثوة: ما السمر الظماء؟ فقال: البقارات، جعلني الله فداءك، ظمت لعطشها وذبلت.

قال: واترتهن تجيء الواحدة، ثم يكون انقطاع ما، ثم تجيء الأخرى، واضبرت وضبرت كتبت إضباراً كتب وجمعها أضبار. وكذلك إضمامها وجمعها أضاميم مثل أضباره وجمعها أضبار. وقالت امرأة من قيس: وقالت امرأة قيس:

إضمامه كحمر إلا بك

ليس بنا فقر إلى التشكي

أي لنا إبل مجتمعة أو خيل. وقال ابن الأحنف:

يخبر عن بعض أنبائها

كتاب أتاني على نأيها

بإن كان خط بإملائتها

فنفسني الفداء لهذا الكتا

وقال:

ومن براني هواه

يا من جعلت فداء

يبكي له من قراء

وكم قد كتبت كتاباً

ومن أملأه

أنا الفداء لمن خط

رأيته حاشاه

الشمس أحسن شيء

وقال أيضاً:

ولا هو يبتدينا بالكتاب

أيا من لا يجرب إذا كتبنا

وحق إخائنا رد الجواب قال الأحنف:

أما في حق حرمتنا لدكم

وإلى متى أقصى لديك وأحجب؟

ما لي أهان ولا تجاب صحائف؟

ببديك أن تستوصفي من يكتب

ما كان ضرك إذ كرهت إجابتي

وقال أيضاً:

أكتب أدعو فلا يجيب

أعياني الشادن الربيب

وإنما دائني الطبيب

من أين أبغى دواء ما بي

آخر:

وقالت: ما له عندي جواب

كتبت إلى ظلوم فلم تجني

وقد غفل الوشاة لها كتاب

فلما صرفت فكري أتاني

وقد رق التأول والخطاب

وفيه الوصل يشرق جانبه

إذا ما مر طير واسترموا

كتبت إليك والرقباء حولي

قوله: وقد رق التأويل والخطاب من قول امرئ القيس:

ورضت فذلت صعبة أي إذلال

وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا

وأنشدي علي بن الصباح:

برقعة ومداد

يا ذا الذي ضن عني

ترزنه بسود

ضايقتني في بياض

ي ناظري وفؤادي

وقد أخذت سواد

ومن مليح ما قيل في تأثير الكتاب:

ورث النجابة منجباً عن منجب

يا جامعاً شيم السيادة والذي

تصبى بريح الشوق إن لم تجنب

أشكو إليك لهيب نار في الحشا

لوجدت من ماء المداد بمذنب

ماذا عليك وأنت بحر في الندى

في وجهه غرر الكلام المذهب

تجلو القذى بسواد سطر لائح

تلقي الدواة يد وإن لم تكتب

أصبحت تدخل بالكتاب فخفت أن

منها وظهر الدرج ظهر العقرب

حتى كأن الحوض جونة حنة

من جفوة ويراك غير المعتب

أرضى لخلك أن يرى مستعبتاً

عني وقد يقع الذي لم أحسب
عين الرخيص وأنت عين المسهب

ما كنت أخشى أن تضن بكاغد
لا تحسن كتبى فكاغد أرضكم

وحدثنا علي بن الصباح قال: حدثنا أبو حمک قال: كان عبد الرحمن بن مسلم الباهلي باراً بزياد بن عبد الرحمن القشيري صديقاً له، ثم غاب فلم يكتب إليه، ولم يجده عن كتاب فقال زياد:

وعاينت ممزوج إذا لم تعain
ببينك والتجريب عند التباین
وطاح جواب واصل للقرائن
ولا لضيق في القول والعطان
تعرف من سيء ولا حسن
تقرب إلا اعترضت بالقرن

إخاوك محض للصديق إذا دنا
دنونا فاحمدنا الدنو وربتنا
فلم يأتنا منك الكتاب تقرباً
فأحابه عبد الرحمن بن مسلم:
ماذاك من نخوة ولا صلف
نحن بلوناك في الأمور فما
وقد قرناك بالوفاء فما

من تعاطي الكتابة وادعها وهو لا يحسنها

قال أبو بكر من مشهور ما قيل في ذلك:

كدعوى آل حرب من زياد
ولو غرقت ثوبك في المداد
ورقتي الأخطار واللوم
وأنت معلوم كمعدوم
اكتب من في العرب والروم
منك تشكي حال مظلوم
تحت قضاء فيك محظوم

حمل في الكتابة يدعها
دفع عنك الكتابة لست منها
ولي من أبيات في بعض الكتاب:
إن كانت الكتبة بالشوم
فصغر الحلقة حتى ترى
فأنت لا شك على ما أرى
الدهر ذو ظلم ولكنه
يأنف أن تحيا ولكنه

حدثني عبيد الله بن عبد الله قال: حدثني فضل البريدي قال: كان ولد محمد بن نصر بن بسام يقرؤون على الشعر، وكذلك أولاد عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم، وكانوا أدباء، وكان محمد بن نصر وعبد الله

منفردين من الأدب، فجلسا يوماً في مجلس فيه أولادهما، ومدت ستارة لم يسمع الناس بأحذق في الغناء من خلفها، وفي المجلس ما يكون مثله في مجالس الخلفاء وأزيد، فغنت صاحبة ستارة شرعاً لجرير:

أحب لحب فاطمة الديار

الا حي الديار بسعد إني

فقال عبد الله محمد ابن نصر: لو لا جهل الأعراب ما معن السعد هاهنا. فقال محمد: لا تغفل فإنه يقوى معدهم ويصلح أسنفهم. قال: فقال لي علي بن محمد: يا أستاذ واصفع أيما شئت منهما واجعله أبي. وقال ابن بازان الأصبهاني يهجو رجلاً من كتاب أصبهان وقد مات حتى له:

دمعه جار على ذقنه

كاتب يبكي على خنته

أنه قد شذ عن وطنه

يعلم القرطاس في يديه

ما قبيح الأمر من حسه

ليس يدرى في كتابته

قال الصولي أنسدنا هذا الشاعر لعبد الصمد بن المعدل.

دعاء المكاتبات وأصوله وما حمد منه وذم

قد كره قوم من أهل العلم: "أطال الله بقاءك". وروى عن حماد بن زيد أنه قال: أحدثها الزنادقة. وقال الأصمعي: هي من دعاء الزنادقة. وقيل: أصل يبطل هذا ويطلق النكاب بها إذا كان الناس كلهم الآن عليها.

حدثنا إسحاق بن إبراهيم البزار، ومحمد بن سعيد الأصم قال: حدثنا علي بن حرب قال: حدثنا زيد بن أبي الزرقاء، عن ابن هبيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن معاذ بن رفاعة بن نافع قال: شهدت نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم علي وطلحة وعمر وعثمان والزبير وسعد رضي الله عنهم يذكرون المؤودة فقال عمر: أنتم أصحاب رسول الله تختلفون في هذا، فكيف بم بعدكم؟ هم أشد اختلافاً. فقال علي: إنما لا تكون مؤودة حتى يأتي عليها الحالات السبع. فقال عمر: صدقت أطال الله بقاءك.

قال ابن هبيعة: المعنى لا تكون مؤودة حتى تكون نطفة ثم علقة ثم مضعة ثم عظماً ثم لحماً، ثم يظهر مستهلاً، إذا دفنت فقد وئدت، لأن من الناس من قال: إن المرأة إذا أحسست بحمل فتداولت لتسقطه فأسقطته فقد وادته. فأخبر أن ذلك لا يكون مؤودة، حتى يأتي عليها الحالات السبع. وقد ذكر الله عز وجل: المؤودة فقال: "وإذا المؤودة سئلت، بأي ذنب قتلت".

و كانت العرب إذا ولد لأحد هم ابنة، دفنتها حية. فيقال: وأدّها يئدها وأدّاً فدى صعصعة ابن ناجية المخاشعي خلقاً من البنات، بإبٍ دفعها إلى آبائهن لأنّهم كانوا يفعلون ذلك للضر والفقير فقال الفرزدق يفخر بهذا:

ت فأحيَا الْوَئِيدَ وَلَمْ يَوَدْ

وَجْدِي الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَا

حدثنا علي بن الصباح قال: حدثنا أبو مسلم السعدي قال: حدثني ابن علي، عن سوار بن عبد الله العنيري، عن الحسن قال: دخل الزبير على النبي صلى الله عليه وسلم وهو عليل فقال: ما الذي بعده جعلني الله فدائوك؟ فقال: "يا زبير أما تركت إعرايتك بعد؟" كأنه كره قوله: جعلني الله فدائوك. والفاء يمد ويقصر.

وقد روى رافع بجرير أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم وقد قال: "يكون قوم من أمي يكفرون بالقرآن وهم لا يشعرون كما كفرت اليهود والنصارى". قال: قلت: جعلت فداك يا رسول الله وكيف ذاك؟ قال: "يقررون بعض القرآن ويكفرون ببعضه". في حديث طويل، حدثنا إبراهيم بن عبد الله النميري. قال: حدثنا حجاج بن نصیر قال: حدثنا حماد بن إبراهيم الكرماني، عن عطية، عن عطاء بن رافع، عن عمرو بن شعيب، قال: كنت عند سعيد بن المسيب فقال: سمعت رافع بن جرير يقول. وذكر حديثاً طويلاً.

حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: حدثنا عبد الله بن شيث قال: كتب إلى بعض إخواني من البصرة إلى المدينة كتاباً صدره: "أطّال الله بقاك كما أطّال جفاك، وجعلني فداءك إن كان في فدائوك" وتحت ذلك:

إِلَيْكَ لَكُنْتُ سَطْرًا فِي الْكِتَابِ

كَتَبْتُ وَلَوْ قَدِرْتُ هُوَ وَشَوْقًا

قال: وكانت الكتب قدماً يقال فيها: "وَأَتَمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ" فلما قال ابن الرقاع العاملبي:

وَأَتَمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا

صَلَى إِلَهَهُ عَلَى امْرَئٍ وَدَعَتْهُ

و زاد الكتاب على ذلك: "و زاد في إحسانه إليك".

وحدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: سمعت ابن الأعرابي يقول يقول العرب: "وَهَبَنِي الله فدائوك". معنى جعلني فداءك، فأما "وقدمني قبلك"، فإن أبا تذكون القاسم بن إسماعيل حدثني قال: سمعت إبراهيم بن العباس يقول: ما أظن قول الكتاب: "وقدمني قبلك" إلا مأخوذاً من قول الأغر بن كابس العبدى في أخيه الصقر:

أَسْرَ بَأْنَ تَبَقَّى سَلِيمًا وَأَفْخَرَ

أَخِي أَنْتَ فِي دِينٍ وَقَرْبِي كَلَاهُما

نَمُوتُ فَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَتَأْخِرُ

إِذَا مَا أَتَى يَوْمَ يَفْرَقُ بَيْنَنَا

قال: فقيل لإبراهيم: إن هذا يروى حاتم. فقال: "وما على من لا يدرى شيئاً في نسبته إلى غير قائله". وهذا وأشباهه كثير. وقد ذكرته مستوفى في كتابي كتاب "اللقاء والتسليم"، الذي كتبت به إلى القاضي عمر بن محمد بن يوسف.

ومن قدسم ما قيل في "قدمت قبلك": قول حنظلة بن عراة، أنسدناه المغيرة بن محمد المهلي، عن أبي مسلم له يخاطب قومه:

و كنت مجرأ ضحكة للمواشر
فموتوا حفاظاً بالسيوف البواتر

أسعد بن زيد أنيقتي رماحك
فهذا أوان الصبر قد مت قبلكم

اللغة في دعاء المكاتبة

التأييد في اللغة التقوية. والأيد القوة، قال الله عز وجل: "بنيناها بأيد" أي بقوة. فإذا قال: وأيدك، فكأنه قال: قواك. فإذا قالوا: وتأييده وكلاعاته، فإنما قولون وحفظه. وفلان يكلا القوم يحفظهم، فهو كالئ لهم. فإذا قالوا: وزاد في إحسانه وآلائه لديك. فإن الآلاء النعم، واحدتها إلى وألٍ مثل عنب وأعناب. قال الله عز وجل: "فبأي آلاء ربكما تكذبان" أي فبأي نعمه لما عدد في سورة الرحمن نعمه على عباده، أتبع كل نعمة بذلك توبخاً لمن كفر به، وحد نعمه. فإذا قالوا: "وأدام عزك" فإن العز ضد الذل وأصله المنعة، وعز الشيء إذا امتنع وهو من قوتهم: أرض عزاز إذا كانت صلبة وقوتهم "من عز بز" أي من غالب سلب، لأنه يقال بزه كذا أي أخذه منه.

قال الصولي: ودخلت يوماً على بعض الوزراء، وهو يقرأ كتاباً، من عامل له، فمر فيه على "قد علم الله نصحي واجتهادي وإيالي" فقال ما معنى إيالي؟ قلت بريد حسن قيامي. حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: سمعت ابن الأعرابي يقول: سمعت العرب تقول: آل ايلة فلان يئو لها أو لا وإيالة إذا كان حسن القيام عليها.

فاما قوتهم: وحيل بلائه لديك، فإني سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلب وقد سئل عن بيت زهير:

فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

رأى الله بالإحسان ما فعلا بكم

فقال المعنى رأى الله إحسانهما فصنع إليهما خير الصنيع الذي يتلقي به عباده لأنه يتلقي بالخير والشر والصحة والسمسم. قال محمد بن يحيى الصولي: وقال أبو عبيدة: فاختبرهما بخير ما يختبر به لا بشره، لأن الابتلاء عنده الاختبار، ومنه "لنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين"، أي ولنختبرهم، وقد علم

ذلك عز وجل كيف يكون، ولكنه يريد أن يقع منهم فعل له يقع عليه الجزاء والعقاب، لأنه لا يذهب على علمه ماذا فعلوا، فقد علم كيف كان، وعلمه عز وجل سواء فيما يكون وفيما كان إلا أنه لا يوجب الجزاء للعباد، وعليهم على ما يعلم منهم من إحسان وإساعة إلا بعد وقوع الفعل من العباد.

وسئل محمد بن يزيد التحوي عن قول العجاج في الثور:

ونية حيث انتوى منوي

وفي الحجوز وفتى الولي

فقال: يريد الدعاء له كأنه يكون بمكان فيه وسمى ثم يأتي الولي. ونية يريد وجهة يفتقدها الثور حيث انتوى توجيه منوي، أراد حين ذهب فأي مصرف فاعلاً إلى مفعول فيريد رزق تبناً بهذا المطر حيث توجه إما دعاء له وإما إخبار عنه وعن حاله، فكان هذا عندي مما تفرد بالقول فيه حتى أنسدنا أحمد بن يحيى ثعلب بعد ذلك للأعشى أعشى شيبان:

وأقر السلام على الإبقاء والقصد

يا عمرو أقصد نواك الله بالرشد

طابت أصائله في ذلك البلد

وبك عيشاً تولى بعد جدته

فقيل له: ما معنى نواك الله؟ فقال: رعاك الله الرشد حين انتويت وحين نويت، فصح ذلك عندي، وعلمت أنه من كلام العرب.

ومن ملح ما قيل في "مت قبلك" ما حدثنا به المبرد قال: كنت عند أبي العباس بن ثوابه، فوردت عليه رقعة البحترى وفيها:

ق ولا أزال الله ظلك

اسلم أبا العباس واب

أبداً ونحن نموت قبلك

وكن الذي يحيا لنا

إحسانك الأولي وفضلك

لي حاجة أرجو لها

ك قضاءها والشرط أملك

والمجد مشترط علي

فلمنتها أعددت مثلك

فلئن كفيت مهمها

فكتب إليه: قد قضاها الله، ولو أفنيت المال، وهدمت الحال.

التاريخ وما قيل في معناه

تاریخ کل شيء غایته ووقته الذي ينتهي إليه، ومنه فلان تاریخ قومه في الجود أي الذي انتهى إليه ذلك. وسئل بعض أهل اللغة ما معنى ذلك فقال: معنى التأخیر. وقال آخر هو إثبات الشيء. ويقال: ورخت الكتاب توریخاً لغة تمیم، وأرخته تأریخاً لغة قیس. وتاریخ وتاریخان وتواریخ. وأرخ کتابک هذا وورخه.

ولكل نبوة وملكة تاريخ: فاما العرب فكانوا يئرخون بالنجوم قديماً؛ وهو أصل، ومنه صار الكتاب يقولون: بحثت على فلان كذا حتى يؤديه في نجوم. وأنجنة جمع نجوم. والعرب تختص بالنجوم الشريا، يقولون إذا طلع النجم يريدون الشريا ومنه قولهم:

فابتغى الراعي كسيه

طلع النجم غديه

والنجم بعد هذا سائر النجوم يدل الواحد على جميعها، كما يقال: أهلك الناس الدينار والدرهم براد الجنس. وعلى هذا قرأ أبو عمرو بن العلاء: " وسيعلم الكافر لمن عقبي الدار" ، والنجم ما نجم من النبات، ومن الرأي ما ظهر وهو غير هذا.

وكان العرب تؤرخ بكل عام يكون فيه أمر مشهود متعارف، فأرخوا بعام الفيل، وفيه ولد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان في السنة الثامنة والثلاثين من ملك كسرى أنو شروان. وأرخت العرب بعام الخنان لأنهم تماوتوا فيه، وعظم عندهم أمره فقال النابغة الجعدي:

من الشبان أيام الخنان

فمن يك سائلاً عنِي فإنِي

وعشر بعد ذاك وحجان

مضت مائة لعام ولدت فيه

كأن الأرض ليس بها هشام

وأصبح بطن مكة مقشعراً

وأرخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي لجلالته فيهم، ولذلك قال شاعرهم:

وروي عن الزهري والشعبي، أن بنى إسماعيل أرخوا من نار إبراهيم عليه السلام إلى بناه البيت، حين بناه مع إسماعيل، وأن بنى إسماعيل أرخوا من بناء البيت إلى تفرق معد. ثم كانوا يئرخون بشيء شيء إلى موت كعب بن لؤي. ثم أرخوا بعام الفيل إلى أن أرخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان سبب ذلك أن أباً موسى كتب إليه: إنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ، فلا ندرى على أيها نعمل. وروي أيضاً أنه قرأ صكاً ممله شعبان. فقال: أي الشعابين الماضي أم الآتي؟ فكان سبب التاريخ من الهجرة، بعد أن قالوا: تؤرخ بعام الفيل، وقالوا: من المبعث، ثم أجمع الرأي على الهجرة. وقالوا ما يكون أول التاريخ؟ فقال بعضهم: شهر رمضان، وقال بعضهم: رجب فإنه شهر حرام والعرب تعظمه، ثم أجمعوا على الحرم، فقالوا: شهر حرام وهو منصرف الناس من الحج. وكان آخر الأشهر الحرم فصبروه أولاً لأنها عندهم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والحرم، والفرد رجب، فكانت الأربع تقع في ستين، فلما صار الحرم أولاً وقعت في سنة.

قال الصولي وسألت أبا ذكوان عن أرحت وورخت. فقال: مثله أكدت الأمر تأكيداً، ووكتده توكيداً لغة ثميم، وبما نزل القرآن: "ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها". وأما التاريخ بلغة قيس فهو الذي يستعمله الناس، وأما التوارييخ لغة ثميم فما استعمله كاتب قط، وإن كانت العرب تتكلم به.

وغلبت العرب الليالي على الأيام في التاريخ، لأن ليلة الشهر سبقت يومه ولم يلدتها ولأن الأهلة الليالي دون الأيام، وفيها دخول الشهر، وما ذكرهما الله عز وجل إلا قدم الليالي قال الله تعالى: "سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً". وقال: "يوج الليل في النهار ويوج النهار في الليل". وقال جل اسمه: "سيروا فيها وأياماً آمنين".

والعرب تستعمل الليل في الأشياء التي يشار إليها فيها النهار دون النهار، لاستقائهم الليل فيقولون: أدر كني الليل بوضع كذا لهيته. وقال النابغة:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأ عنك واسع

وقالوا: صمنا عشرأً من شهر رمضان، وإنما الصوم للأ أيام، ولكنهم أجازوه إذ كان الليل أول شهر رمضان. وأنشد أبو عبيدة:

فصامت ثلاثة من مخافة ربه ولو مكثت خمساً هناك لصلت

وأما الشهور فإنها كلها مذكورة، إلا جمادى الأولى وجمادى الآخرة. ويكتبون من شهر كذا إلا في ثلاثة أشهر، يكتبون في شهر رمضان لقول الله عز وجل: "إن كتم تعلمون شهر رمضان الذي أنزل في القرآن". ويقولون: في شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر، لأن الربيع وقت من السنة، فحالوا إذا قالوا: من ربيع ولم يذكروا الشهر أن يظن أنه من الوقت. قال الراعي:

شهرى ربيع ما تذوق لبونهم إلا حمواً وحمةً وذويلاً

كل ما انكسر واسود من النبت فهو ذويل. فإذا رأوا الهلال أول ليلة كتبوا "وكتب ليلة الجمعة غرة كذا ومستهل شهر كذا ومهل شهر كذا"، لأنهم يقولون: استهل الهلال، وأهل الهلال، ولا يقولون: هل ولا أهل ولا استهل، ومن قال ذلك فقد أخطأ.

والاستهلال الصوت والصياح، ومنه استهلال الصبي صياحه وبكاؤه إذا ولد. فلما كانوا يكبرون عند رؤية القمر كل أول ليلة من الشهر وفي أول سائر الشهور لقربهم مضي الخارج من وقت الحج، وسرورهم بالموسم، نسبوا الرؤية إلى فعلهم فقالوا: استهل وأهل، وسموا القمر هلالاً لهذا المعنى. وأهل مكة يجتمعون ويوقدون النار ويلعب ولد انهم وعيدهم عندها كل أول ليلة، من سائر الشهور، إلى

وقتنا هذا لفرحهم بقرب وقت الحج.

ويكتبون ليلة الإهلال لغرة كذا ولا يكتبون لليلة خلت، ولا لليلة مضت إلا من العد لأن الليلة قد مضت. وإن كتبوا يوم الجمعة قالوا: أول يوم شهر كذا، ولا يكتبون مستهل ولا مهل لأن الهلال إنما يرى بالليل. ويكتبون في اليوم الثاني لليلتين مضتا، فإذا حاز ذلك، كتبوا لثلاث خلون وأربع مضين، وكتبوا لشمان خلون فيحذفون الياء ويثبتون الألف في الخط.

فإذا أضافوا الليلي أثبتو الياء للإضافة، لأنه لا يكون تنوين مع إضافة وإنما سقط الياء للتنوين، فيسقطون الألف عند ذلك في الخط، فيكتبون لشمان ليال، ومنهم من يثبتها. وسنذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

وإنما أثروا إلى قولهم: لعشر خلون، لتقديم الليلي على الأيام كما ذكرت، فإذا جاوز العشر قالوا: لإحدى عشرة ليلة خلت ومضت ولا ثاني عشرة ليلة. وإنما قالوا: ه هنا خلت ومضت لأن الترجمة بليلة فوحدوا الفعل لذلك. ويكتبون: لخمس عشرة ليلة خلت، وإن شاؤوا كتبوا: للنصف من شهر كذا، ولا يكتبون لخمس عشرة ليلة بقية، كرهوا ذلك لأنه شبيه الاستثناء، ولا يكون إلا أقل مما استثنى منه، ولكن يكتبون بعد النصف بيوم: لأربع عشرة ليلة بقية. وقد كره أهل الورع ذلك، لأنهم لا يدركون كم بقى لنقصان الشهر وتمامه فيكتبون: لإحدى وعشرين ليل خلت، والكتاب على غير هذا. فإذا كان آخر ليلة من الشهر كتبوا: سلخ كذا لأنهم يقولون: انسلح الشهر انسلاحاً، وسلخت أشهر كذا سلخاً وسلوهاً. ولو كتب كاتب في ربيع الأول ولم يقل في شهر، أو في رمضان ولم يقل في شهر، حاز وليس بالختار. قال الشاعر:

قطع الحديث بالإيماض

جارية في رمضان الماضي

ولا يدخلون في شهر من الشهور الألف واللام إلا في الحرم لأنه أول السنة معروفة لذلك كأنهم قالوا: هذا الذي يكون أبداً أول السنة. ولا يكتبون: لليلة بقية وأنت فيها كما لم يكتبوا: لليلة خلت وأنت فيها. والعرب تسمى أول ليلة من الشهر ليلة البراء لتبرء القمر من الشمس، ويسمونها النحيرة، لأن الهلال نحرها، أبي رؤي في نحرها وأولها. قال ابن أحمر:

في ليلة نحرت شعبان أو رجبا

ثم استمر عليها واكتف هم

نحرت شعبان كان في نحره وصدره لأنها أوله كما نحرها الهلال إذا رؤي في أولها، ونحيرة فعيلة من نحرت مثل قتلت فهني قتيلة. قال بعض الكتاب: التاريخ عمود اليقين، ونافي الشك، وبه تعرف الحقوق وتحفظ العهود.

قال: ولا يقع التاريخ في شيء من الكتب السلطانية من رئيس أو مؤسس إلا في أعيجاز الكتب. وقد يؤرخ النظير والتابع ما خلص من الكتب في صدورها.

وفي: الكتاب بغیر تاریخ نکرة بلا معرفة، وغفل بغیر سمة. قال بعض الشعراء في تاريخ وفاة:

ن فها هو ذا الیوم قد أرخا
وكان يؤرخ علم القرو

فاما الذي يروي للمستوغر بن ربيعة فهو قوله - وهو عجيب من العمر في مثل زمانه:

وازدلت من عدد السنين سنينا
ولقد سئلت من الحياة وطولها
وازدلت من عدد الشهور مئينا
مائة أنت من بعدها مائتان لي
يوم يكر وليلة تحذونا
هل ما بقي إلا كما قد فاتنا

ويقال: سبت وسبتان وأسبت وسبوت وأسبات وأسبات وأسبايت. وأحد وأحد وأحدان وأحدان وأحداد. وأحدات. وأثنين وأثنایان وأثنان وأثناین. وثلاثاء وثلاثاؤان وثلاثوات. وأربعاء وأربعاؤان وأربعوات. وخميس وخمیسان وأخمسة وخمیسات. وجمعة وجمعتان وجمع وجمعات.

ومحرم ومحرمان ومحرمات ومحارم ومحارم، وصفر وصفران وصفرات وصفاري وأصفار وصفارين، وربع وربيعان وربيعات وأرباع، وتقول: شهر ربيع وشهر ربيع وأشهر ربيع، وجمادى وجماديان وجماديات، ورجب ورجبان ورجبات وأرجبة وأرجاب ورجب وأرجيب ورجائب ورجابي. وشعبان وشعبانان وشعبانات وشعباين. ورمضان ورمضانان ورمضانات وأرمضة وأرمضة وأرميض ورماضي ورماضين، وشوال وشوالان وشوالات وشواليل، وذو القعدة وذوا القعدة وذوات القعدة وذوو القعدة، وذو الحجة مثله.

وتقول: أكربت الدار مشاهرة ومساكحة ومياومة ومناهرة وملالية ومساوية من الساعات. قال أبو بكر محمد بن يحيى: حدثني محمد بن سهل الأحوال ابن أبي يوسف قال: سمعت ابن إسرائيل يذكر قلة مدة الوزراء فقال: كان هذا الأمر مزامنة، ثم صار معاومة، ثم صار مشاهرة، ثم صار مياومة، ثم صار مسا وتلجلج ثم قال: مساعات، وأخطأ أراد مساوية فلم يفهم.

الترجمة في المكتبة

أصل هذه اللفظة فارسية، وكذلك الترجمان، وقد تكلمت بها العرب بعد ذلك وعربتها. وإنما ذكرتها هنا لأنني أحب أن لا يصفر كتابي هذا من شيء يحتاجه الكاتب. فأنا الآن أعمل منها باباً أقربه جهدي على

من يريد معرفته ليعلم كيف وجه الترجمة، فيعمل منها بعد هذا ما أراد.
وهي شبيهة بالمعمى وهو ما يكتن من الشعر كأن يسمى الألف فاختة، والباء صقرًا، والباء عصفورة ثم يردد الحروف على هذا وترجمت له الأمر أوضحته له.

فحروب الله تعالى بـ ث تـ سـ عـ وـ عـ شـ رـ وـ نـ حـ رـ فـ أـ وـ لـ هـ الـ أـ لـ فـ، وـ هـ مـ زـةـ لـ آـ نـهـ لـ آـ يـ بـ تـ دـ إـ لـ آـ بـ تـ حـ رـ كـ وـ الـ أـ لـ فـ سـاـ كـ نـةـ لـ آـ تـ حـ رـ كـ.

وقال أحمد بن يحيى: من أجل ذلك قالوا بعد أن أتوا بالألف واللام ليعملوا أن هذه هي الألف الحقيقة، وهي التي تقع في آخر حتى وهي حياة وزكاة. فالحروف مع هذه تسعه وعشرون، ومنازل القمر في كل شهر ثمانية وعشرون متزلاً، ثم يستهل، فجعلت القمر تماماً ليكمل تسعه وعشرين متزلاً بإزاء كل حرف متزلاً.

حدثني عون بن محمد الكندي قال: حدثنا العباس بن هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عن جده، عن أبي صالح، عن ابن عباس أنه قرأ: "والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القدس". فقال: هي ثمانية وعشرون متزلاً يتزل القمر كل ليلة متزلاً منها وهي: الشيطان، والبطين، والثريا، والدبران، والهقعة، والهمنعة، والذراع، والثرة، والطرف، والجبهة، والزبرة، والصرفة، والعواء، والسماك، والغفر، والزباني، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد سعود، وسعد الأنجية، والفرغ المقدم، والفرغ المؤخر، وبطن الحوت، والقمر. فأتمتها بالقمر، حتى ساوت الحروف. فإذا أردت أن تكتب "أنا" كتبت: "الشيطان، سعد الأنجية، الشيطان". فإذا أردت أن تتبعها بإليك، كتبت: "الشيطان، سعد بلع، القمر، سعد الذابح". فقس على هذا جميع ما يرد عليك إن شاء الله.

الديوان

قال الصولي: هو اسم فارسي تكلمت به العرب فقالوا: ديوان ولم يقولوا: ديوان بفتح الدال، كما قالوا: ديباج ولم يقولوا ديباج.

قال الصولي: حدثنا أبو العيناء قال: حدثني الأصمسي قال: كنا عند أبي عمرو ومعنا خلف الأحمر، فقال له رجل أسمعت من يقول ديوان بفتح الدال؟ فقال أبو عمرو: ولو جاز هذا لقالوا في جمعه: دياوين. فقال خلف: قد سمعت بعض حمير ينشد:

دياوين تشقق بالمداد

عديني أن أزورك أَمْ عمرو

فقال أبو عمرو لخلف: إن حمير لم يفدها هواء بحد. قال أبو العيناء: فسئل الأصمسي عن معنى البيت
فقال: يعني أنه في بعث قد كتب اسمه فهو يخشى أن يحل به فيسقط.

قال محمد بن يحيى الصولي: والمعنى في أنه لو كان الواحد ديوان، جمعوا دياوين، إن الياء تكون صحيحة أصلية، مثل ريحان ورياحين، فإذا قالوا: ديوان كان الياء زائدة، فإذا جمعوا انفتحت الدال فقالوا: دواوين، وهذا الصواب لأنهم يقولون: دون هذا فالواو أصلية كما قالوا: ميزان والأصل موزان، لأنه من الوزن، فالواو أصلية، فمن أجل استثنائهم الكسرة مع الواو، قالوا: ميزان قلبو الواو ياء فلما جمعوا قالوا: دواوين ردوا الواو لانفتح الدال. قال الشاعر:

وفي سوف الخرد العين

يا زين كتاب الدواوين

عزاب كتاب مساكين

يا فتنة ساقية إلى فتية

وكان سبب تدوين الدواوين، أن أبي بكر رحمه الله، لما تولى الأمر جاءه مال من البحرين، بعد أن وعد كل من له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدّة به، فأعطى جابر بن عبد الله عدّة كانت له. جاء مال البحرين فقسمه، فأخذ الرجل عشرة دراهم والمرأة كذلك والعبد كذلك. جاء في العام الثاني أكثر من ذلك، فأصابهم عشرون درهماً لكل واحد منهم، فتكلمت الأنصار في ذلك فقالوا: نصرنا وآتينا فلنـا فضـلـنا، فـلـمـ تـسـاوـيـ بـيـنـاـ وـبـيـنـاـ لـمـ لـيـسـ لـهـ شـيـءـ مـاـ لـنـاـ؟ـ فـقـالـ أـبـوـ بـكـرـ:ـ صـدـقـتـ ذـاـكـ لـكـمـ،ـ إـنـ كـنـتـمـ عـمـلـتـمـوـ لـهـ فـدـعـوـاـ هـذـاـ وـإـنـ كـنـتـمـ فـعـلـتـمـوـ لـغـيـرـهـ زـدـتـكـمـ،ـ فـقـالـواـ:ـ عـمـلـنـاـ لـهـ وـانـصـرـفـواـ.

حدثنا الغلاي قال: حدثنا عبد الله بن الضحاك عن أبيه عن عوانة قال: جاء مال من البحرين إلى أبي بكر رضي الله عنه، فساوى فيه بين الناس، فغضبت الأنصار وقالوا: فضلنا، فقال لهم أبو بكر: صدقتم إن أردتم أن أفضلكم فقد صار ما عملتم للدنيا، وإن شئتم كان ذلك لله والدين! فقالوا: والله ما عملناه إلا لله وانصرفوا. فرقى أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال: "والله يا معاشر الأنصار، لو شئتم أن تقولوا: إننا آتيناكم وشاركتناكم في أموالنا ونصرناكم بأنفسنا لقلتم، وإن لكم من الفضل ما لا يخصيه عدداً وإن طال به الأمد، فنحن وأنتم كما قال الغنوبي:

بنـاعـلـنـاـ فـيـ الـوـاطـئـنـ فـزـلـتـ

جزـىـ اللهـ عـنـاـ جـعـفـرـاـ حـينـ أـزـلـقـتـ

تـلـاقـيـ الـذـيـ يـلـقـونـ مـاـ لـمـلـتـ

أـبـواـ أـنـ يـمـلـوـنـاـ،ـ وـلـوـ كـانـتـ أـمـنـاـ

ظـلـلـ بـيـوتـ أـدـفـأـتـ وـأـكـنـتـ"

هـمـ أـسـكـنـوـنـاـ فـيـ ظـلـلـ بـيـتـهـمـ

ثم توفي أبو بكر رضي الله عنه، وقام عمر بعده، فأتى أبو هريرة مال من البحرين، وكان مبلغه ثمانمائة ألف درهم، وفي أخرى خمسمائة ألف درهم فخطب الناس فقال: "إنه قد جاءكم مال، فإن شئتم كلته لكم كيلاً، وإن شئتم عدتنا لكم عدداً"، فقال له الفيزان - وروي أن غيره قال له - إن العجم تدون

ديواناً لهم يكتبون فيه الأسماء وما لواحد واحد. فأمر باتخاذ الديوان.

وقد روي أن عمر بعث بعثاً فقال له الفيزران: إن تختلف من هذا البعث أحد كيف تصنع به وكيف يعلم عاملك بخبره؟ قال: فما ترى؟ فأشار بالديوان فعمله، وجعل المال في بيت مال، وجعل الأرزاق مشاهرة، وكل ذلك برأي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع منهم فكان هذا أوله. ثم كثر المال عليه، فقالوا: من تبدأ؟ قال: أشيروا علي. فقالوا: أبدأ في الكتاب والقبض بنفسك. فقال: بل بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب عائشة في اثنى عشر ألفاً في كل سنة، وكتب سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف، لكل واحدة وكتب بعد أزواج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في خمسة آلاف، ومن شهد بدرأً من بن هاشم، ومن موالיהם، ثم كتب عثمان بن عفان في عفان في خمسة آلاف، ومن شهد بدرأً من بن أمية وموالיהם على سواء.

ثم قال: قد بدأت بآل الرسول صلى الله عليه وسلم وبأقاربه فيما ترون أن تبدأ بعدهم؟ فقالوا: بنفسك. قال: بل بآل أبي بكر فكتب طلحة في خمسة آلاف وبلا لا في مثلها. ثم قال للناس: من أبدأ؟ قالوا بنفسك. قال: صدقتم فكتب لنفسه، ولمن شهد بدرأً، من بطون قريش، خمسة آلاف خمسة آلاف. ثم كتب لمن شهد بدرأً من الأنصار أربعة آلاف أربعة آلاف. فقالوا: قصرت بنا عن إخواننا المهاجرين. فقال عمر: لا أجعل الذين قال الله: "للفقراء والمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ييتغرون فضلاً من الله ورضواناً وينصرن الله ورسوله أولئك هم الصادقون" كمن كانت المحرقة في داره، فرضوا. ثم كتب لمن شهد أحداً بثلاثة آلاف لكل واحد منهم. ثم فرض لمن شهد فتح مكة في ألفين ألفين. وأنشد الطالقاني:

من صرت فيه علمأً

يا قمر الديوان يا

أنت تجر القلما

كأنما في كبدِي

وكان في بيتها ما كان يكفيه

إني أرى عائدات الحب تقتلني

لم تبق باقية ذكر الدواوين

في كل منزلة ديوان معرفة

تحويل الديوان من الفارسي إلى العربي

قال أبو بكر: حدثنا القاضي عمرو بن تركي قال: حدثنا القحذمي قال: كان بالبصرة والكوفة ديوانان

لإعطاء الجندي والمقاتلة والذرية بكتاب بالعربية، وديوان بالفارسية. وبالشام ديوان بالعربية مثل ذلك، وديوان بالرومية. فحول ديوان العراق إلى العربية أبو الوليد صالح بن عبد الرحمن البصري، وهو مولىبني مرة بن عبيد من بني سعيد بن زيد مناة بن ثعيم وكان من سبي سجستان. وكان صالح يكتب لزادان فروخ على الدواوين أيام الحجاج، وكان أول من جمع له الغزاة أن زياداً قال: فاستكتب عليها زادان فروخ الأعور، فبقي إلى هذا الوقت قال: فلما رأى الحجاج ذكاء صالح قريه، فقال لزادان فروخ: إن الأمير يقدمني عليك، وأنت سبيي منه، وما أحب ذلك، فلم يزل يؤخره عنه والحجاج يطلبه، فقال له زادان فروخ: لابد للحجاج مني لأنه لا يجد من يقوم بحساب ديوانه غيري، فقال له صالح: إنه إن أمرني بنقل الحساب إلى العربي فعلت، قال: فانقل شيئاً منه بين يدي ففعل، فقال زادان فروخ: لكتابه الفرس التمسوا مكسباً غير هذا.

قال وقدم الحجاج صالح فقلب صالح الديوان إلى العربي وكان كتاب العراقيين كلهم علمانه وتلاميذه. وكان ديوان الشام إلى سرجون بن منصور، وكان رومياً نصريانياً، كتب لمعاوية ولم يرده إلى عبد الملك بن مروان، ثم رأى عبد الملك منه توانياً، فقال عبد الملك لسليمان بن سعد مولى حسين - وكان على مكاتب عبد الملك والرسائل: ما أحتمل سحب سرجون، ألمما عندك حيلة في أمره؟ فقال: بل أنقل الحساب إلى العربية من الرومية، فقال: افعل. فحوله، فولاه عبد الملك جميع دواوين الشام وصرف سرجون فلم يزل سليمان بن سعد على ذلك إلى أيام عمر بن عبد العزيز رحمه الله. ثم إن عمر بن عبد العزيز وجد عليه فعزله، واستكتب مكانه صالح بن كثير الصدai من أهل طبرية.

قال الصولي: حدثنا علي بن الصباح يقول: سمعت الحسن بن رجاء يقول: ناظر فارسي عربياً بين يدي يحيى بن خالد البرمكي فقال الفارسي: "ما احتجنا إليكم قط في عمل ولا تسمية، ولقد ملكتكم فيما استغنيتم عنا في أعمالكم ولا لغتكم، حتى إن طبيخكم وأشربتكم ودواوينكم وما فيها على ما سمعنا، ما غيرتكم كالإسفيداج والسكباج والدوغباج، وأمثاله كثيرة وكاللسنكجيين والخلنجيين والجلاب، وأمثالها كثيرة وكالروزنامج والاسكدار والفراونك، وإن كان رومياً ومثله كثير، فسكت عنه العربي. فقال له يحيى بن خالد: قل له: "اصير لنا نملك كما ملكتكم ألف سنة بعد ألف سنة كانت قبلها لا تحتاج إليكم ولا إلى شيء كان لكم".

قال: وما سمعته العرب فاحتاجت إلى استعماله في نظم أو نثر، فقد أعرابته فصار عربياً بتكلمها به وإن عرها إياه. ألا ترى إلى أمرئ القيس لما خرج يريد ملك الروم فرأى الفراونك، وفعله وإنه مقطوع الذنب كيف وصفه وعربه فقال في قصيده التي أواها:

سما لك شوق بعد ما كان أقصرا

قال فيها:

على جلعد واهي الأباجل أبترأ

إذا قلت روحنا أرن فرانق

وأيقن أنا لاحقان بقىصرا

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه

قال أبو بكر: واعتراضي خير لطيف في الفرانق ليس من الكتاب فذكرته: حدثني عون بن محمد الكندي،

قال: كان ابن شاهك عدواً لأحمد بن أبي أمية، وكان فيه تأنيث فولاه إسحاق بن إبراهيم عملاً، فقال

ابن أبي أمية يخاطب إسحاق ويدرك ابنه بابن شاهك، وجعل الذي رماه به كالفرانق، وما معه كالخريطة

قال له:

قولاً له عند أهل الرأي تحصيل

"قل لـلـأمير أـدـام الله نـعـمـتـه

أضـحـى وـحـقـاـكـ عـنـهـ وـهـ مـشـغـولـ

إـنـ اـبـنـ شـاهـكـ قـدـ وـلـيـتـهـ عـمـلـاـ

تقـضـيـ إـلـىـ عـرـصـةـ فـيـ جـوـفـهـ مـيـلـ

بـسـكـةـ أـحـدـثـ لـيـسـ بـشـارـعـةـ

يـنـوـيـ خـرـيـطـتـهـ وـبـغـلـ مشـكـوـلـ

يـرـىـ فـرـانـقـهـ فـيـ الرـكـضـ مـنـدـفـعاـ

وهذا نحو قول أعرابي يصف صاحباً له، تزوج فلم يفق ليله فأنسد:

ولـمـ يـجـاـزـ سـيـرـهـ قـيـسـ قـدـمـ

فـيـاتـ يـسـرـيـ لـيـلـهـ وـلـمـ يـنـمـ

وأنشد هارون بن عبد الله لدعلب، يهجو الحسن بن وهب، لما ولي البريد بنحو قول ابن أبي أمية:

رـسـالـةـ نـاءـ عـنـ جـانـبـيـهـ شـاحـطـ

أـلـأـبـلـغـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ مـحـمـدـاـ

يـمـرـ عـلـىـ الـقـرـطـاسـ أـقـلـامـ غالـطـ

بـأـنـ اـبـنـ وـهـ بـحـيـنـ يـشـحـ شـاحـجـ

دـعـاهـ إـلـىـ غـشـيـانـهـ فـيـ المـرـابـطـ

أـحـبـ بـغـالـ الـبـرـ حـبـاـ مـدـاخـلـاـ

أـيـورـ بـغـالـ الـبـرـ حـشـوـ الـخـرـائـطـ

وـلـوـلاـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ لـأـصـبـحـتـ

وقد هجا عبد الرحمن بن عائشة ميمون بن إبراهيم صاحب البريد بنحو معنى ابن أبي أمية فقال:

يـدـبـرـهـ الـحـكـيمـ بـحـسـنـ عـقـلـهـ

أـلـأـقـوـلـاـ لـمـيـمـونـ مـقـالـاـ

شـغـلتـ بـخـرـجـةـ عـنـ دـخـلـهـ

أـمـاـ يـنـهـاـكـ شـيـبـكـ عـنـ كـتـابـ

بـغـيـرـ يـدـ فـيـأـخـذـهـ بـرـجـلـهـ

يـجـيـءـ بـهـ فـرـانـقـ مـسـتـعـداـ

الجزء الثالث

وجوه الأموال التي تحمل إلى بي المال وأصنافها ولمن تجب الأموال ثلاثة

الفيء ووجوهه خمسة: منها ما أفاء الله على المسلمين، مما يجدونه في المدينة التي تفتح، بعد سكون الحرب، وانتقال الدار من اسم الكفر إلى الإسلام، فذلك فيء وليس بغنية، كالذي فعل عمر رضي الله عنه في كثر الفخيرجان، وقد أتى به السائب، وقد وlah قسمة الغنائم بنهاؤند، لما فتحها الله على المسلمين، جمع السائب الغنائم فقسمها، ثم جاء من دله على الكتر، فاستخرجه، وكان سفطين من جوهر فأتى بهما عمر رحمه الله، فأمره أن يبيعهما ويقسم ثنهما بين الذرية، ولم يأمره أن يخسمه، فتبين أنه جعله فيما لم يجعله غنية.

والوجه الثاني: الجزية جزية رؤوس أهل الذمة.

والوجه الثالث: ما يؤخذ من نصارى تغلب وهو الزكاة مضاعفة.

والوجه الرابع: ما يؤخذ من تجارات أهل الذمة التي يختلفون فيها.

والوجه الخامس: ما يؤخذ من تجارات المشركين الذين يدخلون بلاد الإسلام بعهد. يؤخذ من تجارات أهل الذمة نصف العشر، ومن تجارات المشركين العشر.

والمال الثاني: الخمس ووجوهه أربعة فأولها الركاز، وهو دفن الجاهلية والكفار القدماء، إذا وجده إنسان أدى إلى السلطان خمسه وكانت له أربعة أحماسه.

والثاني: المعدن وهو الموضع الذي يوجد فيه الذهب والفضة والرصاص والنحاس والحديد، وقد اختلف فيه، فقال أهل العراق: فيه الخمس كالركاز، وقال أهل الحجاز فيه الزكاة معجلة.

والثالث: ما استخرج من العنبر واللؤلؤ، وقد اختلف فيه، فقال أهل العراق: لا شيء فيه وهو بمثابة المسك. وروي عن عمر رضي الله عنه أن يعلى بن منهه كتب إليه، وهو على اليمين، أن رجلاً وجد عنبرة على ساحل البحر، فكتب إليه عمر أنها سبيبة من سبب الله، فيها وفي كل ما أخرج البحر، من حليه الخمس. وقال ابن عباس رضي الله عنه: ذاك رأيي.

والرابع: كل ما غنم المسلمون من مال المشركين فيه الخمس.

والمال الثالث: الصدقة وهي في العين من كل عشرين ديناراً نصف دينار، وفي الورق من كل مائتي درهم وهو ربع العشر، والحلبي ما كان منه جوهرأً، فلا شيء فيه، وما كان ذهباً أو فضة ففيه ربع العشر،

و كذلك كل ما يركب لا زكاة فيه.

والمالية لا زكاة فيهم إلا زكاة الفطر. فإن كانوا للتجارة، كانت فيهم الزكاة، ولم يكن فيهم زكاة الفطر، وزكاة هذا كله أن يقوم ويؤخذ ربع عشر قيمته.

وفي الإبل، إذا بلغت خمساً شاة، وإذا بلغت عشرة شاتان، وإذا بلغت خمس عشرة ثلات شياه، وإذا بلغت عشرين ففيها أربع، فإذا بلغت خمساً وعشرين ففيها بين مخاض، فإن لم تكن ابنة مخاض فابن لبون إلى خمس وثلاثين، فإذا زادت واحدة ففيها ابنة لبون إلى خمس وأربعين، فإذا زادت واحدة ففيها حقة إلى ستين، فإذا زادت واحدة ففيها حذعة إلى خمس وسبعين، فإذا زادت واحدة ففيها حقتان إلى مائة وعشرين، ثم يكون في كل أربعين ابنة لبون، وفي خمسين حقة.

وبعض الفقهاء يقول: تستأنف الفريضة بعد المائة والعشرين كما كانت في الابتداء لكل خمس شاة. وفي الغنم، في كل أربعين شاة، ثم ليس فيها شيء، حتى تزيد على عشرين ومائة، فإذا زادت واحدة ففيها ثلات شياه إلى ثلاثة ثم يكون في كل مائة شاة، ولا يؤخذ من الزيادة شيء حتى تكمل مائة ويحول عليها الحول وهي على هذا التمام.

وفي البقر وجوابه في ثلاثين بقرة تبيع أو تباع، وهو جذع أو جذعة، وفي كل أربعين مسنة، وليس فيما بين الثلاثين إلى الأربعين شيء، وفي كل سبعين تبيع أو تباع، وليس فيما بين الأربعين والستين شيء، وحسابها بعد في كل ثلاثين تبيع أو تباع، وفي كل أربعين مسنة، ولا زكاة في شيء مما ذكرنا حتى تكون سائمة، والسائلة الراعية التي ترعرى في كلام المسلمين، الذين هم فيه سواء، فأما من لم يجد شيئاً من ذلك يعلمه ويحونه من ماله، فلا زكاة فيه وإن كثرا.

وقال أهل الحجاز: لا زكاة في خيل ولا رقيق، إلا زكاة الفطر التي تلزم الأحرار، ولا في شيء من دواب الوحش، ولا زكاة في لؤلؤ ولا ياقوت ولا مرجان ولا لباس ولا في شيء من العروض، إلا زكاة التجارة، فهيء على ما سميت لك فقس على ذلك.

وصدقة الأرض العشر مما يخرج الله منها، إذا بلغت خمسة أو سق. والوسق ستون صاعاً، والصاع خمسة أرطال وثلث بالرطل البغدادي في قول أهل الحجاز. وهو في قول أهل الكوفة خمسة أرطال بهذا الرطل، إذا كانت الأرض تشرب سيقاً أو ماء السماء، وإن كانت تشرب بدولاب وما أشبهه ففيه نصف العشر.

والنبي للمقاتلة والذرية وذوي الغناء عن الإسلام.

والخمس من قال الله عز وجل: "واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن الله خمسه وللرسول ولذوي القربي"،

يعني قرابة النبي صلى الله عليه وسلم، وهم بنو هاشم بن عبد مناف، وبنو المطلب ابن عبد مناف خاصة من سائر بنى عبد مناف، لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل ذلك لهم، فكلمه عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف في أن يجعلهم في أسمهم القربي مثل إخوهم بنى المطلب بن عبد مناف إذ كانوا في القربي مثلهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا أفعل إن بنى المطلب ما فارقونا في جاهلية ولا إسلام وكانوا معنا كذا" وشبك بين أصابعه. وإنما رعى لهم النبي صلى الله عليه وسلم فعلهم، لما أدخلت قريش بنى هاشم شعباً وقالوا: لا نكلمهم ولا نبأعهم، فدخل بنو عبد المطلب معهم وقالوا: لا نفارق إخواننا. واليتامى ليتامى سائر الناس ليس فيهم يتامى بنى هاشم ولا يتامى بنى المطلب. والمساكين مساكين الناس عامة ليس فيهم مساكين بنى هاشم ولا مساكين بنى المطلب. وقد قال قوم: اليتامى والمساكين يتامى هؤلاء ومساكينهم. وابن السبيل الضيف الفقير. وانختلف الناس في الله وسهم الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال قوم: المعنى في قول الله عز وجل: "إإن الله خمسه" مفتاح الكلام، كما يقال: هذا الله ولك وقد أعتقك الله وأعتقتك. والخمس مقسم على خمسة كما قال الله عز وجل: وقال قوم: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا أتي بالغنية، ضرب بما وقع فيها من شيء جعله للكعبة وهو سهم الله. هذا قول مالك. ثم يقسم ما بقي على خمسة أسمهم: فسهم للنبي صلى الله عليه وسلم، ولذى القربي سهم، ولليتامى والمساكين وابن السبيل سهم سهم.

وقال ابن عباس: كان الخمس يقسم على أربعة: فربع للنبي صلى الله عليه وسلم ولذى القربي، فيما كان للرسول، فهو لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يأخذوا من الخمس شيئاً، والربع الثاني لليتامى، والربع الثالث للمساكين، والربع الرابع لابن السبيل. وقال قوم: كان خمس الله وخمس رسوله صلى الله عليه وسلم واحداً، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي بعضه ويصرف الباقى فيما أسماه الله له، وفيما يراه صلحاً للمسلمين، والعدل قسمته الحق ما فعله عليه الصلاة والسلام.

وقد اختلف في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم ذى القربي بعد وفاته، فقال قوم: سهم ذى القربي لقرابة النبي عليه الصلاة والسلام، وقال قوم: لقرابة الخليفة. وقال قوم: ما يكون سهم النبي صلى الله عليه وسلم لل الخليفة من بعده، ثم اجتمع رأيهم على أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والغزو، وفي سبيل الله ومصلحة المسلمين، فكانا يصرفان في ذلك أيام أبي بكر ومن بعده من الأئمة رضي الله عنهم. والصدقات للأصناف التي ذكرها الله عز وجل فقال: "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله علیم حکیم".

فالقراء في اللغة هم الذين لهم قوت مجهودة أن يكفيهم لا فضل لهم ولا عندهم. واحتجوا في ذلك بقول

الراعي:

أما الفقير الذي كانت حلوته وفق العيال فلم يترك له سبـد

فقالوا: والمسكين الذي لا قوت له وقول الله عز وجل: "أما السفينة فكانت لمساكين"، يوجب خلاف ما حده أهل اللغة في المسكين.

واختلف الناس في سهم المؤلفة قلوبهم، فقال قوم: قد انقطع اليوم سهم بقوة الإسلام وأهله فسهمهم يرجع على الباقين. وقال قوم: بل للإمام أن يتآلف من يراه هذا السهم له. وأما سهم العاملين في الفريضة فأمرهم إلى الإمام يفرض لهم ما أراد.

وفي الرقاب قيل: هو أن يشتري العبد فيعتقد. وقال بعضهم، وهو الشافعي: لا يشتري من الصدقة عبد فيعتقد، ولكن يعان المكاتب منها. و "الغارمين": وهم قوم أداوا دينًا في غير معصية.

وفي سبيل الله: في الغزو. وقال بعضهم: في سبيل الله في الذين يقاتلون عليها أهلها، إذا منعوها حتى يؤدواها.

وابن السبيل: المسافر الذي تنقطع به نفقة يعطي منها ما يبلغه إلى بلده من الصدقة.

اللغة في أسنان الإبل وتعريفها

يقال لولد الناقة، ساعة تضنه أمه: "سليل" و "حوار" قبل أن يعلم أنها ذكر أو أنثى. فإن كان ذكراً فهو "سب" وإن كان أنثى فهو "حابل". فلا يزال حواراً حتى يفصل عن أمه، فيقال له: "فصيل". فإذا كان في الوقت الذي يحمل عليه فيه، وهو عند تمام سنة ودخول الثانية، فهو "ابن مخاض"، يجوز في الصدقة لأن أمه قد تخصضت بحمله، فلا يزال ابن مخاض حتى تدخل السنة الثالثة، فيصير "ابن لبون" لأن أمه قد صار لها لبون من غيره، فلا يزال ابن لبون، والأنثى ابنة لبون حتى تدخل السنة الرابعة فهو حينئذ "حق" والأنثى حقة.

إذا كان في السنة الخامسة فهو "جذع" والأنثى "جذعة" والجذوعة وقت من الزمن ليست بسن. فإذا تمت ودخلت السنة السادسة فهو "ثني" والأنثى "ثنية". فإذا ألقى رباعيته في السنة السابعة فهو "رابع" والأنثى "رابعية". فإذا ألقى السن الذي بعد الرباعية وذلك في السنة الثامنة فهو "سديس" و "سدس"، الذكر والأنثى سواء. وهو في كل هذا "بكر" والأنثى "قلوص".

إذا فطر نابه، أي انشق للخروج وذلك في السنة التاسعة، فهو "بازل"، والأنثى بازل و "بازلة" يقالان

جميعاً، وهو عند ذلك "حمل" و "ناقة" لأنثى. وليس بعد ذلك سن إنما يقال: "مخلف عام" و "مخلف عامين" وما زاد. فإذا كبر وعظم نابه فهو "عود" والأنثى "عوده" ويسمىان بأسماء كثيرة في الكبر.

أسنان الغنم

يقال لولد الشاة، حين تضعه أمه، من الضأن كان أو من الماعز، ذكراً كان أو أنثى: "سخلة" و "بهمة". فإذا بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمها، فما كان من أولاد الماعز فهو "جفر" والأنثى "جفرة". فإذا قوي فهو "عريض" ثم "عتود" والذكر في هذا كله "جدي" والأنثى "عناق" وإن كان من أولاد الضأن فالذكر "حمل" و "خروف"، والأنثى "رخل" و "خروفة"، وتكون في السنة الثانية "جذعاً" والأنثى "جذعة". قال الأصمعي: يكون جذعاً من يأتي عليه ثمانية أشهر وتسعة ونحو ذلك. وفي السنة الثالثة "ثني" والأنثى "ثنية"، وفي السنة الرابعة "رابع" والأنثى "رابعة"، وفي الخامسة هو "سدس" و "سديس"، وفي السنة السادسة هو "صالع" و "صالع" و "صالعة" بالسین والصاد، ويقال لما كان ذكراً من الماعز عند الإحداث "تيس" والأنثى "عتر".

أسنان البقر

يالق لولد اليقرة حين تضعه أمه "عجل" ثم "تباع" وهو الجذع، وبعضهم يقول: هو تبع إلى ثمانية أشهر وتسعة، ثم "جذع" إذا تمت له سنة، ثم في الثانية هو "ثني" والأنثى "ثنية"، وفي السنة الثالثة "رابع" والأنثى "رابعة"، وفي الرابعة "سدس" و "سديس"، الذكر والأنثى فيه سواء، وفي السنة الخامسة "صالع" والأنثى "صالعة". ومنهم من يجعله في السنة الثانية جذعاً، وفي الثالثة ثنياً، وفي الرابعة رباعياً، وفي الخامسة سديساً وسدساً، وفي السادسة صالعاً مثل الغنم.

أسنان الخيل

وإنما ذكرتها هنا لأن الكاتب لا يستغني عن علمائها، يقال لولد الفرس، حين تضعه أمه "مهر" والأنثى "مهرة"، ويقال له: "خروف" فإذا فصل عن أمه فهو "فصيل". فإذا استتم نبات رواضعه فهو "فلو" يقال: فليت وأفليت، فإذا أتى عليه حول فهو "حولي"، فإذا استتم حولين فهو "جذع"، فإذا أسقطت ثنياته وخرج مكأهلاً، وذلك في العام الثالث فهو "ثني"، وفي الرابع هو "رابع" وذلك إذا سقطت رباعيته، وخرج مكأهلاً، فإذا سقط قارحاه وخرج مكأهلاً فهو "قارح"، وليس بعد القارح سن، ولكن يقال:

"قارح عام" و "قارح عامين" إلى ثمانية أعوام، ثم يقال له: "مذل" والجمع "مذال".
 ومن ألوان الخيل: أحدهم وأحمر وأحمر وأحمر وأحمر وأحمر. والفرق بين الكمية والأشقر أن يسود عرفة وذنبه فيكون كميةً وإلا فهو أشقر. وأصفر وأشهب وأبلق وأبرش وملمع وهو أيضاً بلقة. وكذلك المدمر والأشيم والمولع، كل هذه شيات اللون يخالف لون الفرس يتشكل فيه، فيسمى مدمراً إذا كان فيه دارات؛ وإذا كان فيه لونان متساويان فهو أبلق، وقس على هذا. وفرس لطيم، إذا أصابت غرته عينيه أو أحدهما أو حديه أو أحدهما، فإذا أبىضت أشفاره فهو مغرب فإذا لم تصب العينين والخددين واتسعت في جبهته فهي شادحة، وإذا دنت في جبهته وقصبة أنفه فهي شرار، فإذا عرضت في الجبهة فهي سائلة.
 والقرحة كل بياض كان في جبهته ثم انقطع قبل الأنف؛ والرثيم كل بياض أصاب الجحفلة العليا قبل أو كثر فهي رثمة.

واللمظة كل بياض في الجحفلة السفلية. والفرس المظ وأرثيم. فإذا شاب الناصية بياض فهو أسعف، فإذا خلصت بياضاً فهو أصبع، فإذا انحدر البياض إلى منبت الناصية فهو المعتم.
 والتحجيل بياض يكون في قوائمه، أو في ثلات أو اثنين قل أو كثراً. يقال: محلل أربع، فإذا كان البياض في ثلات، قيل: هو محلل ثلات مطلق يد أو رجل، والتحجيل مأخذ من الحجل وهو الخلخال كأنه صار البياض موضعه، فإذا كان البياض برجليه قيل: محلل الرجلين، فإذا كان برجل واحدة قيل: أرجل، ويتشاءم به، لأن الحسين صلوات الله عليه قتل وهو على فرس أرجل. فإذا كان البياض في اليد اليمنى والرجل اليسرى مخالفًا فهو مكسور، وإذا كان في اليد اليمنى والرجل اليمنى فهو مطلق الأيام من مسك الأيسر، وإذا كان بوجهه وضح وباحدي يديه فهو اعصم، فإذا كان أبيض البطن، ولم يتصل بياض التحجيل فهو أصبع، وإذا صار في عرض الذنب بياض فهو أشعال، فإذا كان في أصل ذنبه فهو أصبع، وإذا صار في عرض الذنب بياض فهو أشعال، فإذا كان في أصل ذنبه فهو أصبع، فإذا بلغ البطن فهو أنبط فإذا ظهر من البطن فهو أبلق.

أحكام الأرضين

قال الصولي في الأرض ثلاثة أحكام: فأرض عشر غنمها المسلمون، فخمسها للإمام وتحل أربعة أحاسها بين الذين افتحوها ويقي خمسها لمن سمي الله، فهي أرض عشر. وكل أرض استحيتها إنسان، وقد كانت مواتاً قبل ذلك، فاستنبط لها ماء أو استخرج عيوناً فهي أرض عشر، إلا أن يكون الماء الذي أجراء إليها من ماء الخراج ف تكون أرض خراج. فهذه الأرضون كلها لأهلها ملك وإنهم لا شيء عليهم فيها غير العشر إن كانت تشرب سيفاً أو من ماء السماء، وإن كانت تشرب بالدالية وأشباه ذلك مما يعتمل

فيه، ففيها نصف العشر.

وأرض افتتحت صلحاً على خراج معلوم، فأهلها على ما صولحوا عليه إلا أن يلزمهم غيره، والأرض ملك لهم.

وأرض افتتحت عنوة، ففيها اختلاف؛ زعم بعضهم أن سبيلها سبيل الغنيمة تخمس وتقسم، فيكون أربعة أحاسها خططاً بين الذين افتتحوها خاصة، والخمس الباقى لمن سمى الله تعالى، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبير. وقال بعضهم: حكمها والنظر فيها إلى الإمام، فإن رأى أن يجعلها فيتاً، فلا يخسمها ولا يقسمها، ولكن تكون موقوفة على المسلمين عامة ما بقوا كما فعل عمر بالسوداد؛ فإنه لما افتتح المسلمون السواد قالوا: أقسمه بيننا، فقال: مما لمن جاء بعدكم من المسلمين؟ وأخاف أن تفاسدوا بينكم في المياه، فأقر أهل السواد في أرضهم وضرب على رؤوسهم الجزية، وعلى أرضهم الطبق، وهو الخراج، ومعنى الطبق والخرج واحد.

القطائع

قال أبو بكر: يروى عن طاوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "عادي الأرض لله ولرسوله ثم هي لكم" يعني أنها تقطع للناس.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أقطع جماعة من المهاجرين والأنصار من أموال بني النضير وكانت صفياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة. فكان فيمن سمي من أعطى أبو بكر رضي الله عنه أطهاب بئر حجر؛ وعمر رضي الله عنه أعطاه بئر حرم، وعبد الرحمن بن عوف سؤاله، وأقطع صهيباً الصراطة، وأقطع الزبير وأبا سلمة بن عبد الأسد البريلية، وأقطع أبا دجابة وسهل بن حنيف مالاً يقال له حرسة، وأقطع رجلاً من الأنصار أرضاً، فكان يخرج إليها فيرجح فيقال: نزل بعده من القرآن كذا أو قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتذا. فقال: يا رسول الله إن هذه أرض تشغلي، فاقبليها مني فلا حاجة لي فيها فقبلها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: أقطعينها فأقطعه إياها، وأقطع الزبير أيضاً بخبير أرضاً فيها شجر ونخل، وقصرها، وكتب له بذلك كتاباً، وأقطع عتبة بن فرقان موضع داره عكة مما يلي المروءة.

ولما أسلم قيم الداري قال: يا رسول الله إن الله يظهرك على الأرض كلها فهب لي قريتين من بيت لحم، قال: "هي لك"، وكتب له بها كتاباً فلما ظهر عمر رضي الله عنه على الشام جاءه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر: "أنا شاهد ذلك فإعطيه إياها". وبيت لحم هذه من القرية التي ولد فيها

عيسى عليه السلام.

و استقطعه أبيض بن جمال المازني الملحق الذي يقارب، فأقطعه إياه، فلما ولّ قال رجل: إنما أقطعته الماء العد، فرده ولم يعشه له كأنه عليه الصلاة والسلام، لما قال له: الماء العد، رأى أنه شيء بين الناس جميعاً.

ولم يكن صلٰى الله عليه وسلم يقطع حق مؤمن ولا معاهد. فبهذا جرت السنة في الإقطاعات.

وأقطع أبو بكر الزبير الحرف أيضاً مواتاً، وأقطع طلحة أرضاً، وكتب له كتاباً وأشهد له ناساً فيهم عمر، فأتى طلحة عمر بالكتاب ليختمه فقال: هذا كله لك دون الناس! لا أختتم هذا. فرجع طلحة مغضباً إلى

أبي بكر، فقال: أنت الخليفة أم عمر؟ فقال عمر ولكنه أبي وأبطل الإقطاع.

وأقطع أبو بكر لعينة بن حصن الفزاري قطعية، وكتب له بها كتاباً، فأتى عيينة عمر فأعطاه الكتاب، فبصق فيه ومحاه وسائل عيينة أبا بكر أن يجدد له الكتاب فقال: لا أحد شيئاً رده عمر.

وأقطع عمر بن الخطاب الزبير العقيق أجمع.

وخرج رجل من أهل البصرة، يقال له نافع إلى عمر فقال: إن قبلنا أرضاً بالبصرة وليس من أرض الخراج ولا بأحد من المسلمين، فإن رأيت أن تقطعيها اتخاذ فيها قضاء لخيلي، فكتب له أبي موسى: إن نافعاً سألي أرضاً على شاطئ دجلة، فإن لم تكن أرض جزية ولا خراج ولا أرضاً يجري إليها ماء جزية فأعطيه إياها.

وأقطع عثمان خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: الزبير، وسعداً، وابن مسعود، وأسامة بن زيد، وخباباً، من صوافي كسرى وما جلا عنه أهله. ثم أقطع الخلفاء بعد ذلك.

حدثنا فهد بن إبراهيم الساجي، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن نافع قال: قدم المهدي البصرة، وقاضيه عليها عبيد الله بن الحسن العنيري، فقال له: انظر بيبي وبين أهل المرعات نهر من أنهار البصرة، فجلس لهم وحضر المهدي وحضر من يناظره، فقال عبيد الله: ما تقول يا أمير المؤمنين؟ فقال: المسلمين كافة وفي مصالحهم إذا إقطاع من إمام فلا سبيل لأحد عليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه قال: "من أحيا أرضاً مواتاً فهيء له" وهذه موات. فقال: فوتب المهدي ووتب الناس حتى أصق خده بالتراب عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: قد سمعت وأطع. ثم عاد فقال: نفي أن يكون مواتاً والماء محيط بهما من جوانبها، فإن أقاموا البينة على هذا سلتم لهم. فلم يأتوا ببينة. وأحب عبيد الله أن يتحدث الناس بأنه حكم على المهدي بحكم، فخلط حكماً بسؤال فضج المهدي ووتب، وتفرقوا. فعزله المهدي وقال: والله ما أردت إلا أن يقول الناس حكم على المهدي وإنما علمت أن الحق معه!.

فهذا الموات لأهله لا يملكه عليهم أحد، إلا بإذنهم وهو كالعامر. والموات الثاني ما لم يملكه أحد قط، فهذا بلاد المسلمين عامر وموات، فالعامر لأهله والموات شيئاً: شيء ملكه الناس فأحيوه ثم خرب ومات،

الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحيَا أرضاً مواتاً فهِي لَهُ، وَالْإِحْيَاءُ أَنْ يَأْتِي إِلَى مَوْضِعٍ لَا يَنْازِعُهُ فِيهِ أَحَدٌ وَلَا لَأَحَدٍ فِيهِ أَثْرٌ فَيَحْوِزُهُ وَيَسْوَقُ إِلَيْهِ بِكُلِّفَةٍ وَمُشَقَّةٍ أَوْ يَبْنِي فِيهِ بَنَاءً.

والعروق أربعة: عرقان ظاهران وهما البناء والغرس، وعرقان باطنان كالبئر والنهر.
وقيل: من أقطع معدناً ملكه ملك الأرض وقيل: لا يملكه ملك الأرض إلا إن عمل فيه وإلا دفع إلى من يعمال فيه.

جزية رؤوس أهل الذمة

قال أبو بكر بن يحيى الصولي: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرة من مكة، والناس أخالط مسلمون وبهود ومسرّكون ومنافقون. فوادع يهود المدينة كلهم، على أن يكفوا عنه ويكتف عنهم. فلما غزا تبوك، أمره الله بوضع الجزية، فصالح أهل أيلة، وأدرح، ووادي القرى، وتيماء، ووضع عليهم الجزية، وقدم المدينة فوضع الجزية على من بالمدينة ومكة وخيبر واليمن ونجران، من أهل الذمة، ووضع الجزية على رقابهم: على الرجل ديناراً ونحوه، وليس في ذلك النساء ولا الصبيان، وفي تجارتهم نصف العشر، فلما فعل ذلك بهم صارت لهم ذمة وعهد وجب عليه صلى الله عليه وسلم أن يمنعهم من ظلمهم، ويقاتل عنهم، ولم يكن لهم، وهم موادعون، أن يمنعهم ويقاتل عنهم وإن ظهر عليهم عدوهم.

وقال قوم: أول من أدى الجزية أهل نجران. وقبل صلى الله عليه وسلم من المحسوس الجزية.

حدثنا محمد بن يونس الكديمي وإبراهيم بن عبد الله اللحي، واللفظ للكريمي، قال: حدثنا أبو عاصم قال: رأيت جعفر بن محمد رضي الله عنه بمكة، فقلت: يا ابن رسول الله حدثني قال: أفي هذا الموضع؟ فقلت: إن رأيت ولو حديثاً، فقال: سمعت أبي يقول: قال عمر بن الخطاب: لست أدرى ما أصنع بالجنس! فقام إليه عبد الرحمن بن عوف، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسئل عنهم فقال: "استنوا بهم سنة أهل الكتاب". فقلت: يا ابن رسول الله زدني فضرب بغلته وسار.

وكانَتِ الْجَزِيَّةُ أَيَّامَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى كُلِّ حَالٍ دِينَاراً، وَلَيْسَ عَلَى النِّسَاءِ وَلَا الصَّبِيَّانِ شَيْءٌ. ثُمَّ ضَرَبَ عَمَرٌ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ - وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ عَلَى أَهْلِ الْذَّهَبِ - عَلَى الرَّجُلِ أَرْبَعَةَ دِنَانِيرٍ وَحَنْطَةَ وَزَبِيباً. ثُمَّ زَالَتِ الْحَنْطَةُ وَالرَّبِيبُ. وَضَرَبَ عَلَى أَهْلِ السَّوَادِ دِينَاراً، وَالصَّرْفُ اثْنَيْ عَشَرَ دِرْهَمًا بَدِينَارٍ عَلَى الطَّبَقَةِ السُّفْلَى، وَعَلَى الْوَسْطَى دِينَارِيْنِ أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا، وَعَلَى الْعُلَيَا أَرْبَعَةَ دِنَانِيرٍ بِشَمَانِيَّةٍ وَأَرْبَعِينَ دِرْهَمًا، وَأَسْقَطَ ذَلِكَ عَنِ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ. وَإِنَّمَا فَعَلَ عَمَرٌ ذَلِكَ عَلَى قَدْرِ الْيَسَارِ وَالْطَّاقَةِ. فَالَّذِينَ يُؤْخَذُونَ مِنْهُمُ الْجَزِيَّةَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالْمَحْسُوسُونَ وَالصَّابِعُونَ وَقَدْ أَخْذَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْبَرْبَرِ.

واستياء الجزية بغير ضرب ولا عنف. ويقبل منهم مكان الدنانير والدرارم الثياب وما أشبهها. وروي عن علي عليه السلام أنه كان يأخذ في الجزية من صاحب المال مالاً، ومن صاحب الحبال حبالاً. ولا يأخذ فيها حمراً ولا خنافير.

ولا يباع في الجزية بقرهم ولا حميرهم ولا مواشيهم. وانختلف الناس في قوله عز وجل: "عن يد وهم صاغرون"، فقال سعيد بن المسيب: يتبعون عند أخذها. قال أبو عبيد: لم يرد تكليفهم فوق طاقتهم، إنما أراد أن لا يعاملوا عند طلبها بالإكرام لكن بالإستخفاف. وكتب عمر إلى أمراء الأجناد أن يختموا رقاب أهل الذمة، وأن تجز نواصيهم، وأن يركبوا الأكف عرضاً ولا يركبوا كما يركب المسلمون، وأن يربطوا الكستحات في أوساطهم ليعرف زبدهم من زب المسلمين. وقيل: وهم صاغرون يعطيها قائماً والذي يأخذها قاعد. وليس على عبد جزية. وإذا أخذت الجزية منهم لم يكن لهم أن يظهروا شركهم حتى يسمعوا المسلمين، ولم يكن للمسلمين أن يتبعوهم فيما أخفوه عنهم. وعلى المسلمين أن يجرروا عليهم أحكام المسلمين، قال: فهذا معنى وهم صاغرون. حدثنا محمد بن زكريا العلائي قال: حدثنا العباس بن بكار قال: حدثنا أبو بكر المذلي قال: سمعت الحسن يقول: "كراء الدار جزية المؤمن؛ ولا يلزم الرهبان أصحاب الصوامع جزية، لفقرهم وتخليلهم عن الدنيا".

مبلغ ما كان يرتفع من الخوارج

ارتفع خراج الشام على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه خمسمائة ألف دينار، فلما أفضى الأمر إلى معاوية، قطع الوظائف على أهل المدن فوظف أهل قنسرين أربعين ألف دينار، على الجمامجم من ذلك الشأن. وعلى أهل دمشق أربعين ألف دينار، على الجمامجم من ذلك الشأن. وعلى الأردن مائة وثمانين ألف دينار، على الجمامجم من ذلك الشأن. وعل فلسطين مثل ذلك، ثم جعل بعد ذلك يصطفى الأرض الجيدة ويدفعها إلى الرجل بخراجها وعلوها، والخراج على أصله لا ينقص منه شيء.

ذكر مصر

دخل عمرو بن العاص مصر بصلاح وعهد، فوضع عليهم من الجزية، على كل إنسان دينارين وثلاثة أرداد قمحاً، والأردب عند أهل مصر ست وبيات، واللوبيه كيل يكون ما فيه من الخطة ثلاثة رطلاً بالبغدادي، إذا كانت الخطة ثقيلة، فإذا خفت كانت سبعة وعشرين رطلاً، وجعل عليه مع الثلاثة أرداد

قسطين زيتاً وقسطين خلاً وقسطاً من عسل. والقسط كيل عندهم يكون ما فيه أربعة أرطال. وهم من الشرط: أن لا تباع نساؤهم، ولا أولادهم، ولا أرضوهم ولا ديارهم، ولا تباح كنوزهم، ولا يزداد عليهم في جزائهم.

فلم يزل ذلك على ذلك حتى ولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فكان إلى أيام عبد الملك بن مروان ألفي ألفي دينار، فإنه ولي أخاه عبد العزيز مصر فخط الأرضين، وذلك أنها كانت كثيرة فاقتصر أقواماً، وزاد ذلك على الجماجم فكانت تستأدي ألف ألف دينار، فرحلوا إلى عبد الملك يشكون، فلما رجعوا زاد عليهم عبد العزيز.

ذكر السواد

اختالف الناس في خراج السواد، فروى بعضهم أن عمر رضي الله عنه، بعث عثمان بن حنيف لمساحة السواد، فمسح الأرض وجعل على جريب الكرم عشرة دراهم، وعلى جريب النخل خمسة دراهم، وعلى جريب البر أربعة دراهم، وعلى جريب الشعير درهرين. وروي أيضاً أنه جعل على كل جريب عامراً وعامراً، درهماً وقفيزاً، وعلى جريب الرطبة خمسة دراهم. وعلى جريب الشجر عشرة دراهم وعشرة أقزنة، ولم يذكر النخل. وقيل: جعل على كل جريب عامر وعامر يناله الماء بدلوا أو غيره عطل أو زرع درهماً وقفيزاً وألقى لهم النخل عوناً لهم. وجعل على كل جريب كرم عشرة دراهم، وعلى جريب الرطبة ستة دراهم، وعلى جريب السمسسم خمسة دراهم، وعلى جريب الخضر من غلة الصيف، من كل جريب ثلاثة دراهم، وعلى جريب القطن خمسة دراهم.

وروى عن الشعبي أن عثمان بن حنيف مسح السواد، فوجده ستة وثلاثين ألف جريب، فوضع على كل جريب درهماً وقفيزاً ولم يذكر غير ذلك.

وإلى هذا ذهب أكثر الفقهاء أن عمر رحمه الله، إنما أوجب الخراج على أهل الأرض خاصة، بأجرة مسممة، لأن مخرج الخراج مذهب الكفاء، فكأنه أجرى كل جريب بدرهم وقفيز في السنة، وألقى من ذلك الشجر والنخل، فلم يجعل لها أجرة، لأن قبالتها لا تطيب حتى تسمم، فيكون ذلك مع الشمر قبل أن ييدو صلاحه، وقبل أن يجعلوها. قال: وهذا الذي كرهه الفقهاء. وفي هذا الحديث حجة لمن قال: السواد فيء للمسلمين، وإنما أهله عمال للمسلمين بكراء معلوم.

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي: وهذه الأحاديث كلها تدل على أن جعل الخراج على الأرضين، التي تغل من ذوات الحب والشمار، وعطل من ذلك الدور والمساكن التي يتلذثها فلم يجعل عليهم فيها شيئاً. وقال أبو حنيفة ومالك والثوري وابن أبي ذئب: إذا عمرت الأرض رأينا أن يزداد عليها، وإذا نقصت رأينا

أن يوضع عنها. وقالوا ليس على الغامر شيء وإن بلغه الماء.
وحل السواد التي وقعت عليه المساحة من لدن تخوم الموصل ماداً مع الماء إلى ساحل البحر ببلاد عبادان من شرقى دجلة هذا طوله. فأما عرضه فحده من أرض حلوان إلى منتهى طرف القادسية المتصل بعديب. فأما خراجه فإن الواقدي ذكر أنه سال عبد الحميد بن جعفر كم مبلغ خراج سواد الكوفة على عهد عمر؟ قال: سبعون ألف ألف درهم.

وروى عن محمد بن كعب القرظي، قال: أخبرني أهل الأرض بالعراق، أنه بلغ الخراج على عهد عمر وعثمان رحمهما الله مائة ألف ألف. فلما ولي معاوية صار إلى خمسين ألف ألف وهدايا النوروز والمهرجان خمسون ألف ألف لنفسه، وكان قد اصطفى أموال كسرى فكان يقطع فيها ويصل ويحجز من يشاء.

ثم بلغ الخراج في فتنة ابن الزبير ستين ألف وهدايا النوروز والمهرجان وصواف نحو عشرين ألف ألف، فلما ولي الحجاج صار إلى أربعين ألف ألف، وما كان يصل إلى ذلك إلا بضرب الأبدان، فلما قتل ابن الأشعث، قال الحجاج: الآن فرغت لأهل السواد فعمد إلى رؤسائهم، وأهل بيتوتاتهم من الدهاقين، فقتلتهم صريراً وجعل كلما قتل من الدهاقين رجلاً، أخذ ماله وأضرر بمن بقي منهم إضراراً شديداً، فخرجت الأرض فمات الحجاج والخراج خمسة وعشرون ألفاً، فكان الأمر على ذلك حتى ولي عمر بن عبد العزيز، فولى عبد الحميد بن عبد الرحمن السواد، وتقدم إليه أن يرجع إلى ما وضع عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أرضهم ورقابهم، ولا يقبل من أطافهم شيئاً في أعيادهم.

وأول من أحدث هدايا النوروز والمهرجان الوليد بن عقبة بن أبي معيط، ثم سعيد بن العاص بعده، فضج الناس إلى عثمان رضي الله عنه فكتب إليه فنهاه عن ذلك، بلغ الخراج بعد هدية النيروز في أيام عمر بن عبد العزيز ستين ألف ألف فكان يخرج أعطيات الناس وينفذ إلى عمر بعشرة آلاف ألف درهم.

حدثنا القاضي عمرو بن تركي قال: حدثنا الوليد بن هشام القحدمي، قال: قال الحجاج يوماً للدهاقين - وقد اجتمعوا عنده: كم كان عمر بن الخطاب يجيء السواد؟ قالوا: مائة ألف ألف درهم. قال: فكم جباه زياد؟ قالوا: مائة ألف ألف. قال: فكم نجبيه نحن اليوم؟ قالوا: ثمانين ألف ألف. قال: فلم ذلك؟ فقال له ابن حمبل بن بصبهري دهقان الفلوحين: هذا كله لبيتين قاهمما شاعركم الحارث بن حلزة. قال: وما هما قال لقوله:

إنك لا تدرى من الناتج

لا تكسع الشول بأغبارها

وأصبب لأنصيافك ألبانها

فإن شر اللبن الوالج

فاستعمل عمالكم هذا فخررت الدنيا. ومعنى البيتين أن العرب كانت إذا أخصبت عاماً، لم تستقص الحلب، وتركت في الضروع بقية، وكسعت الضروع بالماء البارد ليتراد اللبن، فيكون أقوى لظهورها، فإن كان في العام المقبل جدب، كان فيها فضل وقوه حتى لا ينقطع اللبن، فقال هذا الشاعر: "لا تكسع الشول" وهي النوق، بأغبارها وهي بقايا ألبانها، إنك لا تدرى من الناتج أي لعله أن يغار عليك فتؤخذ أو ثقوت، فيأخذها الوارث. فالصواب أن تتعجل منفعتها. أي فعمل العمال هذا وأخذوا العاجل، ولم يعمروا للعام المقبل فتقص الخراج لذلك.

وهو الخراج والخرج.قرأ أهل الكوفة خراجاً بالألف في كل القرآن إلا عاصماً فإنه قرأها هو وأهل المدينة وأبو عمرو خرجا بغير ألف، وكذا قرأ ابن عباس رضي الله عنه.

والخرج في اللغة الأجر، ومنه خراج الأرضين. وقال الفراء: الخراج أعم والخرج أقل، كأنه شيء من الخراج. ويقال للدمي: أذ خرج رأسك فخرجا ربك خير. قال الكلبي: فرزق ربك خير.

وقال الحسن - وهو الصواب: فأجر ربك خير لك في الآخرة من أجورهم في الدنيا، إذ كان أكثر الناس على أن الخراج الأجر وأخرجه. وحكي التوجي أن أعرابياً قال: ما مواعيدهم إلا أسرية فجمع سرابة أسرية، وخرج وخرج مثل فلس وفلوس.

القبالات

قال أبو بكر: حدثنا محمد بن القاسم أبو العيناء قال: حدثني الأصمعي عن أبي الأشهب عن الحسن قال: جاء رجل إلى ابن عباس رحمه الله فقال: أتقبل منك الأبلة بمائة ألف؟ فضربه ابن عباس وصلبه. وروي أن عبد الرحمن بن زياد قال: أنا قلت لابن عمر: إنا نقبل الأرض فنصيب من ثمارها يعني الفضل، فقال: ذلك الربا العجلان. وقال ابن عباس رضي الله عنه القبالات حرام.

وقال سعيد بن جبیر: لا خير في القبالة، وإنما كرهوها لأنها بيع ثم لم يخلق بعد، ولم يد صلاحه، وزرع نابت لم يستحصد، ومن قبل أن يزرع فهذا هو الغر المنهي عنه.

وقال بعض الفقهاء فيها: إنه يحکم على الله أن يصير الأمر على ما يريد، فإذا كان شيء معلوماً جازت القبالة والإجارة، كأنه قول الرجل: قد أجرتك هذه الدار بعشرة دراهم شهراً معلوماً، فإن كانت الإجارة أربعة، أو جهل منها واحد حاز، فقد عرفت الدار وعرفت المدة ووصفته، وعرفت الدرار، فهذه ثلاثة إن كانت قد عرفت، ولم يعرف هل يسكن الدار وحده أو هو وعياله؟ ولا يعرف عدد عياله، فهو جائز.

ما يفضل من المال

قال محمد بن يحيى: حدثنا عبد العزيز بن معاوية القرشي، قال: حدثنا جعفر بن عون قال: حدثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "اجتمعوا لهذا المال فانظروا من ترونه، إني سمعت الله عز وجل يقول: "ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فللهم ولرسول ولذى القرى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم"، والله ما لهؤلاء وحدهم. "والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم". والله ما هو لهؤلاء وحدهم. "والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا أغرر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان". والله ما من أحد من المسلمين إلا وله حق في هذا المال، أعطي منه أو منع حتى راع بعده".

وقال عمر يوماً: قد أعطيت الناس حقوقهم، وفضل عندي مال ما ترون فيه؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين لك حاج، وتنوبك نواب لا تنوب غيرك، فخذه إليك لذلك فإن أنفسنا طيبة لك به. وعلى رضي الله عنه ساكت، فقال: ألا تتكلم يا أبا الحسن؟ فقال: قد أشار عليك القوم، فقال: لم يجعل علمك ظناً وينبئك شكاً، قال: قد قلت قوله لتخبر حن منه، قال: أما تذكر حين بعثك رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة، فأتيت العباس فمنعك الصدقة، فأتيتني فقلت: إن العباس منعني الصدقة، فانطلق معي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق معك فوجدناه مهموماً، فرجعنا ولم نقل شيئاً له، ثم رجعنا وقد طابت نفسه، فقال: "إن كان عندي ديناران فكأهما يهمني حتى وجهتهما". فقلت: إن العباس قد منعني الصدقة، فقال: "إن عم الرجل صنو أبيه" قال: لا حرج إنيأشكر لك المرتدين جميعاً قال: فأشر على. قال: فإنيأشير عليك أن تقسمه، فدعا عمر عبد الله بن الأرقم، فقال: كم في بيت المال؟ قال: كذا وكذا، قال: "لولا أني أرى أن أقرب لمنفعته أن يكون معاً، لقسمت الأول فالأخير"، فقام رجل من ثقيف فقال: يا أمير المؤمنين أعده للبواقي فقال: "كلمة شر يتن بها أمراء السوء من بعدي، أعطاني الله جوابها، بل أعد لها ما أعد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تقوى الله وطاعته".

ولما حبس معاوية على الناس أعطياهم، قام إليه أبو مسلم الخواري وهو يخطب فقال: يا معاوية إن هذا المال ليس لك ولا لأبيك وأمك، فلم حبس على الناس العطاء؟ فغضب ثم نزل فدخل وأوْمأ إلى الناس أن تثبتوا ولا تترقبوا، ثم خرج فعاد إلى المنبر فقال: أيها الناس إن أبا مسلم الخواري قد قال ما قال فوجدت لذلك، وإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا غضب أحدكم فليغتسل"،

وصدق أبو مسلم فاغدوا على أعطياتكم فخنقوها على بركة الله. ثم كانت فضول الأموال تحمل إليه فيصل بها من أحب وينفق كيف يريد.

مكاتبة المسلم وغيره

مضت السنة في المكاتبة أن يبتدئ المكاتب نفسه على المكتوب إليه. يروى أن العلاء بن الحضرمي كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ بنفسه. وروى الربيع بن أنس أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يكتبون إليه من فلان بن فلان إلى محمد رسول الله. وقد رخص في تقديم المكاتب. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "إذا كتب أحدكم فليبدأ بنفسه إلا إلى والد ووالدة أو إمام". وروى يحيى بن أبي كثير أن زيد بن ثابت كتب إلى معاوية فبدأ باسم معاوية.

قالوا: والكتاب إلى المسلم: سلام عليك فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. وإلى غير المسلم: والسلام على من اتبع المهدى. كذا كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم وإلى كسرى وإلى مسيلمة الكذاب. وقد روي أنه رخص في رد السلام على الكافر، وأن رجلاً منهم كتب في آخر كتابه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: سلام عليك. فأمر النبي صلى الله عليه وسلم الكتاب أن يرد عليه السلام. وإنما كتبوا في أول الكتاب سلام عليك، لأن النكرات أوائل الأشياء والمعارف الشوانى، فافتتحوا بالنكرة فإذا ردوه عرفوا فقالوا: السلام عليك فعرفوه بآلف ولا م أي هذا ذلك الأول. كقولك في الكلام من بي رجل فكان من أمره كذا وكذا، ثم قال لي الرجل: كذا، فعرفت أنه ذلك الذي ابتدأت بذكره.

وقال بعضهم إذا كان الشيء مهماً لا ينفصل بعده من بعض تكلموا به مرة بالآلف واللام، ومرة بطرحها كقولهم: قلت خيراً، وقلت الخير، وكسبت مالاً وكسبت المال، ولا أراك الله سوءاً ولا أراك السوء.

ما في الإنسان وغيره

وهذا شيء لا يسع الإنسان الثنایا، وهي أربع: اثنتان من فوق واثنتان من أسفل. ثم الرباعيات الواحدة رباعية مخففة اليماء، وهن أربع ويقال لهذه الثمان الثغر. ثم الأنیاب وهن أربع، ثم الضواحك والتواجد، وهن ثمان، ويقال لهن العوارض، ثم الأرحة وهي الأضراس: أربعة من فوق وأربعة من تحت في جانبي الفم، وهي الطواحن. واللحي مركب الأسنان وهو الفك، والثالثة: اللحم الذي فيه الأسنان، والدردر

مغارز الأسنان في اللثة، والعمور اللحم الذي بين الأسنان الواحد عمر، وأضراس الحلم ضرسان: ثنان في آخر الأضراس من أسفل لا من أعلى إذا صار الإنسان رجلاً.

وما كان له خف مثل الجمل والنعامة، فإنه يقال لفمه: مشفر وما كان له ظلف قيل له: المرمة والمقدمة والجحفلة للحافر والخراطيم للسباع والمنسر والمنقار للطائير.

الأطعمة

يقال: الوليمة، ولطعام الأبنية الوكيرة، ولطعام الولادة الخرس، لأن ما تطعم النساء خرسة، وطعم الختان إعدار، وطعم القادم من سفر نقيعة.

ويقال: قرمت إلى اللحم قرمة، وعمت إليه عيمة. ويقال: يدي من اللحم غمرة وزهمة لأن الزهم الشحم، ومن الزبد والبن وضرة، ومن السمك سهكة. وربما حمل بعض هذا على بعض.

ويقال: أرغم الله أنفه، خص الأنف لأنه اطلع ما في الوجه، والرغام التراب يراد كبه الله على وجهه فإن أول ما يلصق منه التراب بالأنيف، وقالوا: على رغم أنفه، ثم كثر حتى قالوا: على رغمه فالقوه الأنف. وقمقم الله عصبه جمعه حتى لا يحرك يداً لا رجلاً، والبحر قمقام من ذلك لأنه مجمع الماء. قالوا: والشافقة قرحة تخرج بالقدم فتكتوى فتذهب، فإذا قالوا: استأصل الله شافقته، فكأنما قالوا: أذهب الله كما أذهب الشافقة. وإذا أصابه ذلك قيل: شفيت رجله شافاً.

أسكت الله نأمه، النيم الصوت الضعيف مخففة، ونامته مشددة ما ينم عليه من حركته. سخم الله وجهه سوده من السخام وهو سواد القدر.

وأسخن الله عينه أي غمه وحزنه، لأن دمعة الحزن حارة، ودمعة الفرح باردة، فلذلك يقال: أقر الله عينك مأخوذه من القر.

وأباد الله حضراهم أي سوادهم يريد أشخاصهم، ويقال للروضة الحضراء سوداء، ومنه صفة الجنتين "مدهامتان" وقال الأصمعي: أباد الله حضراهم أي غضارتهم. والحضراء طينة حضراه علقة. وفي جنبي الإنس أربعة وعشرون ضلعاً، الواحدة ضلوع وهي مؤنثة ويقال للمؤخرة منها ضلوع الخلف. وهنها شيء يكثر في كلام الناس فذكرناه: تقول للمرجل إذا أمرته بأخذ الشيء: ها يا رجل، وللإثنين هاؤما، وللجمع هاؤم وهاءيا امرأة فتكسر الهمزة للمؤنث، وللمرأتين هاؤما، كما للمذكر في الإثنين وفي الجمع هاؤن تدخل النون لجمع المؤنث. فإذا أدخلت الكاف، قلت: هاك يا رجل، وهاك يا امرأة، وهاكا للذكرين والاثنين، وإن جمعت قلت للذكران: هاكم وللإناث هاكن. وإن أمرت بإعطائك شيئاً قلت للذكر: هات يا هذا، وهاتيا وهاتوا، وللمؤنث هاتي وهاتين. وإذا سألت رجلاً عن رجل قلت:

كيف ذاك الرجل؟ وكيف ذاكما وكيف ذاك؟ وإذا سألت رجلاً عن رجلين، قلت: كيف ذاكما وكيف أولئك؟

وإذا سألت رجلاً عن المرأة، قلت: كيف تلك المرأة الخطاب للرجل وأول الكلام للمرأة، وفي الشنفية كيف تانكما؟ وفي الجمع كيف أولئك؟ فإذا سألت امرأة عن رجل، قلت: كيف ذاك الرجل؟ أول الكلام للرجل وأخره للمرأة. وكيف ذاكما وكيف أولئك؟ بالنون لأن آخر الكلام للمؤنث. فإن سألت امرأة عن امرأة، قلت: كيف تلك المرأة وكيف تانكما وكيف أولئك؟

مدح الإيجاز في ابتداء المكاتبة والجواب

قال محمد بن يحيى: حدثنا الحسين بن يحيى الكاتب قال: حدثنا إسحاق قال: سمع جعفر بن يحيى يقول لكتابه: "إن استطعتم أن تكون كتبكم توقعات فافعلوا".
وقال بعض الكتاب: الإيجاز في الابتداء أمكن منه في الجواب، ما لم يكن منه في إعذار وإنذار، وعود وبدء، وفتور وعهود.

قال أبو بكر: والذى عندي أنه يحتاج الكاتب والخاطب والشاعر، إلى أن يخرجوا معانيهم في أقوالها من الألفاظ، على الاختصار، ما لم يحتاج إلى إكثار، فإن احتج إلى ذلك جيء به بما لا بد منه. وأكثر ما يقع ذلك في الرغبة والرعب، ألا ترى إلى كتاب الله عز وجل وكلامه المعجز، كيف يكون فيه ذكر الحنة والنار، وقصة الأنبياء عليهم السلام، والنقطة من كذبهم، والأمر بالاعتبار بما نزل بهم، فكانت الحكمة في تقرير ذلك مما يفعل العرب، وستأتي بفعلهم بعد. ولأن الإنسان قد يقرأ بعض القرآن ويحفظ شيئاً منه دون شيء، فلم يخل الله عز وجل: كل موضع منه من ترغيب وترهيب، وإذكار واعتبار تفضلاً منه على عباده، واستدعاء لطاعتهم، ونهياً عن عصيانهم فوق التكرير لذلك.

وقد حدثني محمد بن يزيد المبرد النحوي قال: حدثني أبو محمد التوجي عن أبي عمر الأستدي، قال: قيل لأبي عمرو بن العلاء: هل كانت العرب تطيل؟ قال: نعم ليس بها، قيل: فهل كانت توجز قال: نعم ليحفظ عنها.

وقد روی في هذا لأبي دؤاد الإيادي:

وحي الملاحظ خيفة الرقباء

يرمون بالخطب الطوال وتارة

واحتاج من زعم أن الجواب ينبغي أن يكون أكثر من السؤال، لأن السؤال عنده استعلام، والجواب إعلام، وقد قال الله عز وجل: "وما تلك بيمنيك يا موسى"، فاقتضى الجواب أن يقول: "هي عصا

أتو كأ عليها وأهش بها على غنمى". ثم رأى أن منافعه بها كثيرة فاختصر ذكرها وقال: "ولي فيها مأرب أخرى".

وقالوا: "البلاغة لحة دالة". وقالوا: "لا تنفق كلمتين إذا كفتك كلمة" وأنشدي أحمد بن إسماعيل الكاتب لنفسه:

على كثير دليل

خير الكلام قليل

يحييه لفظ طويل

والعي معنى قصير

وفيه قال وقيل

وفي الكلام فضول

أولاً ترى إلى موضع الإيجاز بذكر الحجة في القرآن كيف أتى مختصراً معجزاً وهو فيه كثير، فمنه قوله تبارك وتعالى: "وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيْ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يَحْسِنُ الْعَظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قَالَ يَحْسِبُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوْلَ مَرَّةً وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ" ثم قال عز وجل في مكان آخر يذكر هذا: "مَا خَلَقْتُكُمْ وَلَا بَعْثَكُمْ إِلَّا كَنْفُسَ وَاحِدَةٍ" . ثم قال في مكان آخر، وقد أمرهم أن يعتروا، فقرب ذلك عليه فقال: "وَفِي أَنْفُسِكُمْ لِأَفْلَاتٍ بَصَرُونَ" ففي كل شيء من خلق الله عز وجل: لليسان عبرة إلا أن أقربها وأحصرها أمر نفسه. ثم اختصر عز وجل أمره ونفيه، وتخليه وتخريمه، واستثنى في الذي أحل، ما نذكره بعد من حرامه، وفي الذي أحل وقتاً يحرم فيه كل ذلك. إذا كتب أجزاء فيه سطراً واحداً، وهو قوله عز وجل: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعَهْدِ الَّذِي أَخْلَتُ لَكُمْ بِهِمِ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يَتَلَقَّبُكُمْ بِغَيْرِ الْمُحْلِي الصَّبَدِ وَأَنْتُمْ حَرَمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يَرِيدُ" فأمر بأن نوفي بعقوده ثم أحل بهائم الأنعام، واستثنى ما يحرم منها ما يحيى بعد، ثم ذكر أن هذا الحلال يحرم على المحرم. ولو أراد أبلغ الكتاب أن يحيى بهذه في أسطر كثيرة ما أمكنه على عجزه في حسن اللفظ والنظم. وهذا كثير يطول به الكتاب ذكره ههنا طرفاً منه.

قال وأنشدي محمد بن يزيد المبرد في وصف خاطب:

له أطل القول أو قصر

إذا ما انتدى خاطباً لم يقل

م لم يعي يوماً ولم يهدر

طبيب بدء فنون الكلا

قضى للعقل على المكثر

فإن هو أطنب في خطبة

وحكى سيبويه أن امرأة من العرب كانت بعيا، فكان يقول لها القائل: خطب، فتقول: نكح وتنضي معه. وحكى أن رجلاً كان عود رجلاً أن يحييه في وقت من الزمان، فيمضي معه إلى موضع معروف، حتى ألقى ذلك وعرفاه فكان يأتيه فيقول "الآتا" فيقول: "بلى فا" يريد ألا تمضي؟ فيقول: بلى فامضي. وهذا

كله إنما يجوز مع الإلهام والمعونة.
 وأنشدي الحسين بن عمر الكاتب قال: أنشدني علي بن الحسين الإسکافي عن أبي مسلم للأحیمر السعدي
في كلمة:

عيون العدى فالقول تبدو شوأكله	وحاذر جواب المصمتين إذا سمت
ومنه الذي لا يكتفي الدهر قائله	من القول ما يكفي المصيب قليله
ويذهب في التقصير منه تطاوله	يصد عن المعنى فينزل ما تحا
عنيت به في خطب أمر تزاوله	فلا تك مكثراً تزيد على الذي

وكلم رجل سocrates في أمر بكلام أطاله وزاد فيه على ما احتاج إليه فقال له سocrates: "أنساني أول
كلامك بعد آخره، وطول عهده مع تقارب أقطاره".

وقال آخر: الكلام أوعية والمعاني أمتعة، وقد يجمع في الوعاء الواحد ضروب من الأمتعة.
وقالوا: السؤال بغي والجواب نصير.

وقال آخر: البلاغة في الجواب أوحد وأظهر.
وقالوا: الأجوية أمهات الفوائد، تلدها بتلقيح السؤال.
وقالوا: "الجوابات المستكدة" ولم يقولوا: المسائل المستكدة.
وقالوا: لكل كلام جواب.

وقال سهل بن هارون: من فضل الجواب على الابتداء أن الابتداء يوجد في الجواب ولا يوجد جواب في
ابتداء.

وقال آخر: "إن أدع الكلام خوفاً من الجواب، أنه يقع ولم يذكر"، يريد قوله: السكوت جواب.
قال الصوالي: حدثنا يونس بن محمد الكذبي، قال: حدثنا عبد الله بن داود الحذبي، قال: سمعت الأعمش
يقول: "السكوت جواب"، وهذا إنما أخذته من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الصوالي: حدثني محمد بن يونس الكذبي قال: حدثنا أبو بكر الحنفي قال: حدثنا سفيان الثوري قال:
حدثنا مالك بن أنس عن عبد الله بن الفضل، عن نافع بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: "الأئم أحق بنفسها من ولديها، والبكر تستأمر وإذنها صمامها". وحدثني إبراهيم بن عبد الله
قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا شعبة قال: حدثنا مالك بن أنس وذكر مثله.
وقال آخر:

يا من بنا يرتاب

وقال بشار وذكر أن السكوت يعفي من لا ونعم:

وإذا قلت لها جودي لنا

خرجت بالصمت من لا ونعم

وأنشدي أحمد بن يزيد المهلي عن أبيه قال: أنشدي الحسين بن الصحاك لنفسه:

قلت له إذ خلوت مكتتما

وإبأبي مفحم بعزته

فما قال لا ولا نعما

تحب بالله من يخصك بالحب

أراد رجع الجواب فاحتsuma

ثم تثنى بمقاتي خجل

برءاً من السقم فابتدا قسما

فكتت كالمبتغي بحيلته

وقال بعض الكتاب: أكثر حيل الكاتب في بلاغته يقصد شيئاً فيأتي بغيره ويدرجه فيه.

قال محمد بن يحيى الصولي: ومن ذلك ما حدثنا الحسين بن فهم قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن يوسف

عن أبيه قال: دخلت على المأمون وفي يده كتاب ورد من عمرو بن مسعة وهو يردد النظر فيه مرات،

ثم قال لي: أظنك قد أفكرت في تردادي النظر في هذا الكتاب. قلت: قد أفكرت في ذلك. قال: إني

عجبت من بلاغته واحتياجه لمراده كتب: كتابي إلى أمير المؤمنين، أعزه الله، ومن قبله من قواده وأجناده،

في الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند، تأخرت أرزاقهم واحتلت أحواهم" ألا ترى يا

أحمد إلى إدماجه الخلة في الأجناد وإعفاء سلطانه من الأكثار، ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر.

ونحوه هذا ما حدثني به أبو علي السجيري قال: لما ولي عبد الله بن سليمان الوزارة أوصلت إليه كتاباً من

عبد الله بن عبد الله وفيه شعر له:

وأعفنا فيمن نحب ونكرم

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا

ودع أمرنا إن المهم المقدم

فقلت له: نعمك فيهم أتمها

فلما قرأ عبد الله هذا الشعر قال: ما أحسن ما احتال في شكوى حاله، بين أضعاف مدحه، فأوصل رقاه

إلى فقضى كل حاجة كانت له.

وحدثني علي بن الصباح ، عن حماد، عن الهيثم بن عدي، قال: كان الحجاج يستبطئ المهلب في حرب

الأزارقة والمهلب، محسن مجتهد يستحق مكان الدم الشكر. فكتب إليه المهلب: "إن من البلاء أن يكون

الرأي لم تملكه دون من تبصره" فلما قرأ الحجاج هذا أقصر عن مكاتبه بمثل ذلك.

وحدثني الحسين بن علي العنيري قال: حدثني محمد بن معاوية الأسدية، قال: لما ظفر المهلب بالخوارج

وفرغ من أمرهم قال الحجاج: الآن يرد كتاب المهلب طويلاً بوصفه، جاماً لوصف يشرح أحواله، وإنه

لحقيقة بكل وصف، وأهل لكل مدح. قال فورد كتابه.

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَافِي بِالْإِسْلَامِ فَقَدْ مَا سُواهُ، الْمَعْجَلُ النَّقْمَةُ لِمَنْ بَغَاهُ، الَّذِي يَزِيدُ مِنْ شَكْرَهُ، وَيَرْزُقُ مِنْ كَفْرَهُ.

أما بعد فقد كان من أمرنا ما أغنت جملته عن تفصيله. وكنا نحن وعدونا في مدة هذا التنازع على حالتين مختلفتين: يسرنا منهم أكثر مما يسوؤنا ويسوؤهم منا أكثر مما يسرهم؛ على شدة شوكتهم، واجتماع كلمتهم، وانزعاج القلوب لمخافتهم؛ حتى نوم بذكرهم الرضيع، وأصم لخوفهم السميع. فانتهت منهم الفرصة عند إمكانها، بعد أن تنظرت وقت إبانها، واستدعي النهل عله، وبلغ الكتاب أحله. فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين".

ونحو هذا، إلا أنه في التهديد، ما حديثي به عبد الواحد بن العباس الهاشمي، قال: سمعت الرياشي يقول: كتب ملك الروم إلى المعتصم كتاباً يتهدده فيه فأمر بجوابه. فلما قربت الأجوية عليه لم يرضها وقال للكاتب: "اكتب" فأملأ عليه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد قرأت كتابك، وسمعت خطابك. والجواب ما ترى لا ما تسمع. وسيعلم الكافر لمن عقني الدار".

وكتب أحمد بن يوسف إلى إسحاق الموصلي يدعوه ويعلمه أن عنده قلماً "المعنى أنا وقلم وأنت أعلم". وكتب عبد الملك إلى الحجاج: "أما بعد فقد بلغني سرفك في سفك الدماء، وتبذير الأموال في الباطل، ومنعك الحق؛ فلا يؤنسنك بي إلا طاعتك، ولا يوحشنك مني إلا معصيتك".

قال: فكتب إليه الحجاج: "اما بعد فقد وصل كتاب أمير المؤمنين، وما قتلت إلا فيه، ولا أعطيت إلا له. فإن رأى أمير المؤمنين أن يمضي لي سالفي، ويأمر لي بما أحب في مستأنفي؛ فعل إن شاء الله".

قال الصوالي: حديثي محمد بن يزيد المبرد قال: حديثي العتبى قال: كتب عبد الملك بن مروان إلى بعض ولده، وقد خالقه في شيء: "اما بعد فإني أمرتك بأمر فأتيت غيره، ووصيتك بوصية فأبىت إلا عصته. وخفت أنك بمثابة الصبي الذي إذا أمر بشيء أباه، وإذا نهى عن شيء أتاه؛ فيحتمل له فيما ينفعه بأن ينهى عنه، وفيما يضره بأن يؤمر به. ويا سوأىي لمن هذه حاله والسلام".

مكتبة الإخوان

قال الصوالي: حديثي محمد بن موسى بن حماد قال: سمعت الحسن بن وهب يقول: كاتب رئيسك بما يستحق، ومن دونك بما يستوجب، واكتب إلى صديقك كما تكتب إلى حبيبك. وقال بعض الكتاب: غزل المودة أرق من غزل الصباية.

وقال غيره: إن لآلذ للمؤانسة كلذى لللاماسة.

وَحَدَثَنَا أَبُو الْعِينَاءَ قَالَ: حَدَثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: قَالَ هِشَامٌ: قَدْ مَرَتْ لِذَاتُ الدُّنْيَا كُلُّهَا عَلَى يَدِي وَفَعْلِي، فَمَا رَأَيْتَ أَلَذَّ مِنْ مُحَادَثَةِ صَدِيقٍ أَلَقَى التَّحْفِظَ بَيْنَ وَبَيْنَهُ.

قال الصولي: أو ما ترى حذق أى تمام في قوله لآل وهب:

فهو شعبي وشعب كل أديب

کل شعب کنتم به آل و هب

ى و قلبى لغيركم كالقلوب

إِنْ قَلْبِي لِكُمْ لِكَالْكَبْدِ الْحَرَقِ

وهو القائل:

ق وجدان غيره بالحبيب

وأجد بالخليل من برحاء الشو

وأنشدنا أحمد بن إسماعيل لنفسه:

ل وأغلظ منه صدود الخليل

صدود الحبيب دعاء الغلي

عليك وحققت قول العذول

حددت فاشمت بی حاسداً

وقال أبو تمام إلى ابن الهيثم:

على ابن الهيثم الملك الباب

سلام الله عده رمل خبت

اللَّهُمَّ كَانَهَا ذِكْرًا نَصَابَةً

ذکر تک ذکرہ جذبت ضلوعی

وقال إبراهيم بن العاص الصولي:

مِنْ لِلصَّدِيقِ عَلَى الشَّقِيقِ

أميل مع الذمام على ابر

فإنك واجدى عبد الصديق

أميل مع الذمام على ابن عمي

وإما تلفني حراً وطاعاً

وقالوا: طرف الصدقة أملح من طرف العلاقة.

ذكر الحساب

قال الصولي: لم نرد بذكر الحساب أن نذكر الضرب والقسمة والمعاملة، إما أردنا أن نذكر اللغة فيه
ووصف الكتاب به إذ كان الحساب قد عملت فيه كتب يزيد بعضها على جملة كتابنا هذا، ولئلا يخلو
هذا الكتاب من ذكره إذ كان أصلًا لا يستغني عنه الكاتب ولا بد لكل أحد منه.
يقال: حسب يحسب حساباً وحسباناً مثل بني يبني بناء وبنياناً والفعلان في مصدر فعل وفعل قد جاء،
وإن لم يكثروا قالوا: رفع رفعاناً وخسر خسراناً وغنى غنياناً. قال الحارث بن خالد:

أجد بعمره غنيانها

والحسبان العذاب، ومنه قول الله عز وجل: "ويرسل عليها حسباناً من السماء"، والحسبان الاتكال، ولم نسمعه إلا مع ذكر الله عز وجل: يقال على الله حسباني وتكلاني قال الشاعر:

على الله حسباني إن النفس أشرفت على طمع أو خاف شيئاً ضميرها

وقال الله تعالى: "الشمس والقمر بحسبان" أي يطلعان ويعييان بأوقات وقتها لا تزيد ولا تنقص، فكانت كصحة ما يحسب. قال الله عز وجل: "وجعلنا الليل والنهار أتينا فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً". وأجمع الحساب من كل جنس وملة، بكل خط ولغة، على أن تراكم الحساب لا تعدوا أربعة: عدد يضرب في عدد، أو قسمة عدد على عدد. أو إلقاء عدد من عدد. أو زيادة عدد على عدد، وتكلموا في أوائل العدد وهما ياتا بكلام كثير، أحسنته ما قال الهند: إن الأعداد تبتدئ من واحد وتنتهي إلى تسعه، ثم تكون العشرة راجعة إلى حال الواحد على الرتبة.

وعلى هذا وصفوا حروفهم التسعة وقالوا: الحساب الهندي أخرج لكثير العدد إلا أن الكتاب اجتنبه لأن له آلة، ورأوا أن ما قلت آلة، وانفرد الإنسان فيه بآلة من جسمه، كان أذهب في السر وأليق بشأن الرياسة، وهو ما اقتصروا عليه من العقد والبناء وإخراج رؤوس الحمل في أواخر السطور، وحط التفصيات عنها واحداً دون آخر، وفرعاً دون أصل. وعني بعض الكتاب بذلك، حتى خف عقده وصار يلحق ببنائه، مثل ما يلحق ببصره، ولا يستبين الناظر موقع أنامله.

وقد شبه عبد الله بن أيووب بن محمد التيمي وميض البرق بخفة يد الحاسب فقال:

خفي كوحيك بالحاجب

أعني على بارق ناظر

يداً كاتب أو يداً حاسب

كان تأله في السما

وقال بعض الكتاب:

عن نغمات العود بالزمر

وناطق تخبر ألفاظه

وستة صار إلى عشر

بينا تراه عاقداً خمسة

حاسب أخطأ في كسر

وصار من بعد إلى واحد

ومن أحسن ما قيل في تشبيه يد الحاسب بوميض البرق بعد قول التيمي قول عترة من أبيات:

فيها مثالك والعلوم فرائض

وفرضت للناس الكتابة فاحتذوا

وإذا حسبت فأنت برق وامض
وإذا جلست فأنت ليث رابض
وإليك يرجع حين يشكل غامض

وإذا خططت فأنت غيث معشب
وإذا انهضت فأنت نجم ثاقب
فبك التمثيل حين ينعت فاضل

وقد زعم قوم أن قول الله عز وجل: "فصيام ثلاثة أيام في الحج وسعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة". إنما
قصد به الإفادة إذ كانت العرب لا تعرف دقيق الأعداد وليس من يحسن الحساب واحتلوا بقول
الفرزدق:

ووحدة تميل إلى سمام

ثلاث واثنتان فهن خمس

قالوا: فلو لا أنه رأى ذلك فائدة ما قاله. واحتلوا بقول النبي حديثنا، حين أخبر أن الشهر قد يكون تسعاً
وعشرين "الشهر هكذا" وفتح أصابع يديه العشر "وهكذا وهكذا" وثني إحدى أصابعه في الثالثة. وقيل:
المعنى أنه لما فصل بين السبع والثلاثة بإفطار أخبر أنها كالمتصلة، إذ كان قد أتى بها كما أمر فقد كملت
له. وقيل: بل أراد أنها كملت فدية حين وصل السبعة بالثلاثة.
وكان بعض العرب باع جوهرًا نفيساً، بـألف درهم فقيل له: قد كان يساوي أكثر من هذا فقال: ما
ظننت أن عدداً أكثر من ألف. وقال ابن الرومي:

زاد الحساب على المحسبة

وكنت حسبت فلما حسبت

وقال الخليل بن أحمد يهجو رجالاً كانت يداه مقوبيتين عن البذر فقال:

ولم يك بخلهما بدعة

كفال لم يخلفا للندي

وتسع مئتها لها شرعة

فكف ثلاثة آلافها

كما نقصت مائة سبعه

وكف عن الخير مقبوضة

وقال النابغة للنعمان في اعتذاره إليه: كن حكيمًا في إنصافي، كما حكمت حارية كانت لها حمام، فرأيت
قطاً محزرته ستًا وستين فقالت:

إلى حمامتيه

ليت الحمام ليه

ثم الحمام مائه

أو نصفه قد يه

قالوا: وكانت لها قطة وجعلت القطا حماماً. وقيل: أراد النابغة: أحكم على بعدل، كما حكمت هذه في
العدد فأصابت. والأول أجود وهو قول الأصمعي، أفلأ ترى إلى النابغة كيف حكى هذا ونسب هذه
الفتاة إلى حكمة وعدل حين أحسنت العدد فقال.

واحکم حکم فتاة الحي إذ نظرت

الشمد الماء القليل.

قال أبو عبيدة: وكان يقال للجارية: الزرقاء واسمها عتر، وكانت من جديس. وقال غيره: القائلة لهذا هند بنت الحسن:

إلى حمامتنا أو نصفه فقد

قالت: ألا ليتما هذا الحمام لنا

قوها "فقد" أي حسيبي وقدك حسبك.

تسعاً وتسعين لم ينقص ولم يزد
وأسرعت حسبة في ذلك العدد

فحسبوه فالفوه كما زعمت

فكلمت مائة فيها حمامتها

ومن المشهور الذي يتظارحه الناس أشعار:

وثلاثة ثلثها الباقي

لها الثلثان من قلبي

وثلاثة ثلث للساقي

وثلاثة ثلث ما يبقى

لقسم بين عشاق

وتبقى حصص ست

الأصل مائتان وثلاثة وأربعون، ذهب الثلثان مائة واثنان وستون، الباقي أحد وثلاثون، ذهب ثلاثة، يبقى سبعة وعشرون فيذهب ثماني عشر وهو قوله: وثلاثة ثلث ما يبقى وتبقي تسعة ثلثها للساقي، وهو قوله: وثلاثة ثلث للساقي ويبقى ستة فصیرها حصصاً ليستوی له الشعرا. فقال: ويبقى حصص ست لأنه لو قال: اسهم كانت ستة.

نقصان الألف وإسقاطها

ألف الوصل لا يجوز إسقاطها من الخط إلا في ثلاثة مواضع: تمحذف من بسم الله الرحمن الرحيم وقد ذكرنا ذلك.

وتسقط من ابن إذا جاء بعد اسم ظاهر في معنى فلان، وكان مضافاً إلى اسم ظاهر كالإسم الأول، وكان الابن نعتاً للإسم كقولك: مررت بزيد بن محمد، وجاز إسقاط الألف لأن الإسم الأول والآخر قد دل على الابن فعرف موضعهما فمحذفت، وإنما فعلوا ذلك للإلحاح، فعلى هذا أجر الابن ما دام الابن واحداً، فإذا ثبّتت كتبت: جاءني زيد و محمد إبنا عبد الله كان بالألف، وإذا كان الابن مبتدأ لم يجز إسقاط الألف منه لأنه لم يأت قبله ما يدل عليه، وكذلك إذا كان خبراً قبح إسقاط الألف كقولك: إن محمدأ ابن زيد

لأنه كالمبتدأ، ولئلا يشبه الخبر النعت، وكذلك إذا أضيف إلى اسم ليس في معنى فلان كقولك: زيد ابن الرجل الصالح، وكذلك إذا أضيف إلى مكني عنه كقولك: زيد ابنك، أثبتت الألف في هذه كله، فإذا صرت إلى المؤنث كتبت فلانة ابنة فلان بالألف لا يجوز إسقاطها، لأن النسب بالنساء لم يكثر فيعرف موضعه، كما كثر في الرجال، ولأن في ابنة لغة أخرى يقال: بنت بالباء، ومن العرب من يجعل الماء في ابنة تاء لأنه يبين الكلام على الإضافة لأن الماء تصير في ابنة تاء لئلا يتبس فيقال: ابنة.

والموضع الثالث أن تكون ألف الوصل مع لام، كقولك: "الرجل" فإن هذه الألف تسقط إذا كانت لام الصفة معها، وهي اللام الزائدة مكسورة أو مفتوحة، فالمكسورة مثل قولك: "للرجل" مال. والمفتوحة كقولك: "للنوب" خير من ثوبك وأشباه ذلك، وإنما فعل ذلك لأن الحرف علم مع إسقاطها فمالوا إلى التخفيف فهذه قصة ألف الوصل.

فأما حذف ألف إذا كانت حشوأ نحو خالد ومالك وما يشبه ذلك فأكثر ما تجذف إذا كانت في الأسماء المستعملة لتعريفهم بالحرف فإذا كانت في اسم فهو نعت لم تجذف، مثل شاكر وصابر وظالم وصادق، وأشباه ذلك، لأن النعت لا يتكرر للإنسان فيتكرر الاسم فيعرف. وقد أسقطوها من صالح نعتاً ولعلمهم أسقطوها من غيره، وذلك أنهم شبهاها بالإسم لما كثر صالح في أسمائهم، وهو رديء في القياس. فإذا صرت إلى الجمع سهل إسقاط ألف لقلة إشكاله، مثل الظالمين والكافرين وإثباتها أجود.

فأما ما كان من بنات الباء والواو نحو: الراضين والسعين وفي الرفع: لراعون وأشباه ذلك فلا يجوز طرح ألف منه لأنه قد حذف منه موضع اللام من الفعل، وهو الباء، لأن الأصل الراعيون في الرفع والراعين في النصب والخض، فالباء الأولى تسكن لأنها معتلة وباء الجميع أو واوه ساكنة، فأسقطوا الباء الأولى للانقاء الساكنين، واستقبحوا أن يحذف ألف، وقد حذفوا لام الفعل فيجحفوا بالحرف.

فإما ألف دراهم وإنما يجوز حذفها إذ تقدمها ما يدل على الجمع كقولك: ثلاثة دراهم وأشباه ذلك وإذا كانت مفردة لم يجز إسقاطها وما كان مثل عمران ومروان وسفيان وسلطان فإثبات ألف فيه أجود، وإن أسقطتها من الاسم الذي يعرف بسقوطها فجائز. وفي الجملة إن إسقاطها يحسن فيما كثر استعماله من الأسماء.

وقد حذفوا ألف أولئك الثانية استغناء عنها لعلمهم بالحرف. وقد حذف قوم ألف النداء في المصحف فكتبوا: يداود ويعيسى بغير ألف، وإنما حملهم على ذلك علمهم بالنداء وإثبات ألف أجود وأقيس، والسلام عليك إذا أردت التسليم، فكلهم يكتبه بغير ألف. فإذا قلت كان بـ وسلاماً وهذا عبا السلام

بالألف أجود، وإن كتبت بغير ألف جاز. ويكتبون: ثانية دراهم وثاني ليال، بغير ألف لعرفتهم بالحرف فإذا قالوا: ثمان أثبتو الألف كراهية حذفها مع حذف الياء، فيححفوا بالحرف كما ذكرنا متقدماً.

نقصان الألف

قال الصولي: لا يكادون يزيدون الألف إلا بعد واو الجمع، مثل آمنوا وكفروا. قال الفراء: وإنما فعلوا ذلك ليفرقوا بين واو الأصل واو الجمع، وواو الأصل التي تكون في مثل: يغزو ويدعوا وأشباه ذلك. وقال الأخفش: إنما فعلوا ذلك لثلا يشبه واو الجمع وواو العطف، إذ كان يجيء في الكلام كفر و فعل وهذا القول يصح إذا كانت واو الجمع تنفرد وتنكسر إذا اتصلت مثل آمنوا وكفروا وظلموا لأنه لا يشبه أمر و فعل.

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي. وحدثنا أحمد بن يحيى النحوي ثعلب قال: سأليي محمد بن عبد الله عن إثيان الألف في: ضربوا وقاموا، فقلت له: قال الفراء: فرقوا بين الواو الأصلية في أرجو وأخو وحمو وبين التي ليست بأصلية في ضربوا.

قال الأخفش: كرهوا أن يظن أنها واو نسق إذا كتبوا كفر و فعل ثم بنوا على ذلك. وقال الخليل: الضمة تنقطع إلى همزة فاستوثقوا بالألف، فقال محمد: لا يقع مثل هذا إلا في طبع الخليل. قال أبو العباس: والذي عندي فيه أن اللف جعلت بدلاً من المكني، وهو الهاء لأنهم إذا قالوا: ضربوه، سقطت الألف، فإذا قالوا: ضربوا، ثبتت، ليعلم أن الحرف قد انفرد، وأخو وأبو، لايثبت الألف فيه لأن الواو أصلية فالحرف قائم بنفسه: أخو زيد وأبوه.

والألف في: مائة زيدت فيما ذكر الأخفش لفصل بينها وبين منه، إذا قالوا: أخذت مائة، لم يشبه أخذت منه، وقالوا أيضاً: فعلوا لثلا يشبه مية. وهذا قول مرذول لأن مية متى تذكر وتقع في كتاب. والناس من أهل البصرة والكوفة على ما قاله الأخفش.

الهمز

الهمزة إذا كانت لام الفعل - ومعنى الفعل أن تكون آخر الحرف مثل قرأ ونبأ واستهزأ - فإنها ثبتت في الحرف ولا تسقط كما تسقط الياء وتكتب على ما قبلها فإن كان الذي قبلها مفتوحاً، كتبت بالألف وإن كان مكسوراً بالياء، وإن كان مضموماً، كتبت بالواو؛ ومن ذلك أن تكتب، إذا أمرت من قرأت: إقرأ بالألف، ومن نبات نبيء بالياء، ومن سؤلت سؤ بالواو. فإن لم تكن في موضع جزم، وانضم ما قبلها، كتبت بالواو، كقولك: وهو يسوء زيداً فإذا انكسر ما قبلها، كتبت بالياء مثل يستهزئ.

وإذا افتح ما قبلها فقد اختلف في كتابتها في الرفع، فكتب بعضهم: هو يقرأ ويجئ، بالألف والواو للزومهم القياس، في كتابتهم المهمزة بالألف، إذا افتح ما قبلها، فإذا افتح ما قبلها زادوا الواو في الرفع، وقد كتب في المصحف على هذا المذهب بالياء نحو: "ولقد جاءك من نبأي المرسلين"، بالألف والياء بعدها، وهذا قبيح لأن فيها اشتباه المقصور بالممدود.

قال: وإذا قالوا: المهمزة لام الفعل فهي آخره، مثل الياء من ضرب واللام من فعل، فإذا قالوا: هو عين الفعل، وقعت موقع العين من قولهم فعل مثل الراء من ضرب والتاء من قتل، فإذا قالوا: هي فاء الفعل فإنما وقعت أولاً مثل الفاء من فعل وهي مثل الضاد من ضرب والكاف من قتل.

وإذا كانت المهمزة فاء الفعل، مثل: أتى وأبى وأذن فإنما تأتي مختلفة. تقول: إذا أمرت: إيت فلاناً وإيذن له فتصير المهمزة ياء، وذلك لأنهم يكرهون اجتماع المهمتين فتصير الثانية ياء، لسكونها وانكسار ما قبلها.

إذا أدخلت عليها حروف النسق، أسقطت الياء فلم تثبتها في الكتاب فتقول: إيذن لفلان وأذن لفلان إيت فلاناً وآت فلاناً، وإنما فعلوا ذلك لأن المهمزة إذا افتح ما قبلها صارت ألفاً فكرهوا اجتماع الألفين في الكتاب، فحذفوا إحداهما وهي ألف الأمر. وإنما حذفوا لأنها تذهب من اللفظ في الوصل والمهمزة تثبت في اللفظ فالقوها كذلك.

وأما في ذوات الأربعة، وهو أن تضييف الحرف إلى نفسه، فتجده على أربعة أحرف مثل: أكلت وأمرت، فإن المهمزة تسقط في هذا الباب، في الأمر فتقول: مر فلاناً بكذا وكل طعامك وكان الأصل: أو كل أو مر، فلما سكتت المهمزة وانفتح ما قبلها، صارت واواً، وكل واو وقعت بين ضمتيين أو كسرتين تسقط، فلما سقطت الواو، بقي أمر، فأسقطت ألف المختبة للأمر، لأنها إنما تدخل لسكون أول الحرف، ذلك كان لا ينتدئ بالساكن فلما تحرك أول الحرف أسقطوها استغناه عنها فبقيت مر وكل. فإذا أدخلت حرف النسق، فالأرجو أن يكون الحرف على حاله، وإن شئت رددت المهمزة، فأثبتت ألفاً.

وفي القرآن: "أمر أهلك بالصلة واصطبر عليها" بإثبات المهمزة، وإنما ترد المهمزة لأن ألف الأمر التي أسقطتها تذهب في اللفظ فترجع المهمزة فثبتت ألف في الكتاب وترك المهمزة أكثر ولا نعلم جاء المهمز إلا في: "أمر"، وكانت تجوز على القياس فإذا سكن ما قبل المهمز، فإن أكثر ما جاء عن العرب إسقاطها من الكتاب إلا أن يكون أثر جاء فيه، من ذلك قول الله عز وجل: "لكم فيها دفء ومنافع" و "يخرج الخبر" و "يحول بين المرء وقلبه"، كتبوا بغير ألف هذه كلها و من العرب من يكتبها على لفظها، فإذا سكن ما قبلها فإن كانت مضمومة، كتبها بالواو وإذا كانت مفتوحة كتبها بالألف، وإذا كانت مكسورة كتبها بالياء، كتبوا: "هن نساو صدق"، بالواو و "رأيت نساء صدق" بالألف و مررت بنسائي

صدق۔ بالپیاء۔

فإذا كانت المهمزة آخر الحروف، والحرف ممدود، كتب بـألف واحدة في النصب والخفض والرفع، كقولك: رأيت عطاء وشربت ماء ومررت بعطا وهذا عطاء. فأما في الحفظ والرفع، فلم تثبت الواو ولا الياء لأنهم يستقلون بما طرفاً.

وأما في النصب فلأنهم يكرهون اجتماع شبهين، فإذا اجتمعت في الحرف ألفان، كتبواه بـألف واحدة كقولك: شربت ماء، ألا ترى أن ههنا ثلاثة ألفات الأولى والهمزة المفتوحة وألف الإعراب. وكل ممدود منصوب فالصواب أن يكتب بـألفين لأن فيه ثلاثة ألفات.

وما يستحسن فيه الجمع بين ألفين: قوله: قد قرأ وجاء، وذلك ليكون فرقاً بين الواحد والثمن، وكتبت لفلان برآت ليكون فرقاً بين الواحدة والجمع، ولأن من العرب من يقف على براءة بالباء، فلو كتبت بألف واحدة لم تعرف الواحدة من الجمع.

الهاء

كل ما كان من ذوات الياء، وكانت فاء الفعل فيه واواً مثل: وفيت ووعيت وأويت، فإنه يكون في الأمر حرفًا واحدًا لأن الأصل "أوفي" بالياء، تذهب الياء للجزم وتسقط الواو، لأنها صارت بين كسرتين فبقي "أف" فتسقط ألف الأمر، لأنه قد استغني عنها لتحرك أول الحرف فتبقى الفاء وحدها، فإذا اتصل الكلام بعده ببعض لم تثبت الماء في اللفظ، فإذا وقفت وقفت بالماء، كقولك: فه وقه من وفيت ووغيت، وشبه من وشيت الثوب، لأنه لا ينطق بحرف واحد استبقاء له، فإذا كتبت كتبت بالماء، لأن الكتاب على الوقف ألا ترى أن اختيار العرب في كتابتهم رأيت محمد بن عبد الله أن يكون بالألف لأن القارئ ربما وقف على "محمدًا"، فإن لم يثبت فيه الألف أشبه ما لا يجري من الأسماء كقولك: رأيت عمر، وإن كان الكتاب قد استجازوا إسقاطها لكثر استعمالهم، وذلك من لا يعرف أصل الكتاب فيقف على فساده، فإن جعلت قبل الحرف الذي وصلته بالماء، حرفًا لا ينفصل منه، حاز أن تكتبه بغيرها، كقولك: اذهب، وف لزيد، وقالوا: لزيد، وإنما حاز لأن الواو والفاء لا ينفصلان وكان الكلمة قد صارت على حرفين وإثبات الماء موجود.

فاما هاء التأنيث فأصلها إن تكتب بالهاء، إذا كانت مضافة إلى اسم ظاهر، لأن الوقف عليها بالهاء مثل: امرأة زيد، وفتاة عمرو، فإذا أضفتها إلى مكني عنه كانت بالباء، لأنه لا يمكن الوقف عليها بالهاء، كقولك: امرأتك وفتاتك، فهذا الوجه. وقد كتب في المصحف "رحمت الله" و"مريم ابنت عمران" ومثله "عننت الله" وذلك لكثره اصطلاحهما ليس يفصلان في القراءة، فصار كالحرف الواحد الذي لا ينفصل

منه، والهاء في ذلك أجود لأنها تنفصل منه ويسكت عليها. فأما هيئات فمن وقف عليها بالباء، كتبها بالباء، ومن وقف عليها بالهاء، كتبها بالهاء لأن الكتاب على الوقف.

ويأيها الرجل، ويأيها القوم، تكتب بالألف، وذلك الوجه. وقد كتب في المصحف "يايه المؤمنون" و "يايه الشقلان". و "يايه الساحر" بغير ألف. وفي جميع القرآن بالألف وهو الصواب.

الواو

الواو تزداد في ثلاثة مواضع: فمن ذلك الواو في: "عمرو"، زيدت ليفصل فيها بينه وبين عمر فإذا كتبت عمارص بالنصب وجئت بالألف لم تحتاج إلى الواو، لأن عمر لا ينصرف ولا تدخلع الألف. وزيدت في "أولئك" لتفصل بينها وبين إليك.

وزيدت في "يا أؤخي"، لتفصل بين التصغير وبين الاسم على جهة.

فأما الموضع التي نقصت منها فواو "طاوس" و "داود" كتبهما بواو واحدة، كراهية للشبهين والحرف معروف. ومن كتبه بواوين على الأصل فقد أصاب.

إذا صرت إلى ما قبلها واو، مثل "آوا ونصروا" و "لروا" و "جاروا" و "باروا بغضب". فيه ثلاثة أوجه: أجودهن أن يكتب بواو واحدة وألف وقد كتبها بعضهم بواوين وإسقاط ألف وكل قد كتب به.

الباء

كل اسم كانت لام الفعل منه باء فإذا تمحذف في الحفظ والرفع، فإذا نصبت لم يكن من إثباتها بد كقولك: رأيت قاضياً وغازيًّا، فإذا صرت إلى جمع المؤنث السالم من هذا الباب، مثل: حوار وقواض كتبت ذلك أيضاً في الرفع والخفض بغير الباء، وأثبتت في النصب الباء ولم تثبت الألف، فنقول: هذه قواض، ومررت بقواض وبجوار، ولا تثبت الباء، فإذا أثبتت قلت: جواري ولم تثبت الألف لأنه حرف لا يجري فإذا أدخلت الألف واللام أثبت الباء في الواحد والجمع، كقولك: القاضي والجواري.

ومن العرب من يسقط الباء في الحفظ والرفع، فيقول: هذا القاض ومررت بالغاز، وهو لاء الجوار. ومررت بالجوار، فإذا صاروا إلى النصب أثبتوا الباء كما كان قبل دخول الألف واللام والأول أجود. وإذا كان الجمع بالتون مثل القاضين والمصلين، كتبته بباء لأن الباء الأولى منهمما قد سقطت لالتقاء الساكنين.

ما يكتب بالياء والألف من الأفعال

قال الصولي: امتحن كل فعل ورد عليك من ذوات الواو والياء بأن تضيئه إلى نفسك، فإن ظهر بالياء، كان الأجدود أن تكتب بالياء وجاز كتابته بالألف على اللفظ مثل قضى ورمى، ألا ترى أنك إذا أضفته إلى نفسك قلت: قضيت ورميت. وإن ظهر الفعل بالواو، كتبته بالألف لا غير مثل دعا وعلا، ألا ترى أنك إذا أضفته إلى نفسك قلت: دعوت وعلوت. فقس على ذلك كل ما ورد عليك إن شاء الله تعالى تصب.

وكل ما كان من ذوات الواو والياء، رددته إلى ما لم يسم فاعله فاكتبه بالياء فيما كان ماضياً ومستقبلاً معاً، كقولك: دعي يدعى وغزي يغزي ورمي يرمي. وكل فعل من ذوات الياء والواو، زدت في أوله شيئاً، فاكتبه بالياء، فإنه أجدود، وإن كتبته بالألف جاز على اللفظ مثل ادعى واستدعي، لأنك إذا لفظت به كان بالياء، لأن ذوات الواو إذا زيد في أولها شيء ردت إلى الياء.

المقصور والممدود

كل اسم ممدود فإنه يكتب بالألف، كان من ذوات الواو والياء لا اختلاف في ذلك. فأما المقصور فامتحنه بالتشيية، فإن كان بالياء، كتبته بالياء وجازت كتابته بالألف، وذلك نحو فتي ورحى لأن تشتيتهما بالياء نحو فتيان ورحيان، وإن كانت تشتيته بالواو كتبته بالألف لا غير، نحو قفا وعصا لأن تشتيتهما قفوان وعصوان.

وكل اسم في أوله ميم مفتوحة أو مكسورة فاكتبه بالياء مثل المثنى والمدعى والمرمي والمقطبي. وإن كانت في أوله ميم مكسورة فاكتبه أيضاً بالياء ما كان اسماً مثل المcri الذي يقرى فيه الماء أي يجمع والمهدى الذي يهدى عليه، فإن كان نعتاً، فاكتبه بالألف لأنه ممدود مثل معطاء ومهداء. فإذا كان الاسم على فعل أو فعل بكسر القاء وضمها مع فتح العين فاكتبه بالياء من أي النوعين كان مثل هدى وسدى وحوى ورضى.

وكل مقصور كانت لام الفعل فاكتبه بالألف مثل الدنيا والعليا والخليا وروايا وخطايا، وإنما كتبوها بالألف لأنهم كرهوا الجمع بين ياءين في الكتاب. وأما القصوى والهوى وما أشبههما فإنها تكتب بالياء لأنه ليس من أسمائهم فأخرجوه مخرج عيسى وموسى ويجي.

وأما قوله عز وجل: "ويحيا من حي عن بينة" فبالألف لا غير و "ذكر يا" كتبه بالألف لأن فيه لغتين بالمد والقصر كتبه بالألف لأن الألف كمعهما وكذلك "الرنا" و "الشرا" بالألف لأن فيه لغتين.

وذا كانت عين الفعل همزة. ومعنى عين الفعل أن تقع وسطاً من مثل فعل مثل نأى ينأى وشأى يشأى، كتبت بالياء، وإن كانت من بنات الواو، ألا ترى أنك تقول: نأوت قال: وإنما فعلوا ذلك كراهية نجمعوا بين ألفين فقس على ذلك.

ما كتب على غير القياس

من ذلك الصلة والزكوة والغدوة والحياة والمشكوة والربو، كتب كل هذا في المصحف بالواو، وكان يجب أن يكتبن بالألف للفظ، وإنما كتبن كذلك على مثل أهل الحجاز لأنهم تعلموا الكتاب من أهل الحيرة، وهذا إنما فعل بسبب قلة الكتاب في ذلك الزمان، وإن الذين كتبوه أهل الحجاز، وأنت اليوم بالخيار، إن شئت كتبتهما بالألف وإن شئت أقررتهما على ما في المصحف.

كتاب النون الخفيفة

النون الخفيفة تكون عند الوقف عليها في النصب ألفاً، وفي الخفض ياء، وفي الرفع واواً. وكذلك تكتب نحو: اضرbin يا رجل، فإذا وقفت عليه قلت: اضربأ، ومنه قوله عز وجل: "لنسفعاً بالناصية"، كتبت في المصحف بالألف لافتتاح ما قبلها، معناه لنجذب بناصيته والسعف الجذب بشدة، والناصية مقدم الرأس، يريد حل وعز لنذلنه بذلك. وتقول: اضربي يا امرأة بالياء لأن الوقف بالياء واضربوا يا رجال بالواو لأن الوقف عليها بالواو.

ومن العربي من يقف على النون، فمن كانت هذه لغتهم كتبت بالنون. وتقول: اضرbin يا رجل نصبت الباء، وموضعها جزم للأمر لسكون النون كراهية اجتماع ساكنين، وتشتت اضربان يا رجالن واضربن يا رجال. وفي المؤنث اضرbin يا امرأة واضربان مثل الذكر. وفي الجميع اضرbin يا نسوة، فتشدد النون ضرورة لأنهما نونان نون جمع المؤنث والنون الخفيفة.

والنون الخفيفة والثقيلة، تقع كل واحدة منها موقع الأخرى، وتقول في النون الثقيلة: اضرbin يا رجل واضربان اضرbin يا رجال. وفي المؤنث اضرbin يا امرأة والثنية كالذكرين، وفي الجميع اضربان، استثنوا ثلاثة نونات نون الجمع والنون الشديدة وهي نونان فأبدلوا الوسطى ألفاً. والدعاء كالأمر والنهي كقولك: اللهم ارزقنا فلاناً وفي الاستفهام أتفومن يا رجل.

الإدغام

الإدغام في الحرفين إذا كانا من جنس واحد، يتلو أحدهما صاحبه، وتحر كا كتبها حرفًا واحدًا، مثل: غض ومد، لأن الأول منها يسكن ويذغم في الثاني. وإذا كانا من حرفين، وفي اللفظ كانوا واحداً مشدداً نحو: لم يفق قاسم، ولم ينصف فرعون، فإذا سكن الثاني أثبنا حرفين مثل: لم يمدد ولم يعوض، فإذا كانا من حرفين وهما متخركان، أحدهما ساكن كتبها حرفين، مثل: لم يترك كبيرهم لصغيرهم شيئاً، إن افترقا أو اتصل أحدهما بصاحبها وإنما يكون الاتصال إذا كان الثاني حرف كناية كقوله تعالى: "أينما تكونوا يدركم الموت". وقول زهير:

فتعركم عرك الرحى بتنقالها

وذلك هو مذهبهم في الفتح ليس في ذلك اختلاف. فإذا كان الحرفان نونين، فإن من العرب من يذغمهما، ومن من يظهرهما: فيقول الذي يذغم: أنتم تضربوني، ويقول الذي لا يذغم أنتم تضربوني فيكتب في الإدغام بنون واحدة ليكون فرقاً بين المذغم وغير المذغم. وإن كان الحرفان المذgamان من جنسين أظهرا على جنسيهما، كقولك اتخذت ووعدت، فإذا كان المدعماً يتولد منها حرف غيرهما كتب ذلك المتولد مثل مذكر ومظلم قال زهير:

عفواً ويطلم أحياناً فيظلّم

هو الجواب الذي يعطيك نائله

وأما اللامان اللتان تكتبان في أول الحرف، إحداهما فاء الفعل والأخرى تجيء مع الألف للتعريف، فإنك تكتبهما حرفين نحو اللحن والليل. وإنما كتبوا الذي بلام واحدة لأنها لا تنفرد عن الأخرى وكذلك الذين. فاما اللذان في الثنية فإنما كتبت على الأصل لتفرق بين الثنية والجمع.

ما يقطع ويوصل

يكتبون: أحب "أن لا" تفعل كذا بـألف ونون، وتكون "لا" مقطوعة منها وهو أجود، لأن القارئ ربما احتاج أن يقف على النون. والكتاب على الوقف، فمنهم من يكتب بـألف ولام موصولة لأن النون تذغم في اللام إذا نطق بها، وكتب على اللفظ. و "كلما" إذا أردت بها الجزاء كقولك: كلما فعلت فعلت، كتبتها حرفًا واحدًا لأنها أداة، وإذا أردت بها معنى الذي كقولك: كل ما فعلت فصواب، فاقطع "كل" من "ما" وكذلك: إنما وكأنما ولكنما إذا أردت بهن الأدوات فاجعلها حرفًا واحدًا. وإذا أردت معنى "ما" الذي فاقطع، وذلك أن الوقف في الأولى لا يستقيم على بعض الحروف دون بعض. وإذا كانت معنى

الذى وقفت على ما قبلها. فقس عليه تصب إن شاء الله تعالى. وكتبوا: "لئلا" موصولة وهي "لأن لا"، فجعلوها كالشيء الواحد وكتبوا: "هأنتم، هأننا" بألف واحدة، ولم يكتب بألفين جعلا كالشيء الواحد.

تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

في يوم الخميس المبارك السادس عشرى شهر الحجة الحرام ختام سنة 1107 ألف ومائة وسبعين من المحررة النبوية على مهاجرها أفضلا الصلاة والسلام. على يد كاتبه يوسف بن محمد الشهير بابن الوكيل الملوى غفر الله له ولوالديه ومشائخه وال المسلمين.

الفهرس

2	الجزء الأول.....الجزء الأول.....
2	فضل الكتابة.....فضل الكتابة.....
5	ما روی في أول من كتب الكتاب بالعربي.....ما روی في أول من كتب الكتاب بالعربي.....
6	أصل كتاب بسم الله الرحمن الرحيم وابتداؤه.....أصل كتاب بسم الله الرحمن الرحيم وابتداؤه.....
6	كيف يفتتحون كلامهم ليبارك لهم فيما يحاولون ويجروا عليه.....كيف يفتتحون كلامهم ليبارك لهم فيما يحاولون ويجروا عليه.....
8	حذف الألف من بسم الله وما ذكر من حذف السين.....حذف الألف من بسم الله وما ذكر من حذف السين.....
9	رسوم الكتاب في كتابتهم بسم الله الرحمن الرحيم.....رسوم الكتاب في كتابتهم بسم الله الرحمن الرحيم.....
9	"أما بعد" وما جاء فيها....."أما بعد" وما جاء فيها.....
10	تصدير الكتب وما يقع فيها.....تصدير الكتب وما يقع فيها.....
11	مقال الخط.....مقال الخط.....
14	ما قيل في حسن الخط من المنظوم.....ما قيل في حسن الخط من المنظوم.....
18	ما قيل في قبح الخط.....ما قيل في قبح الخط.....
20	ما قيل في النقط والشكل والخط الدقيق.....ما قيل في النقط والشكل والخط الدقيق.....
23	الحروف التي شبهت الشعراء بها.....الحروف التي شبهت الشعراء بها.....
27	ما جاء في وصف القلم من الكلام المثور.....ما جاء في وصف القلم من الكلام المثور.....
31	ذكر ما قيل في القلم من الشعر.....ذكر ما قيل في القلم من الشعر.....
38	ما قيل في القلم وبريه.....ما قيل في القلم وبريه.....
40	ومن وصف الكتاب.....ومن وصف الكتاب.....
42	الجزء الثاني.....الجزء الثاني.....
42	ما قيل في الدواةما قيل في الدواة
46	إلاقة الدواةإلاقة الدواة
47	الكرسف وما قيل فيهالكرسف وما قيل فيه
47	ما قيل في المدادما قيل في المداد
49	الحبر واشتقاقه...الحبر واشتقاقه...

50	القرطاس وما يكتب فيه
52	قط القلم
52	المقط
53	المرفع
54	محراك الدواة
55	الكتب في اللغة
56	السكن
57	الإنشاء
58	السطور
59	المقابلة بالكتاب ونسخه
59	الخطأ في الكتاب
60	المشق في الكتاب
60	الزلف
60	فض الكتاب
61	السحابة
61	ترتيب الكتاب وتطيئنه
62	المحو في الكتاب
62	عرض الكتاب
63	اللحن في الكتاب
66	التوقيع والإيجاز
66	التعليم في الكتاب
67	الإملاء
67	طي الكتاب ودرجه
68	درس الكتاب وسرده
69	الخاتم وسبيبه وما قيل فيه
71	العنوان
74	المقادير التي يكتب فيها من القراطيس

75	الدعاء في المكاتبة وترتيبه والزيادة والتقص فيه
78	تحرير الكتاب
80	من زيد في دعاء المكاتبة له فشكرا
83	ما يتكلّب به الناس اليوم
84	قراءة الكتاب بعد كتبه وما جاء في ذلك
84	ما جاء في رد حواب الكتاب والحضور على التكاليف
88	من تعاطي الكتابة وادعاهما وهو لا يحسنها
89	دعاء المكاتبات وأصوله وما حمد منه وذم
91	اللغة في دعاء المكاتبة
92	التاريخ وما قيل في معناه
96	الترجمة في المكاتبة
97	الديوان
99	تحويل الديوان من الفارسي إلى العربي
102	الجزء الثالث
102	وجوه الأموال التي تحمل إلى بي المال وأصنافها ولمن تحب الأموال ثلاثة
105	اللغة في أسنان الإبل وتعريفها
106	أسنان الغنم
106	أسنان البقر
106	أسنان الخيل
107	أحكام الأرضين
108	القطائع
110	جزية رؤوس أهل الذمة
111	مبلغ ما كان يرتفع من الخوارج
111	ذكر مصر
112	ذكر السواد
114	القبالات
115	ما يفضل من المال

116.....	مكاتبة المسلم وغيره.....
116.....	ما في الإنسان وغيره
117.....	الأطعمة.....
118.....	مدح الإيجاز في ابتداء المكاتبة والجواب.....
122.....	مكاتبة الإخوان
123.....	ذكر الحساب
126.....	نقصان الألف وإسقاطها
128.....	نقصان الألف
128.....	الهمز
130.....	الهاء.....
131.....	الواو
131.....	الياء.....
132.....	ما يكتب بالياء والألف من الأفعال.....
132.....	المقصور والممدود
133.....	ما كتب على غير القياس.....
133.....	كتاب النون الخفيفة.....
134.....	الإدغام.....
134.....	ما يقطع ويوصل
135.....	تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
136.....	الفهرس.....

To PDF: www.al-mostafa.com